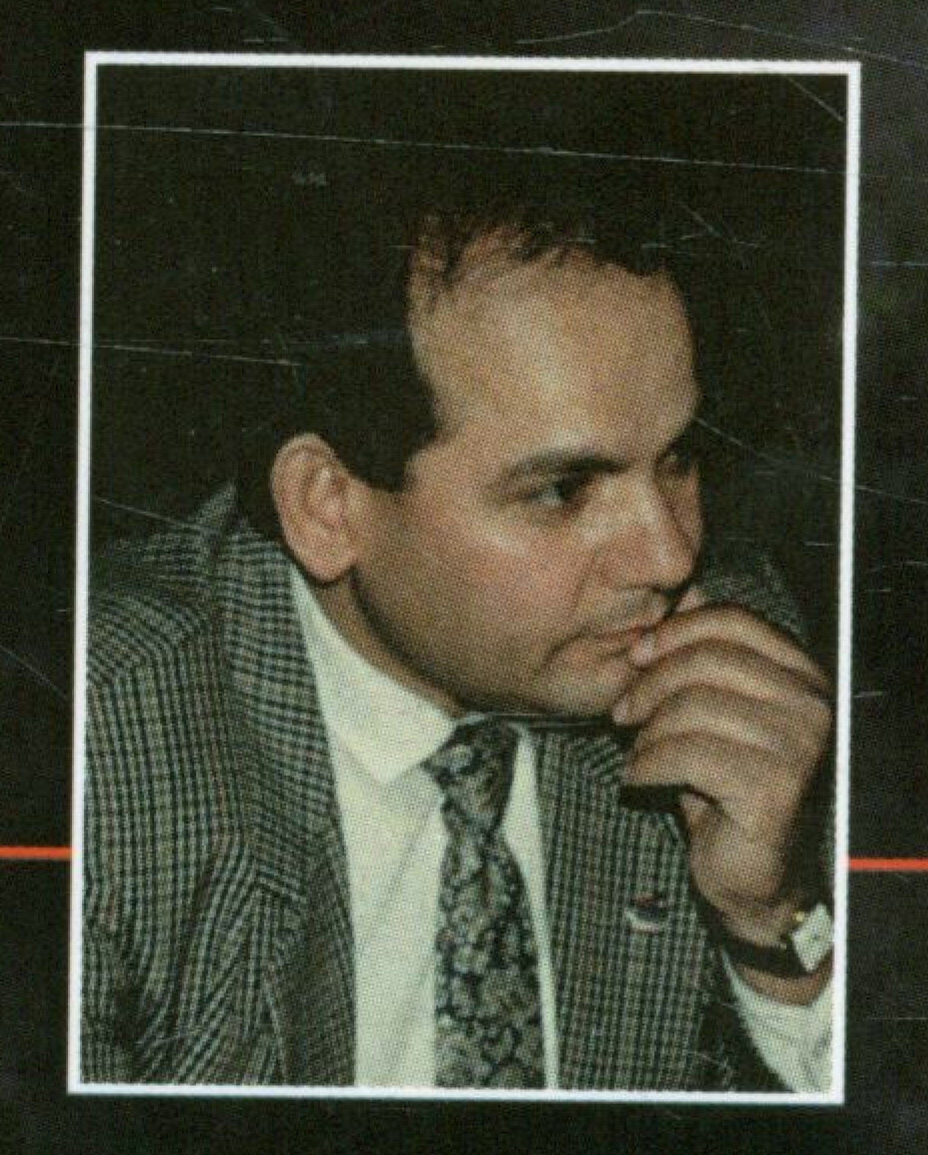


السيد هانى

الأمريكيون يعترفون ..

١١ سبتمبر صناعة البيت الأبيض

السيد هاني

الأمريكيون يعترفون

١١ سبتمبر صناعة البيت الأبيض

الأمريكيون يعترفون

١١ سبتمبر

صناعة البيت الأبيض

المؤلف : السيد هاني

نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية والمحرر الدبلوماسى
كاتب متخصص فى الشئون الدولية

صدر له كتابان :

« شاهد على حرب أفغانستان » - عام ٢٠٠٣
« د . مهاتير قال لى : اليهود يحكمون العالم » - عام ٢٠١٢

الهاتف : 002 - 0122 355 71 83
البريد الإليكترونى : El sayedhany2@yahoo.com

الطبعة الأولى : سبتمبر ٢٠١٣

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠١٣/٩٢٤٠
الترقيم الدولى : 0 - 844 - 236 - 977 - 978

الإهـداء

إلى روح الغالى

شقيقى الأستاذ / يحيى يوسف

نائب رئيس تحرير الأهرام

مازلت أعيش صدمة فراقك وأنت فى ريعان الشباب .. متعجلاً الرحيل ..

لتهنأ فى قبرك يا أخى بالحب الجارف الذى حباك به كل من عرفك ..

ولتهنأ فى قبـرك بوفاء زملائك فى الأهرام الذين تكبدوا مشقـة السفر إلى قريـتنا، ليرافـقوك إلى مثـواك الأخيـر .. حملوك على أعنـاقهم.. وبكوا فوق قبرك .. ونعوك بأقلامهم على صفحات الأهرام ..

شكراً لأسرة تحرير الأهرام .. الأوفياء ..

والرحمة لك يا أخى الغالى ..

السـيد هاني

محتويات الكتاب

صفحة

تقديم

أحسب أنه من اللافت للنظر أن الأمم المتحدة شكلت لجنة دولية للتحقيق في مقتل مواطن لبناني واحد ، هو رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري .. بينما لم تتشكل لجنة دولية للتحقيق في مقتل أكثر من ثلاثة آلاف مواطن أمريكي ، لقوا حتفهم في هجمات ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١.. !!

- لعل من اللافت للنظر أيضاً أن اللجنة التي شكلها الكونجرس الأمريكي للتحقيق في هجمات ١١ سبتمبر ، تم تشكيلها في نوفمبر عام ٢٠٠٢.. أي بعد وقوع هذه الهجمات بأكثر من ١٤ شهراً.. وهي فترة كافية جداً لإخفاء الأدلة التي يمكن أن تساعد في الوصول إلى معرفة الجهة الحقيقية التي تقف وراء الحادث..!

- كما أنه من اللافت للنظر أيضاً إستقالة اثنين من كبار الشخصيات الأمريكية من رئاسة هذه اللجنة.. هما :

- وزير الخارجية الأمريكي الأسبق د. هنري كسينجر ، الذي قدم استقالته في ١٣ ديسمبر ٢٠٠٢ ، بعد ١٦ يوماً فقط من توليه رئاسة اللجنة ..

- والسيناتور الأمريكى المعروف جورج ميتشيل الذى كان نائباً لرئيس اللجنة ، ثم استقال منها يوم ١١ ديسمبر ٢٠٠٢.. أى قبل استقالة رئيس اللجنة بيومين فقط..!

كان كسينجر فى بداية تكليفه بهذه المهمة ، قد وعد بإجراء تحقيق محايد غير خاضع لنفوذ أى من الأحزاب ، وقال إنه يشعر بمسئولية خاصة.. لكنه بعد ذلك استقال من رئاسة اللجنة ، وبعث برسالة إلى الرئيس جورج بوش الابن . . قال فيها : "لقد توصلت إلى خلاصة مفادها أننى لا أستطيع أن أقبل المسئولية التى عرضتموها على".. - نشرالبيت الأبيض نص الرسالة - .. !

أما السيناتور جورج ميتشيل فقد علل استقالته بضغوط تتعلق بالزمن وعدم الرغبة فى إغلاق مكتب المحاماة الخاص به ..

- يجب أن نتوقف أيضاً أمام التصريحات التى صدرت من هنرى كسينجر التى قال فيها: "إن هذه الهجمات تحتاج إلى تنظيم عالٍ ، وأموال ضخمة ، وقدرات فنية كبيرة.. وأطقم أرضية تتعاون مع الخاطفين"..!

* * *

ما قاله كسينجر.. قاله أيضاً "ليندون لاروش" أحد مرشحى الحزب الديمقراطى لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠٤ .. قال : إن عملية ١١ سبتمبر لم تقم بها قوة من خارج الولايات المتحدة الأمريكية .. يحتمل أن هناك أفرادا من بلدان أخرى تم استخدامهم فيها.. لكن الذى قام بهذه العملية هى قوى موجودة داخل الولايات المتحدة ، وقامت بها من أجل جر البلاد إلى الحرب.. هذه القوى مستعدة للقيام بعمليات أخرى للوصول إلى هدفها.. وستقوم بإثارة

الجماهير لجر الحكومة ودفعها للحرب.. علينا أن نوقف هذا.. عليكم ألا تصدقوا أبدا الأخبار التى تذيعها قنوات CNN و FOX TV والقنوات المشابهة لهما".. !!

- وفى مقابلة صحفية أجراها معه مدير تحرير صحيفة "إكسكيوتف إنتلجنس" نشرت بعد أسبوع واحد من وقوع هجمات ١١سبتمبر .. قال لاروش : إن ما حدث فى الولايات المتحدة عبارة عن هجوم رتبته قوة غامضة .. هذه العملية نوع من العمليات التى تتسم بالخداع ، وصادرة من خلف حجاب وستار قوى الأمن فى الولايات المتحدة !.. لم يأت أصحابها من الشرق الأوسط ولا من أوروبا ولا من أمريكا الجنوبية .. يحتمل وجود أفراد من أمم أخرى تم توريطهم فيها.. لكن هذه العملية عملية معقدة ورفيعة المستوى جدا .. ولا يمكن لأحد من خارج الولايات المتحدة تنفيذ عملية بهذا المستوى ، لذا فنحن نرى أنها عملية تتسم بالخداع وذات مستوى رفيع من التنظيم ، وهى من داخل بلدنا . !

- الغريب أن ليندون لاروش كان قد أدلى بتصريح قبل هجمات ١١ سبتمبر بأقل من شهرين ، تنبأ فيه بوقوع مثل هذه الهجمات .. قال :

"الآن تريد القوى الموجودة فى داخل الولايات المتحدة الأمريكية وفى إنجلترا - ومن ضمنهم بريجنسكى- إشعال حرب عالمية لعرقلة التحولات الجارية فى آسيا.. إن شهر أغسطس هو أفضل وقت لإشعال مثل هذه الحرب ، وسيعلنون أنها حرب بين الغرب وبين الإسلام. علينا أن نمنع وقوع مثل هذه الحرب" .. ! !

* * *

- شخصيات دولية أخرى مهمة أشارت بأصبع الإتهام إلى إدارة بوش وتشينى ، ونفت أن يكون أسامة بن لادن وراء العملية .. مثل المفكر

العالمى والكاتب الفرنسى المعروف روجيه جارودى ، الذى قال فى كتابه "الإرهاب الغربى" الصادر عام ٢٠٠٤ : إن ذريعة بن لادن تعتبر واهية تماما.. لأن عملية بهذا الحجم وبهذه الدقة لا يمكن أن يقوم بها إلا طيارون محترفون مؤهلون تأهيلاً عاليًا ليصيبوا بدقة الهدف .. كما أن تنفيذها بهذا النجاح يستلزم معرفة تامة باللوائح والمحظورات والشفرات السرية فى سماء هذه المنطقة التى يخضع كل متر فيها لمراقبة دقيقة من الرادارات وأجهزة المخابرات المركزية الأمريكية ..

- ويلفت جارودى النظر إلى الملاحظات التالية :

١- أن المقاتلات والصواريخ المضادة للطائرات التى تقف فى حالة تأهب دائم للإقلاع والإشتباك مع أى طائرة مشتبه بها .. لم تتدخل .. !

٢- أن تصوير عملية الهجوم بالطائرات بدأ قبل بداية الارتطام ، فكيف تم ذلك لولا وجود علم مسبق بالهجوم وتوقيته..!

٣- أنه فى اللحظة نفسها التى حدث فيها الارتطام أعلى قمة البرجين ، تهدمت الأساسات من الأسفل ، فكيف تهدمت ما لم تكن ملغومة أصلا.؟؟

٤- تتمتع الولايات المتحدة الأمريكية فى مجال الأبحاث التى قام بها الأمريكيون لمكافحة خطف الطائرات ، بنظام يتيح شل حركة الطيران فى الطائرة المستهدفة ، والتحكم فيها من على بعد بغرض تدميرها أو إجبارها على الهبوط ، ليست هناك حاجة إذن لأى طيار أو قرصان جو ، فقد كان كل شىء مخططا عن طريق التحكم عن بعد ، والخلاصة التى وصل إليها الطيارون واضحة تماما ، فكل هذا يدل على وجود مؤامرة على مستوى عال ، نحن إذن أمام قضية خيانة عظمى" ..

هكذا شخص المفكر العالمى المعروف روجيه جارودى عملية ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بأنها "قضية خيانة عظمى" .. !!!!

* * *

هناك أيضاً كم هائل من الأسئلة التى لا تجد لها إجابات.. لكن قبل أن نبدأ فى طرح هذه الأسئلة ، لابد أولا أن نعود إلى تفاصيل ما حدث صباح يوم ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ فى سماء كل من مدينتى نيويورك ، وواشنطن لنتأمل كيف سارت الأحداث كما جاء فى الرواية الرسمية للبيت الأبيض :

- **الطائرة الأولى :**

طائرة من طراز بوينغ ٧٦٧ تابعة لشركة "أمريكان إيرلاينز" ، أقلعت من مدينة بوسطن الأمريكية فى الساعة ٧,٥٩ صباحاً ، متجهة إلى مدينة لوس أنجلوس وعلى متنها ٩٢ راكباً بالإضافة إلى طاقم يتكون من ١١ شخصًا .

- فى الساعة ٨,١٥ خرجت الطائرة عن مسارها الجوى .. وفى الساعة ٨,٤٧ ارتطمت الطائرة بالبرج الشمالى لمركز التجارة العالمى بنيويورك .. فأحدثت فوهة بين الطابقين ٩٢ و ٩٩.. وكانت النتيجة مقتل جميع من كانوا على متنها ، بالإضافة إلى ١٤٦٢ شخصاً كانوا موجودين فى البرج .

- **الطائرة الثانية :**

طائرة من طراز بوينغ ٧٦٧ تابعة لشركة "يونايتد إير لاينز" ، أقلعت أيضاً من مدينة بوسطن فى الساعة ٨,١٤ صباحاً ، متجهة إلى مدينة لوس أنجلوس ، وعلى متنها ٦٥ شخصاً.

- فى الساعة ٩,٣ صباحاً بتوقيت نيويورك ارتطمت الطائرة بالطابق رقم ٨١ من البرج الجنوبى لمركز التجارة العالمى .. فأحدثت فوهة بين الطابقين الـ ٧٧ والـ ٨١ .. وكانت النتيجة مقتل جميع من كانوا على متنها و٦٠٠ شخص كانوا فى البرج.

- **الطائرة الثالثة :**

طائرة من طراز بوينغ ٧٥٧ تابعة لشركة "أمريكان إيرلاينز" .. أقلعت من مطار دولز متجهة إلى واشنطن وعلى متنها ٦٤ شخصاً ..

- فى الساعة التاسعة صباحا خرجت الطائرة عن مسارها الجوى.. وفى الساعة ٩,٣٨ ارتطمت الطائرة بمبنى وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) ، ونتج عن ذلك مقتل جميع من كانوا على متنها بالإضافة إلى ١٢٥ عسكرياً ومدنياً كانوا فى الوزارة أو قريبين منها .

- **الطائرة الرابعة :**

طائرة من طراز بوينغ ٧٥٧ تابعة لشركة "يونايتد إيرلاينز" .. أقلعت من نيويورك الساعة ٨,٤٢ صباحاً ، متجهة إلى نيو جرسى ، وكان على متنها ٤٤ شخصاً ..

- تحطمت الطائرة فى بنسلفانيا قبل أن تصل إلى البيت الأبيض فى واشنطن الذى كان هدفاً لها كما ذكر مكتب التحقيقات الفيدرالى التابع لوزارة العدل الأمريكية (اف بى آى) .. نجم عن الحادث مقتل جميع من كانوا على متنها ..

* * *

أما الأسئلة التى لا تجد لها إجابة حتى الآن .. فمنها :

١ - من المعروف أن الطائرات تطير فى مسارات جوية معينة ، تظهر طوال الرحلة على شاشات الرادار.. وعندما تخرج إحدى الطائرات عن مسارها ، فإن ذلك يظهر على شاشات الرادار ، وتبدأ فورا عملية البحث عنها .. فكيف انحرفت الطائرة الأولى عن مسارها فى الساعة ٨,١٥ وظلت لمدة ٣٢ دقيقة تطير دون أى خريطة جوية .. ثم ارتطمت بالبرج الشمالى لمركز التجارة العالمى بدقة متناهية.. ألم تكن فترة الـ ٣٢ دقيقة كافية لتتبع هذه الطائرة واعتراضها..؟.. لاسيما أنها كانت تطير على إرتفاعات منخفضة بين عمارات نيويورك الشاهقة.. أى أنها كانت مرئية بوضوح لكل الناس .. ؟!

٢ - جاء ارتطام الطائرة الثانية بالبرج الجنوبى لمركز التجارة العالمى بعد مرور ١٦ دقيقة على حدوث الإرتطام الأول ، وبعد مرور ٤٨ دقيقة على خروج الطائرة الأولى عن مسارها.. ألم تكن هذه الفترة كافية لإقلاع مقاتلات أمريكية لإعتراض الطائرة الثانية وإسقاطها قبل أن تصيب هدفها.. لاسيما أنها سلكت نفس طريق الطائرة الأولى.. حيث أقلعت من نفس المدينة "بوسطن" وكانت وجهتها نفس وجهة الطائرة الأولى "لوس أنجلوس".. ثم خرجت عن مسارها وأخذت طريقها إلى نفس الهدف الذى أصابته الطائرة الأولى.. وأصابته بنفس الدقة .. ؟!!

٣ - شوهد فى شريط الفيديو للحادث أن ثمة وهجا ظهر فى مركز التجارة العالمى قبل لحظات من ارتطام الطائرتين به .. هذا يؤكد صحة فرضية العالم الفيزيائى ستيفن جونز الذى قدم ١٣ دليلا على أن مبانى مركز التجارة العالمى الثلاثة (وهما البرجان التوءمان

والمبنى رقم ٧ المجاور لهما ، الذى كان يضم ٤٧ طابقا) قد انهارت بزرع متفجرات فى جميع أرجاء المبانى والتحكم فيها عن بعد..

٤ - يؤكد صحة هذه الفرضية أيضاً ظهور حريق فى الأدوار الوسطى - وليست العليا!- للمبنى رقم ٧ المجاور للبرجين قبل أن يسقطا عليه ، ولم يعرف سبب هذا الحريق .. !

٥ - يؤكدها أيضاً وجود كميات ضخمة من المعادن المنصهرة فوق الأرض بين أنقاض الهياكل المعدنية للمبانى الثلاثة بعد انهيارها..

٦ - فرضية الإنهيار بفعل متفجرات.. تؤكدها أيضاً الصور التى نشرها دكتور كيث ايتون فى مجلة الهندسة الإنشائية "The Structural Engineer" بعد عام من الكارثة.. وظهر فيها معادن ظلت منصهرة رغم مرور عدة أشهر على الهجوم وقت التقاط الصور.. وقد كونت هذه المعادن بحيرة معدنية منصهرة لأن الأرض تحتها كانت ملتهبة.. كانت درجة حرارة الأرض بعد مرور ستة أشهر على يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ تتراوح بين ٦٠٠ - ١٥٠٠ فهرنهيت .. !

هذه الفرضية أكدها أيضاً البروفيسور توماس ايجر Prof. Thomas Eagar ، الذى قال إن حريق مركز التجارة العالمى بسبب ارتطام الطائرتين به ، لا يكفى لصهر الصلب ولم يتسبب فى انهيار المبنى .. لأن وقود الطائرات يشتعل عند درجة حرارة ١٠٠٠ درجة مئوية ، بينما الصلب ينصهر عند درجة حرارة ١٥٠٠ درجة مئوية..!

٧ - هناك سؤال أيضاً حول حطام الصلب الذى كان يزن ١٨٥١٠١ طن .. لماذا تم التخلص منه دون أن يتم فحصه.. ألم يكن من البديهى إعطاء فرصة للخبراء لكى يقوموا بفحصه للتعرف على السبب الحقيقى لإنصهار هذا الصلب .. ؟ ! !

٨ - كيف نفسر ما ظهر فى صور الفيديو من مواد متفجرة كانت تتطاير من البرجين ، وأسمنت مجروش ، وقطع من صلب الأعمدة .. أليس فى ذلك دليل على أن التفجير تم داخل المبنى .. ؟!

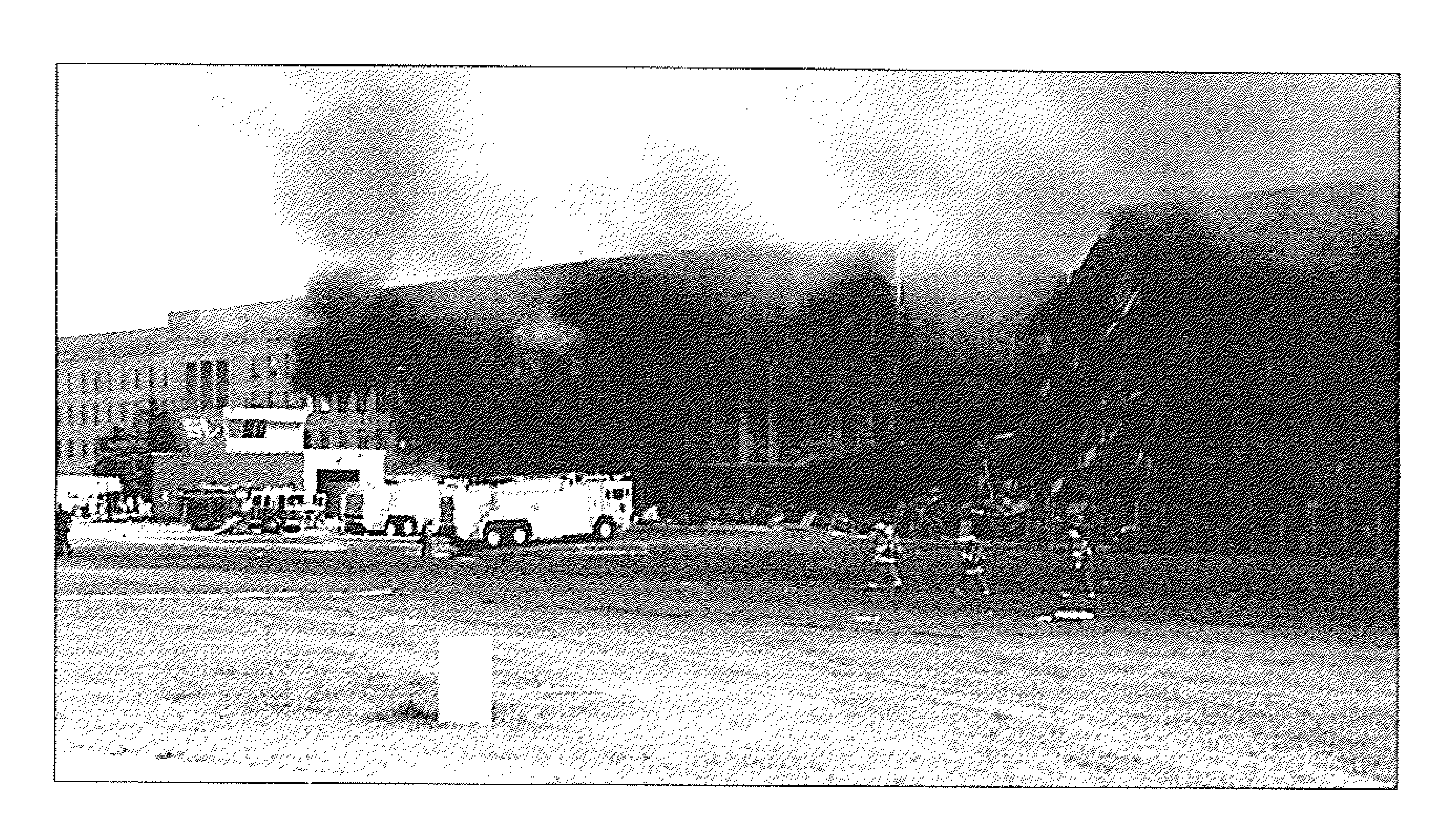
* * *

٩ - بالنسبة للإرتطام بالبنتاجون .. تقول السلطات الأمريكية إن الطائرة الثالثة خرجت عن مسارها فى الساعة التاسعة صباحا ، وارتطمت بمبنى البنتاجون فى الساعة ٩,٣٨ دقيقة .. الحقيقة أنه لا يدرى أحد كيف تستطيع طائرة الخروج من مسارها والطيران فى سماء العاصمة الأمريكية بصورة غير مشروعة مدة ٣٨ دقيقة ، فى دولة حدثت فيها قبل ساعة تقريباً كارثة مرعبة بواسطة طائرتين مدنيتين خرجتا عن مسارهما الجوى ؟ ..

١٠ - المعروف أن مبنى البنتاجون هو أكثر المبانى تحصينا على ظهر الأرض.. حيث أنه محاط بحلقة من البطاريات المضادة للصواريخ ، مبرمجة على تدمير أى صاروخ أو طائرة تدخل المجال الجوى للبنتاجون .. فكيف إذن استطاعت طائرة مدنية بهذا الحجم الكبير أن تدخل المجال الجوى للبنتاجون وترتطم به دون أن تعترضها الصواريخ .. ؟!

١١ - المعروف أيضاً أن الجيش الأمريكى لديه أفضل أنظمة رادار فى العالم.. فكيف لم تظهر هذه الطائرة على شاشات الرادار ، وهى قاصدة مركز قيادة الجيش الأمريكى .. ؟!

١٢ - كيف بقى سقف البنتاجون فوق الفتحة التى قيل إن الطائرة أحدثتها قائمًا لم ينهار ، حتى وصول رجال الإطفاء الذين أبدوا دهشتهم.. لاسيما أنهم وجدوا الحديقة حول البنتاجون منسقة ولم تمس .. !



حديقة البنتاجون منسقة ولم تمس .. ولا يوجد أى أثر لأية طائرة سقطت !!

١٣ - يجب أن نشير أيضاً إلى أنه لم يكن هناك أى حطام لهذه الطائرة التى قيل إنها ارتطمت بالبنتاجون .. ولا أى جثث محترقة أو غير محترقة ولا حقائب سفر مبعثرة أو محترقة ، ولا أى أثر لمقاعد الركاب .. رغم أنه من المفترض أن هذه الطائرة تزن ١٠٠ طن ، ولها جناحان تبلغ المسافة بين طرفيهما ٣٨ مترًا ، ولها محركان كبيران .. وكان من المنطقى أن يظهر أثر لكل ذلك على الأرض فى المنطقة التى حدث فيها الإرتطام بجدار البنتاجون .. !!

- الأغرب من ذلك أن قطر الفتحة التى أحدثها الارتطام بجدار البنتاجون ، لم يكن يتعدى ٢٠ قدمًا فقط ، كما جاء فى رواية الشهود - أى حوالى ٦ أمتار تقريبًا - . . فكيف لطائرة عرض جناحيها ٣٨ مترًا تدخل من فتحة قطرها ٦ أمتار فقط ثم تختفى .. ؟ !!

* * *

- الحقيقة أن هناك أسئلة كثيرة حول حادثة البنتاجون بلا إجابة .. يتناولها الفصل الأول من هذا الكتاب على ألسنة الأمريكيين أنفسهم .. لذلك سأكتفى فى مقدمة الكتاب بهذا القدر من الأسئلة .. لكن لابد أن أشير إلى ما أوردته وكالة أنباء "أسوشيتد برس" - التى كانت أول من أذاع خبر حدوث انفجار كبير فى البنتاجون- حيث ذكرت أن شاحنة كبيرة محملة بالمتفجرات اصطدمت بجدار البنتاجون .. !!

* * *

١٤ - أما الطائرة الرابعة التى قالت السلطات الأمريكية إنها كانت فى طريقها لضرب البيت الأبيض فى واشنطن لكنها سقطت فى بنسلفانيا ، فلا توجد صورة واحدة لحطام هذه الطائرة .. وكل الموجود هو صورة لحفرة دائرية كبيرة قيل إنها حدثت بسبب سقوط الطائرة فى ذلك المكان.. والواقع هو أن فى جميع حوادث سقوط الطائرات التى عرفها العالم ، فإن جسم الطائرة يتحطم بمجرد ملامسته للأرض وينتشر على مساحة واسعة جدا .. لكنه لايحدث حفرة كالتى ظهرت فى صور بنسلفانيا ، التى ترجح أنها حدثت بفعل صاروخ سقط فى هذه المنطقة وليس بفعل تحطم طائرة .. !

* * *

إن كل هذه الأسئلة.. والشهادات التى وردت على ألسنة الأمريكيين أنفسهم ، تشير بأصبع الإتهام إلى البيت الأبيض الأمريكى فى إدارة الرئيس جورج بوش الإبن ، وتعتبر أنه من خطط ودبر ونفذ هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على مركز التجارة العالمى ومبنى البنتاجون .. من أجل إيجاد مبرر تستند اليه الولايات المتحدة الأمريكية فى الإنطلاق نحو فرض هيمنتها العسكرية على العالم.. تحت ذريعة مختلقة اسمها : "الحرب على الإرهاب" ..

إن أبسط دليل على تورط الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش الإبن فى التخطيط والتدبير لتنفيذ هجمات ١١ سبتمبر .. هو ظهوره فى المدرسة التى كان يزورها صبيحة ذلك اليوم ، وهوممسك بكتاب أحد التلاميذ "بالمقلوب" لحظة دخول أحد مساعديه لإبلاغه بوقوع الحادث . . !

لقد شن بوش حربا صليبية - كما جاء على لسانه - على دولتين إسلاميتين .. فقتل وشرد ودمر وخرب وقوض الأمن والنظام فى هاتين الدولتين .. لكنه فشل فى تحقيق هدفه ، وهو فرض الهيمنة العسكرية على العالم ..!

الدليل على هذا هو أن الولايات المتحدة الأمريكية عجزت بعد ذلك عن اللجوء إلى الخيار العسكرى ، الذى طالما لوحت به فى مواجهة كل من إيران وكوريا الشمالية ، اللتين كان بوش يصفهما مع العراق بمحور الشر .. !

لقد قام بوش بغزو العراق وتدميره تحت غطاء كذبة اختلقها هى: إمتلاك العراق برنامجًا نوويًا.. فإذا بكل من إيران وكوريا الشمالية تعلنان أمام العالم عن إمتلاكهما برامج نووية ، بل إن كوريا الشمالية أنتجت السلاح النووى بالفعل وأجرت عليه حتى كتابة هذه السطور ثلاث تجارب نووية فى أعوام ٢٠٠٦ ، و ٢٠٠٩ ، و ٢٠١٣ تحت سمع وبصر العالم كله .. بل ذهبت كوريا الشمالية إلى إخطار الولايات المتحدة الأمريكية قبل التجربة الثالثة .. ولم تستطع الولايات المتحدة أن تحرك ساكنا ، وإنما اكتفت بالشجب والإستنكار والتلويح بالعقوبات . .

وصل الأمر إلى درجة أن الولايات المتحدة اضطرت إلى تأجيل إجراء تجربة صاروخية لإطلاق صاروخ عابر للقارات ، كان من المقرر إجراؤها يوم الثلاثاء ٩ إبريل ٢٠١٣ من قاعدة جوية فى ولاية كاليفورنيا . . وذلك لتجنب

حدوث أى سوء فهم أو استفزاز لكوريا الشمالية ، التى كانت فى تلك الفترة تهدد بتوجيه ضربة نووية وقائية إلى الولايات المتحدة الأمريكية .. !!

لقد نسيت إدارة جورج بوش الإبن أن "الحروب مقبرة الإمبراطوريات".. فاندفعت فى حربين لم تكن الولايات المتحدة فى حاجة لخوضهما.. والنتيجة هى أن الإمبراطورية الأمريكية أصبحت الآن فى طريقها إلى السقوط ..

الدليل على ذلك هو الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى بدأت الولايات المتحدة تواجهها فى أعقاب هاتين الحربين ..

إن قراءة سريعة للأرقام تبين حجم هذه الأزمة :

- لقد ترك الرئيس الأمريكى الأسبق بيل كلينتون فائضا فى الموازنة العامة للولايات المتحدة بلغ حجمه ١٦٨ مليار دولار ، فى نهاية فترة حكمه يناير عام ٢٠٠١ .
- هذا الفائض تحول إلى عجز فى نهاية فترتى حكم الرئيس جورج بوش الإبن فى يناير ٢٠٠٩ .. حيث بلغ حجم العجز فى الموازنة العامة للولايات المتحدة ١٠٠٠ مليار دولار "تريليون دولار".. كما بلغ حجم الدين الأمريكى العام ١٤ ألف مليار دولار "١٤ تريليون دولار ".. !
- فى بداية حكم الرئيس الأمريكى باراك أوباما. . تفاقمت الأزمة الاقتصادية بشكل خطير جدا ، فأفلست مؤسسات كبرى ، وأصبحت صناعة السيارات الأمريكية مهددة. . كما أصبح أكثر من ألف بنك أمريكى على وشك الإفلاس .. مما أضطر الرئيس أوباما إلى ضخ ٥٠٠ مليار دولار فى البنوك خلال ١٠ أيام فقط لإنقاذ الإقتصاد الأمريكى . .
- فى الموازنة العامة للولايات المتحدة لعام ٢٠١٠ بلغ حجم العجز ١٦٠٠ مليار دولار.. ثم أخذ العجز فى الإزدياد والأزمة الاقتصادية

فى التفاقم حتى وصل حجم الدين الأمريكى العام فى يناير ٢٠١٣ إلى ١٦,٣ تريليون دولار.. نصيب كل مواطن أمريكى من هذا الدين يصل إلى ٥٢ ألف دولار أمريكى ..

- فى دراسة أمريكية أجريت على المجتمع الأمريكى صيف عام ٢٠١١ ، وأذاعتها قناة الجزيرة الفضائية مساء يوم السبت ١٧ سبتمبر ٢٠١١ "لمراسل الجزيرة فى واشنطن ناصر حسين".. قالت الدراسة : إن ٣٧ مليون أمريكى أصبحوا يعيشون على المعونات الغذائية التى تقدمها لهم الحكومة!.. وإن آلاف العائلات الأمريكية انزلقت إلى فقر مدقع جعلها أصبحت تختار بين شراء الغذاء وإطعام الأطفال أو سداد إيجارات المساكن.. قالت الدراسة أيضا: إن آلاف العائلات الأمريكية تنزلق نحو المجاعة .. !!!!

* * *

هكذا صدقت مقولة "إن الحروب مقبرة الإمبراطوريات" .. !

لقد سقطت الولايات المتحدة الأمريكية بسبب حربى أفغانستان والعراق من عرش القوة العظمى الوحيدة فى العالم .. التى كانت تتحدث فتسمع لها الدنيا بإنصات .. وتأمر فتكون موسكو وبكين أول من ينفذ الأوامر ..!

الآن بدأ العالم عصراً جديداً.. متعدد الأقطاب..

وإذا كانت نهاية الإمبراطورية السوفييتية قد تمت على يد بوش الأب.. فإن نهاية الإمبراطورية الأمريكية قد بدأت على يد بوش الابن..!!

* * *

إن هذا الكتاب محاولة لإلقاء الضوء على حقيقة ما جرى فى هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، وعملية الخداع التى قامت بها الإدارة الأمريكية فى عهد بوش الابن ، للتغطية على تورطها فى التخطيط وتنفيذ هذه الهجمات .. وذلك من خلال مجموعة مقالات نشرها المؤلف بجريدة « الجمهورية » ، استعرض فيها ما تضمنته بعض الكتب من شهادات لشخصيات أمريكية بارزة من صفوة العلماء والخبراء والمفكرين فى الولايات المتحدة .. قرروا أن يجهروا برأيهم الرافض للرواية الأمريكية الرسمية عن هجمات ١١ سبتمبر ..

يتضمن الكتاب أيضًا عددًا من المقالات والدراسات الأخرى ، التى تعرض بعض الحقائق الخاصة بأفغانستان .. الشعب والدولة التى دفعت ثمن جريمة لم ترتكبها ! .. ثم استطاعت بعد ذلك أن تنتصر على الغزاة ..

كما يتضمن الكتاب عددًا من المقالات التى قد تساهم فى كشف الوجه التآمرى للسياسة الخارجية للولايات المتحدة فى بعض القضايا .. أثناء إدارة الرئيس الأمريكى السابق بوش الابن .. التى احترفت الكذب على الشعب الأمريكى وعلى العالم ، وأعلنت الحرب على الإرهاب .. وهى من صنعته .. !!

السيد هاني

الفصل الأول

الأمريكيون يعترفون

"لقد كان واضحاً منذ زمن بعيد أن إدارة بوش وتشينى استغلت هجمات ١١ سبتمبر لتعزيز مخططاتها الإمبريالية مستخفة بعقول العالم. ولكن الكتاب الذى بين أيدينا يواجهنا بأدلة صادمة على استنتاج أكثر فظاعة فى حد ذاته. هو أن هجمات ١١ سبتمبر نفسها كانت من تخطيط تلك الإدارة" .. !

راى مكجوفرن

المحلل السابق بوكالة
المخابرات المركزية الأمريكية

(١)

■ مازالت هناك شكوك كبيرة حول الجهة الحقيقية التى تقف وراء هجمات ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ ، التى أحدثت تحولاً فى مسار السياسة الدولية ، أدى إلى تكريس الهيمنة الأمريكية على العالم ، تحت دعوى «الحرب على الإرهاب» ، والتى أسفرت حتى الآن عن تدمير دولتين تدميراً كاملاً.. هما أفغانستان والعراق .. فضلاً عن فقدان الناس الكثير جداً من حرياتهم المدنية ، فى السفر والانتقال ، بل وحتى فى مخاطبة بعضهم البعض عبر البريد الإلكترونى .. !

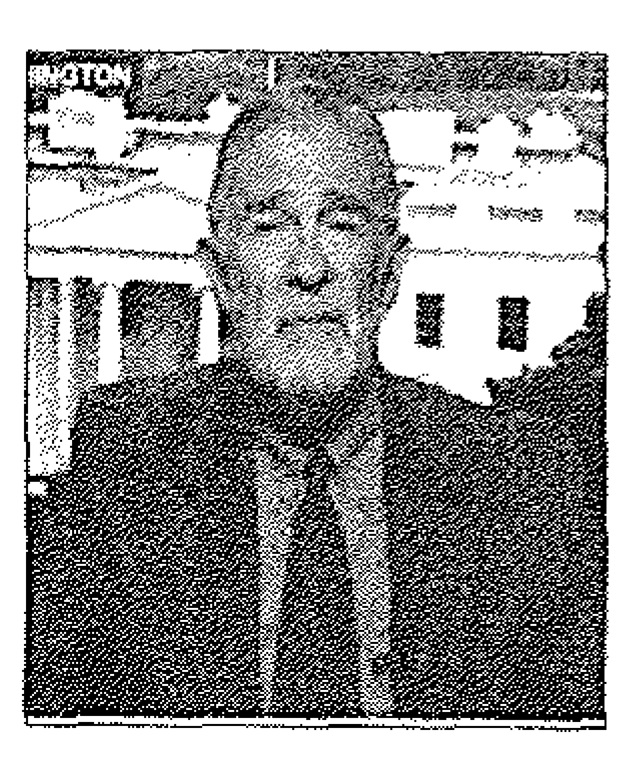
هذه الشكوك آثارها مؤخراً مجموعة من المفكرين ، والعلماء ، وبعض الذين نجوا من الحادث .. بينهم ضابط سابق كانت تعمل داخل البنتاجون ، وعضو سابق فى إدارة الرئيس بوش الابن .. وذلك من خلال عدد من المقالات والدراسات والشهادات ، قام كل من «ديفيد راى جريفين» الكاتب الأمريكى المعروف ، و«بيتر ديل سكوت» دبلوماسى كندى سابق ، بجمعها فى كتاب تحت عنوان : «الحادى عشر من سبتمبر والامبراطورية الأمريكية - المفكرون يتحدثون» .

ولقد صدرت مؤخراً فى القاهرة ترجمة عربية للجزء الأول من هذا الكتاب عن دار «نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» ، تحت إشراف داليا محمد إبراهيم .. التى تستحق منا أن نوجه لها التحية على هذا الإصدار الهام ،

الذى جاء فى وقت نعانى فيه من كثرة الإصدارات الهابطة ، وغلبة العقلية التجارية على عقلية المثقف عند كثير من الناشرين .. الأمر الذى أدى إلى تراجع دور كثير من مؤسسات النشر فى مصر ، حتى أصبحت عبئاً على الحركة الثقافية بدلاً من أن تكون داعمة لها .. !

التحية واجبة إذن للأستاذة داليا محمد إبراهيم ، على إصدار هذا الكتاب ، الذى أحدث صدمة كبيرة فى الأوساط الفكرية والسياسية بالولايات المتحدة الأمريكية ، بما يحويه من أدلة علمية ومنطقية على كذب الرواية الرسمية للإدارة الأمريكية حول حقيقة ما جرى يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ .

لعل هذا أيضا هو ما عبر عنه كثير من الشخصيات البارزة فى المجتمع الأمريكى من الذين قرأوا الكتاب .. يقول عنه بول كريج روبرتس - مساعد وزير الخزانة الأمريكية الأسبق : «هذا هو الكتاب الأهم فى عصرنا الحالى ، فنخبة من العلماء والباحثين المحليين والدوليين يطرحون كماً هائلاً من الحقائق التى تبرهن على أن تقرير لجنة الحادى عشر من سبتمبر تقرير ملفق وأكذوبة كبرى ، وأن ما يسمى بـ «الهجوم الإرهابى» ما هو إلا عملية سخرت لخدمة أجندة الهيمنة على الشرق الأوسط» .. !



راى مكجوفرن

وتقول الكاتبة الأمريكية «إل كيندى» : «إذا كنت تريد أن تعرف ما حدث فى ١١ سبتمبر فاقرأ هذا الكتاب .. اقرأه الآن ، ثم اطلع شخصاً آخر على ما عرفت منه» .

ويقول «راى مكجوفرن» المحلل السابق بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومؤسسة حركة «فيبس» ، وهى حركة مؤلفة من مسئولى المخابرات فى الولايات

المتحدة لكشف مدى توظيف المعلومات الإستخباراتية لتبرير الحرب.. يقول : «لقد كان واضحاً منذ زمن بعيد أن إدارة بوش وتشينى استغلت هجمات ١١ سبتمبر لتعزيز مخططاتها الإمبريالية مستخفة بعقول العالم ، ولكن الكتاب الذى بين أيدينا يواجهنا بأدلة صادمة على استنتاج أكثر فظاعة فى حد ذاته ، هو أن هجمات ١١ سبتمبر نفسها كانت من تخطيط تلك الإدارة ، وذلك بغرض استغلالها .

وإذا كان هذا حقيقياً ، فإن الأمر لا يقتصر على هذا فحسب ، فكما تظهر وثائق دوانينج ستريت ، فإن الأسباب المعلنة لغزو العراق كانت كلها أكاذيب ، بل إن «الحرب على الإرهاب» برمتها قد بنيت على عملية خداع مسبق» .. !!

* * *

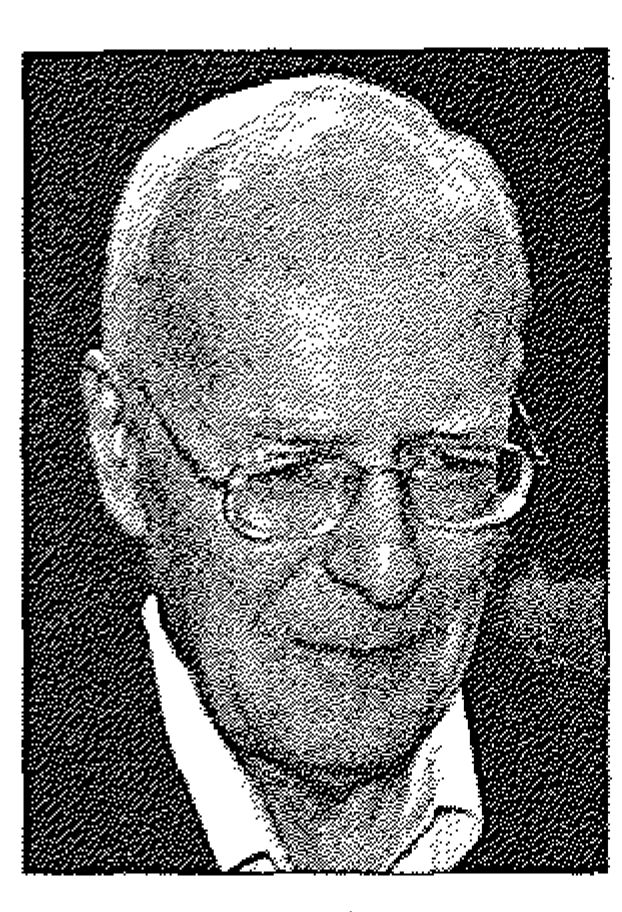
فى مقدمة الجزء الأول من الكتاب .. يقول المؤلفان إنه يضم شهادة ١١ شخصاً ، جميعهم يتمتعون بدرجة عالية من الاحترام فى المؤسسات الأمريكية.. عشرة منهم يحملون درجة الدكتوراه .. وتسعة من هؤلاء العشرة أساتذة فى جامعات عريقة ، وواحد يعمل لدى مؤسسة أندررايترز لابورا توريز ، والحادى عشر سيدة كانت ضابطاً عسكرياً فى البنتاجون .. وكانت تجلس فى مكتبها بالبنتاجون وقت وقوع الحادث ..

تشير الشهادات التى أدلى بها هؤلاء إلى نتيجة ذات شقين :

١- أن الرواية الرسمية عن هجمات ١١ سبتمبر رواية زائفة .

٢- أن هذه الرواية تم استخدامها لدعم أجندة تم تخطيطها مسبقاً .

* * *


ديفيد راى جريفين

- فى الفصل الأول من الكتاب الذى كتبه ديفيد راى جريفين .. يشير الكاتب بوضوح إلى أن هجمات ١١ سبتمبر كانت من تخطيط وتنفيذ المسئولين الأمريكيين .. ويقدم عدة دلائل على ذلك ، يمكن تلخيصها فى هذه النقاط :

١- فشل القوات المسلحة الأمريكية فى منع وقوع الهجمات ، وتقديمها ثلاثة تفسيرات متناقضة لهذا الفشل ، تسترت فيها على أنها تلقت يوم ١١ سبتمبر أمراً بإلغاء حالة الاستنفار ، وبموجب هذا الأمر أوقفت الإجراءات الاعتيادية التى تتبعها عند التعامل مع الطائرات المحتمل اختطافها .

٢- إذا افترضنا أن الطائرة التى ضربت البنتاجون هى «طائرة أمريكان إيرلاينز الرحلة ٧٧» كما تقول الرواية الرسمية. . فكيف حدث ذلك والبنتاجون هو أكثر المبانى تحصيناً على وجه هذا الكوكب .. أولاً : لأنه لا يبعد سوى أميال قليلة فقط عن قاعدة أندروز الجوية ، التى يوجد بها على الأقل ٣ أسراب من المقاتلات النفاثة فى وضع الاستعداد طوال الوقت لتتمكن من حماية العاصمة الأمريكية .. وثانياً : لأن الجيش الأمريكى لديه أفضل أنظمة رادار فى العالم .. وثالثاً : لأن البنتاجون محاط بحلقة من البطاريات المضادة للصواريخ مبرمجة على تدمير أية طائرة تدخل المجال الجوى للبنتاجون .. فكيف إذن استطاعت طائرة مدنية أن تدخل المجال الجوى للبنتاجون ..؟ !

٣ ـ إن حقيقة أن الطائرة التى هاجمت البنتاجون لم يسقطها نظام الدفاع المضاد للطائرات فى البنتاجون ، تشير إلى أن الطائرة كانت طائرة عسكرية ـ وربما صاروخاً ـ مزودة بجهاز مرسل مستجيب تابع للجيش الأمريكى .. وهناك مقاطع فيديو تم تصويرها من مبان قريبة من البنتاجون ينبغى أن توضح ما إذا كان الذى ضرب البنتاجون هو حقاً طائرة بوينج ٧٥٧ أم لا ، لكن مكتب التحقيقات الفيدرالى صادرها عقب الهجوم مباشرة ولا يسمح أبداً بعرضها ، غير أنه فى عام ٢٠٠٦ تم عرض اثنين من هذه المقاطع ولم تظهر بأى منها أية طائرة .. !

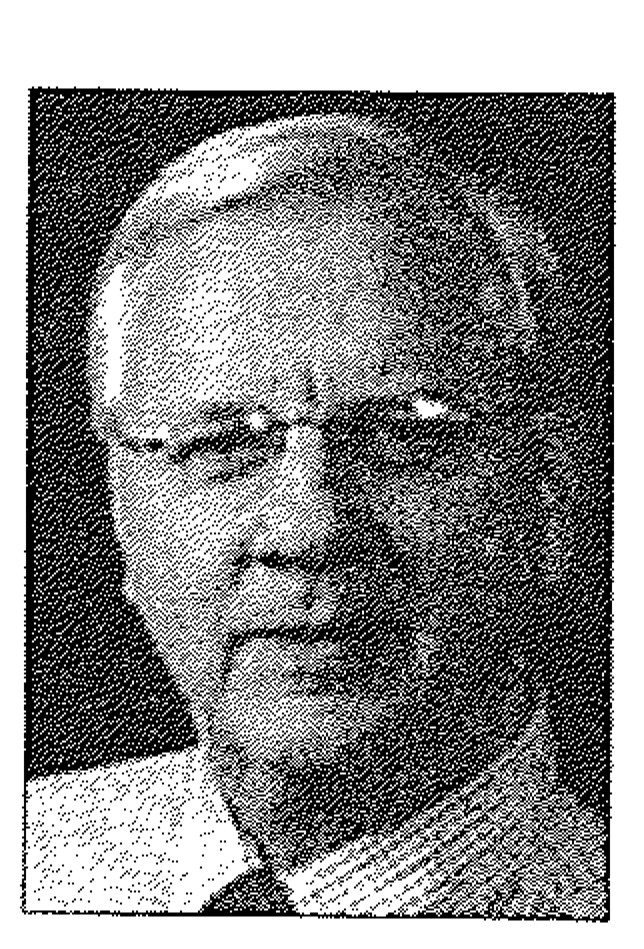
ويؤكد الكاتب أن انهيار مبانى مركز التجارة العالمى الثلاثة ، تم بزرع متفجرات فى جميع أرجاء المبانى والتحكم فيها عن بعد .

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ١٧/ ٩/ ٢٠٠٨

(٢)

■ فى كتاب «الحادى عشر من سبتمبر والامبراطورية الأمريكية - المفكرون يتحدثون» الذى صدر عام ٢٠٠٧ بالولايات المتحدة، وصدرت مؤخراً فى القاهرة ترجمة عربية للجزء الأول منه عن دار نهضة مصر .. يجمع عدد من العلماء والمفكرين الأمريكيين على أن انهيار مبانى مركز التجارة العالمى الثلاثة «وهما البرجان التوءمان ، والمبنى رقم ٧ المجاور لهما الذى كان يضم ٤٧ طابقاً» قد تم بزرع متفجرات فى جميع أرجاء المبانى والتحكم فيها عن بعد .. ويقدم لنا العالم الفيزيائى ستيفن إى جونز ١٣ دليلاً على ذلك .. ! [١]

١ - وجود كميات كبيرة من المعدن المنصهر فى الطوابق السفلى تحت الأرض فى المبانى الثلاثة .. وقد ظلت النيران مشتعلة والفولاذ المنصهر يسيل لأكثر من ثلاثة أسابيع بعد ١١ سبتمبر ، بينما لم تكن درجة الحرارة الناتجة عن الحرائق التى اشتعلت فى البرجين التوءمين بعد اصطدام الطائرتين بهما ، قادرة على إذابة الفولاذ .. !



ستيفن إى جونز

(١) ستيفن إى جونز : أستاذ الفيزياء بجامعة بريجهام يونج .

ولإثبات ذلك يسوق لنا جونز أقوال وشهادات عدد كبير من العلماء والمتخصصين ، ويسهب فى شرح أنواع اللهب ودرجة الحرارة التى تنتج عن كل نوع .. ثم ينتهى إلى طرح احتمالية استخدام متفجرات قاطعة عالية الحرارة مثل «الثرميت» ، أو مادة HDX ، أو مادة RDX ، أو خليط من هذه المواد التى تؤدى مباشرة إلى انصهار الحديد وإذابة الفولاذ ، بل وتبخره ، ولا يمكن إخماد التفاعل الناتج عن ذلك ، حتى باستخدام الماء.. فضلاً عن أن استخدام الكبريت والثرميت معاً يؤدى إلى زيادة وتسريع التأثير المدمر على الفولاذ.. ويستشهد جونز على صحة هذا الاحتمال ، بما أخبره به خبير الهدم بالتفجيرات «برينت بلانشارد» من أنه لم ير على الإطلاق معدناً منصهراً فى موقع أية بناية تم هدمها دون استخدام الثرميت .. !

٢- وجود عنصر الكبريت مختلطاً بالحديد والفولاذ فى الأنقاض ، مما يقوى من فرضية استخدام الكبريت مع الثرميت فى التفجير.. وكذلك وصول درجة حرارة الفولاذ إلى ١٠٠٠ درجة سيليزية ، بينما فى هذا النوع من الحرائق ، من الصعب أن تصل إلى أكثر من ٦٥٠ درجة سيليزية .. !

٣- انهيار المبنى رقم ٧ بعد ٧ ساعات تقريباً من انهيار ثانى البرجين التوءمين.. على الرغم من أنه لم يتعرض لهجوم بطائرة ، ولم تشاهد فيه أية حرائق ضخمة بالشكل الذى يمكن أن يؤدى إلى انهياره .. والأهم من ذلك هو أن المبنى انهار عمودياً بشكل تماثلى مما يقوى من فرضية أنه تم تفجيره عن بعد .. ويستشهد جونز بالملحوظة الختامية لتقرير الوكالة الفيدرالية لإدارة الأزمات ، التى تقول : «إن تفاصيل اندلاع

الحرائق فى المبنى رقم ٧ ، وكيف انها أدت إلى انهيار المبنى لاتزال مجهولة حتى هذه اللحظة» .. !

٤- ما من ناطحة سحاب انهارت بسبب الحرائق من قبل.. يتفق مع جونز فى هذا الرأى خبير هندسة الحرائق نورمان جلفر ، الذى قال: «إن كل المبانى الضخمة تقريبا تتعرض لإندلاع حرائق كبيرة بها ، لكن ما من مبنى شاهق انهار على الإطلاق بسبب اندلاع حرائق به.. ومركز التجارة العالمى بالذات كان مسرحاً لإندلاع حريق كهذا فى عام ١٩٧٥ ، ومع ذلك فقد استمر المبنى مع وجود ضرر محدود وتم ترميمه وعاد لوظيفته كما كان».. ويضيف جونز إلى هذا الكلام قوله : «ليس هناك قبل أحداث سبتمبر مبنى شاهق مزود بدعامات فولاذية انهار كاملاً بسبب الحرائق ، بل ولم يتكرر ذلك منذ سبتمبر ٢٠٠١ ، فما أغربه إذن من حدث فى وسط مانهاتن: ثلاث ناطحات سحاب تنهار كاملاً .. !

٥- اندفاع سحب الدخان والحطام أفقياً من الطوابق العليا للمبنى ٧ ، وفى تتابع منتظم بمجرد أن بدأ المبنى فى الانهيار ، يقدم دليلا إضافيًا هامًا على استخدام متفجرات مثبتة فى وقت سابق لإسقاط المبنى .. !

٦- السقوط المبكر لهوائى البرج الشمالى .. كما يعترف تقرير الوكالة الفيدرالية لإدارة الأزمات ، ويظهر من تسجيلات الفيديو التى التقطت لحظة الانهيار من زوايا مختلفة ، أن برج الإرسال القائم أعلى المبنى قد بدأ فى السقوط إلى أسفل والميل جانباً قبل ظهور حركة واضحة فى الجدار الخارجى .. مما يشير إلى أن الإنهيار بدأ فى منطقة القلب المركزية للمبنى .

٧- روايات شهود العيان بخصوص الومضات ودوى الإنفجارات المرتفع .. منها على سبيل المثال ، ما جاء على لسان مراسل شبكة فوكس الإخبارية أثناء تغطيته للحدث .. قال : «هناك انفجار فى قاعدة المبنى .. وأدخنة بيضاء تنبعث من أسفل .. حدث شىء ما فى قاعدة المبنى ! هناك انفجار آخر».. وكذلك ما صرح به رجل المطافىء إدوارد كاشيا .. قال : «إننا سمعنا صوتاً أشبه بصوت انفجار داخلى .. كان فى تتابع بوم بوم بوم ، ثم انهار المبنى تماماً.. وفى الواقع لقد حدث ذلك فى أحد الطوابق السفلية ، وليس الطابق الذى اخترقته الطائرة» .. !

- «ملاحظة : كان البعض يظن أن هذه الانفجارات المتتالية .. هى انفجارات اسطوانات الغاز فى المطابخ ، لكن ذلك غير صحيح ، لأن مطابخ الأبراج الثلاثة كانت تعمل بالكهرباء» .. !

٨- اندفاع العوارض الفولاذية لمئات الأقدام أفقياً ، إضافة إلى سحق الخرسانة إلى ما يشبه الدقيق ، كما يتضح فى انهيار البرجين التوءمين ، يقدم لنا دليلاً إضافياً على استخدام المتفجرات فى الحادث.

٩- اعتراف فريق المعهد القومى للمعايير والتكنولوجيا بأن تقريرهم «لا يحتوى بالفعل على وصف لما حدث لهيكل البرج بعد أن استكملت شروط بدء الانهيار».. ونظرة أقرب على انهيار البرج الجنوبى ، نلاحظ أن الـ ٣٠ طابقاً الأعلى تقريباً بدأت فى الدوران ككتلة واحدة إلى الجنوب والشرق ، وبدأت فى التداعى بما يتفق وقانون الإنتروبيا المتزايدة.. لقد كان عزم التدوير الواقع على هذه الكتلة بفعل الجاذبية هائلاً.

١٠- الإنهيار التماثلى العمودى الكامل للأبراج الثلاثة يبطل على نحو خاص النظرية الرسمية القائلة بأن النيران المتفرقة والضرر الحادث قد تسببا فى كل الانهيارات. . بل إنه حتى مع استخدام متفجرات شديدة التأثير فإن تحقيق النتيجة التى تمت يتطلب قدراً كبيراً من التخطيط المسبق والخبرة .. لأن التحدى الحقيقى عند هدم مبنى ما يكمن فى التحكم فى اتجاه انهيار المبنى .

١١- هناك ورقة بحثية قدمها كل من «زيدينك ب بازانت» و«يونج زو» .. يقولان فيها : «لقد صمم برجا مركز التجارة العالمى ذو المائة والعشرة طوابق حتى يتحملا معاً القوى التى تنتج عن التصادم الأفقى بواسطة طائرة تجارية كبيرة.. فلماذا إذن حدث انهيار تام لهما.. ؟».

١٢- تقرير المعهد القومى للمعايير والتكنولوجيا تضمن نماذج محاكاة ملفقة لعملية الانهيار ولا يعتد بها علمياً.. لأنها تجاهلت نقاطاً أساسية كثيرة ووقفت عند الوقت الذى أصبح فيه الأبراج على وشك الانهيار .

١٣- إحجام المعهد القومى للمعايير والتكنولوجيا عن عرض الرسومات الحاسوبية المتحركة لعملية الإنهيار .

ويطالب العالم الفيزيائى ستيفن جونز بتشكيل هيئة دولية مستقلة ومتعددة التخصصات العلمية ، للتحقيق فى كيفية انهيار أبراج مركز التجارة العالمى الثلاثة .

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٢٤/ ٩/ ٢٠٠٨

(٣)

■ من أهم الشهادات التى وردت فى كتاب «الحادى عشر من سبتمبر والامبراطورية الأمريكية - المفكرون يتحدثون» .. الذى صدرت ترجمة عربية للجزء الأول منه مؤخراً عن دار نهضة مصر .. الشهادة التى قدمتها «كارين كوياتكوفسكى» الضابط السابق بالبنتاجون ، التى كانت تجلس فى مكتبها بالطابق الخامس ، الممر السابع ، القسم «ب» بمبنى البنتاجون ، وقت أن حدث الإنفجار به صباح يوم ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١.

لقد قدمت «كارين» شهادتها.. كضابط ، وكعالمة ، وأستاذة جامعية ، ثم كشاهد عيان كان حاضراً فى الموقع وقت الحدث .

- كضابط .. تفجر لنا مفاجأة من العيار الثقيل ، وهى أن البنتاجون وضع خطط الإطاحة بطالبان قبل أحداث سبتمبر بشهور .. !
- كعالمة وأستاذة جامعية.. تعلق من منظور أكاديمى على تقرير لجنة ١١ سبتمبر التى شكلتها الحكومة الأمريكية.. فتشير أولاً إلى أن التقرير تضمن قائمة بأسماء الذين قاموا بخطف الطائرات المدنية الأربع ولقوا حتفهم .. ثم ظهر بعد ذلك أن بعضهم أحياء ، بل وتحدثوا على شاشة التليفزيون .. الأمر الذى ينسف مصداقية التقرير .. !!

وتقول : «من منظور أكاديمى : أعانى بقدر كبير من الصعوبة فى التعامل مع نظرية المؤامرة التى تبناها التقرير.

فبصفتى عالمة ، أرى أن هذه النظرية لا تتفق مع قوانين الاحتمالات أو الفيزياء.. إن انهيار برجى مركز التجارة العالمى ينتهك إنتهاكاً واضحاً قوانين الفيزياء والاحتمالات ، حيث تفسر الحكومة الإنهيارين بأنهما نتيجة طبيعية للقوى المسلم بها فى المعادلة - وهى بشكل أساسى الحرارة الناجمة عن النيران + قوة الجاذبية الأرضية - بيد أن هذه الرواية غير منطقية فى كل أجزائها.. وذلك على أساس المبادىء المتعارف عليها فى مجالات الفيزياء أو الجبر أوحساب المثلثات أو التفاضل والتكامل» .

وتفجر «كارين» مفاجأة أخرى .. وهى أن الأدلة المادية التى تم رفعها من مكان برجى مركز التجارة العالمى ، تم إخفاؤها فى مكان أمين ، ثم تدميرها برمتها تقريباً .. أما أعمدة الحديد الفولاذية ، فقد تم بيعها على وجه السرعة إلى تجار الحديد الخردة فى خارج البلاد .. !

تقول : «بصفتى عالمة .. وجدت أن تحقيقات موقع الجريمة كانت محيرة للغاية» .. !

- كشاهد عيان .. تقول «كارين» : «إن هذه الحيرة تتضاعف فى حالة الهجوم على مبنى البنتاجون .. فقد كان هناك قليل فقط من الحطام فى مكان الهجوم .. حيث كنت أقف هناك بعد الاصطدام بدقائق قليلة .. وبخلاف هذا الغياب الغريب لحطام الطائرة ، فلم تكن هناك أية علامات لأية أضرار أصابت مبنى البنتاجون ، من التى يتوقع حدوثها فى أثر اصطدام طائرة ضخمة به .. لعل غياب هذا الدليل المرئى ، كان واضحاً

أيضا لوزير الدفاع ـ دونالد رامسفيلد ـ الذى أشار فى ذلة لسان تعسة إلى الطائرة التى ضربت مبنى البنتاجون على أنها «قذيفة» .. !!

وتشير «كارين» إلى أنه كان يجب عمل إعادة بناء للطائرة المفترض أنها ضربت مبنى البنتاجون طبقاً للرواية الرسمية للحكومة الأمريكية .. بالضبط كما حدث من قبل على مدى العقود الماضية مع كل حوادث الطائرات التى انفجرت ، والتى كان آخرها طائرة الرحلة ٨٠٠ التى انفجرت فى الجو وتساقطت أشلاؤها فى المحيط ، وذلك بغرض التوصل بدقة إلى مكان الإنفجار فى جسم الطائرة وسببه.. لكن ذلك لم يحدث فى حالة الهجوم على البنتاجون ، وبذلك لم تتوفر لدينا أية أدلة مادية على أن الطائرة التى اصطدمت بالبنتاجون هى طائرة شركة «أمريكان إيرلانيز» ـ الرحلة ٧٧ ، كما جاء فى الرواية الرسمية للحكومة .. !

تقول «كارين» : «عادة ما نجد فى حوادث تحطم الطائرات كمًا كبيراً من الحطام يتخذ أشكالاً وأحجاماً مختلفة ، كما يمكن استرجاع كم مهول من الحطام فيصبح مفيداً فى عمليات المحاكاة بعد الحادثة.. إلا أنه فى حالة الهجوم على مبنى البنتاجون ، لم أر شيئاً ذا أهمية فى موقع الإصطدام ، فلم يكن هناك حطام معدنى أو بقايا حمولة خاصة بالطائرة تحترق على الأرض أمام المبنى المدمر ، بينما كان ينبعث الدخان من داخل مبنى البنتاجون ، وكان غريباً أنه لم تظهر أى من هذه البقايا فيما بعد فى أى من محاولات تحليل الحادث ، وهذا أمر كثير الغرابة فى ضوء التقارير العامة التى قدرت فيما بعد أن الطائرة الضخمة كانت فى الواقع تحلق على ارتفاع منخفض ، وكانت تستدير ، مما يشير إلى أنه لابد أن جناحاً واحداً للطائرة كان سيرتطم بالأرض قبل أن تضرب مقدمة الطائرة مبنى البنتاجون ، تاركة فى أثرها كمًا

هائلا من الحطام.. وحيث إننا كنا قبل دقائق قليلة قد شاهدنا على شاشات التليفزيون الإصطدام ببرجي مركز التجارة العالمي في مدينة نيويورك ، فإن كل من كان ينظر إلى مبنى البنتاجون ذلك الصباح ، كان في الواقع يبحث عن هذا الحطام ، إلا أن ما كنا نتوقع رؤيته ، كان في الحقيقة غير موجود .. !!

تضيف «كارين» : وينطبق هذا أيضاً على نوعية الدمار الذي كنا نتوقعه ، فمن رأيي أنه لو كان الذي ضرب مبنى البنتاجون طائرة تزن مائة طن أو يزيد ، ومصنوعة من مواد خفيفة نسبياً ، وتم تصميمها لتحمل البضائع ، وكانت حاملة مقاعد الركاب وأمتعتهم وغير ذلك من النثريات بالإضافة إلى الركاب ، وتتحرك بسرعة عدة مئات من الكيلومترات في الساعة ، فإنها كانت ستؤدي إلى قدر كبير من الأضرار السطحية ، وستكون هذه الأضرار واضحة جلية في رقعة واسعة بمنطقة الارتطام .. إلا أنني لم أر مثل هذا النوع من الأضرار ، وإنما كان بالواجهة ثقب صغير لا يتعدى قطره الـ ٢٠ قدماً «أي حوالي ٦ أمتار تقريباً ، بينما يصل عرض الطائرة بوينج ٧٥٧ إلى ٣٨ متراً» .. أي أن المشهد باختصار لم يكن ما توقعته في ضوء اصطدام طائرة كبيرة الحجم .. إلا أنه مشهد يتوقعه المرء بالتأكيد في حالة ضرب قذيفة لمبنى البنتاجون .. !

* * *

هذه هي شهادة «كارين كوياتكوفسكي» .. ضابط أركان تابع لوكيل وزارة الدفاع الأمريكية للسياسات ، إدارة الشرق الأدنى وغرب آسيا - سابقاً.. من قلب البنتاجون..!!

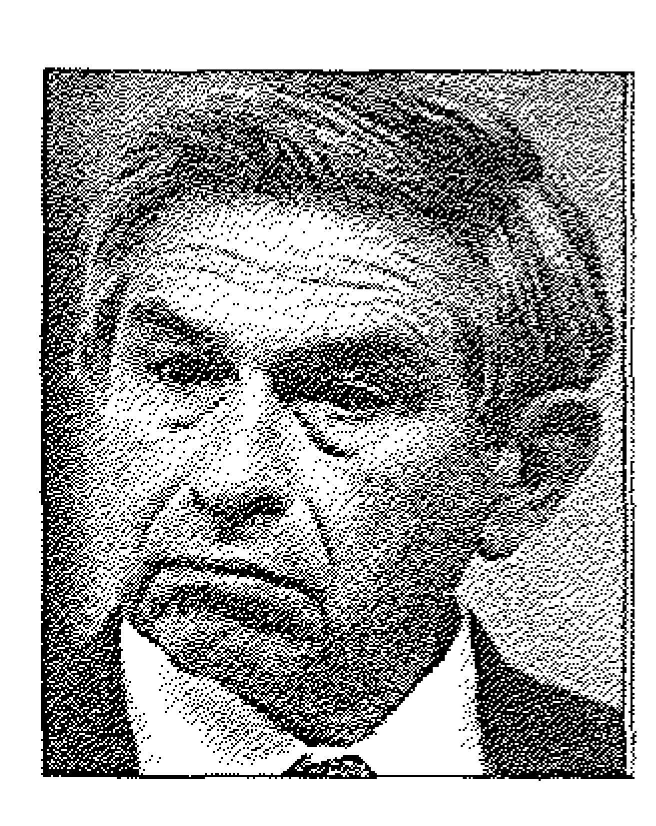
نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» في ١/ ١٠/ ٢٠٠٨

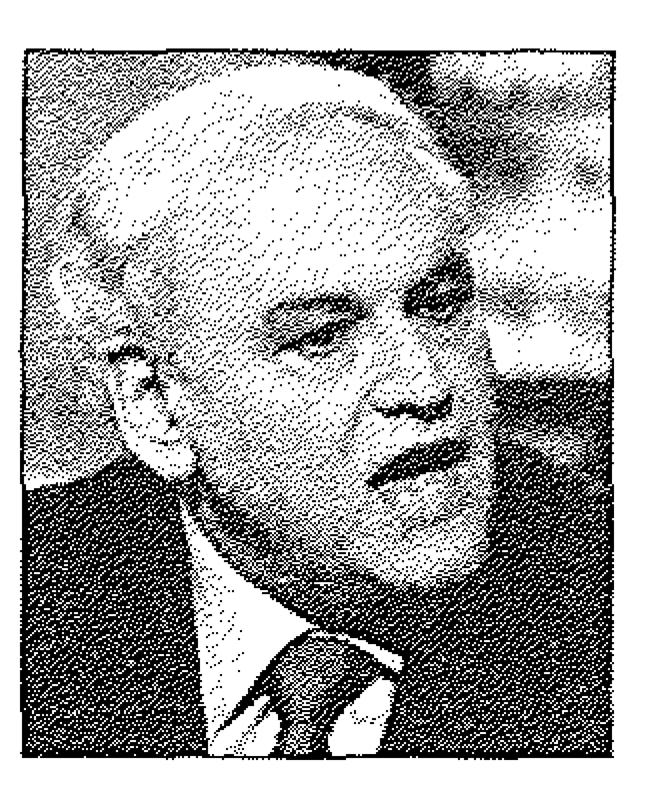
(٤)

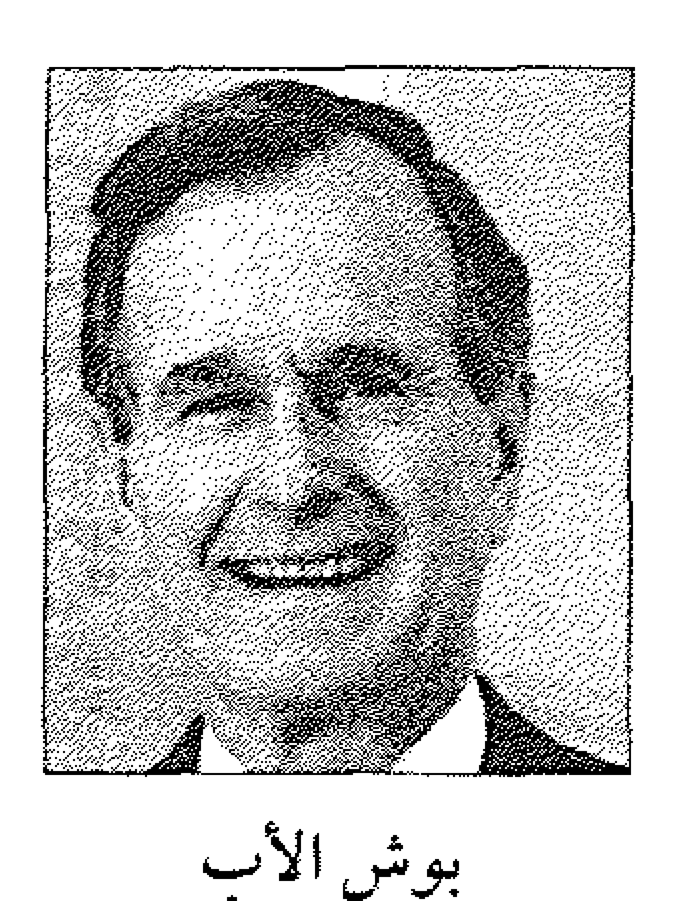
■ يزخر كتاب «الحادى عشر من سبتمبر والإمبراطورية الأمريكية - المفكرون يتحدثون» .. بعشرات الأدلة العلمية التى تثبت كذب الرواية الرسمية للحكومة الأمريكية عن هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ .. ويشير الكتاب إلى أن هذه الهجمات هى من تدبير المحافظين الجدد فى الولايات المتحدة ، بغرض اختلاق «مبرر» لإشعال حرب وفرض الهيمنة العسكرية الأمريكية على العالم تحت غطاء .. اسمه «الحرب على الإرهاب» .. !

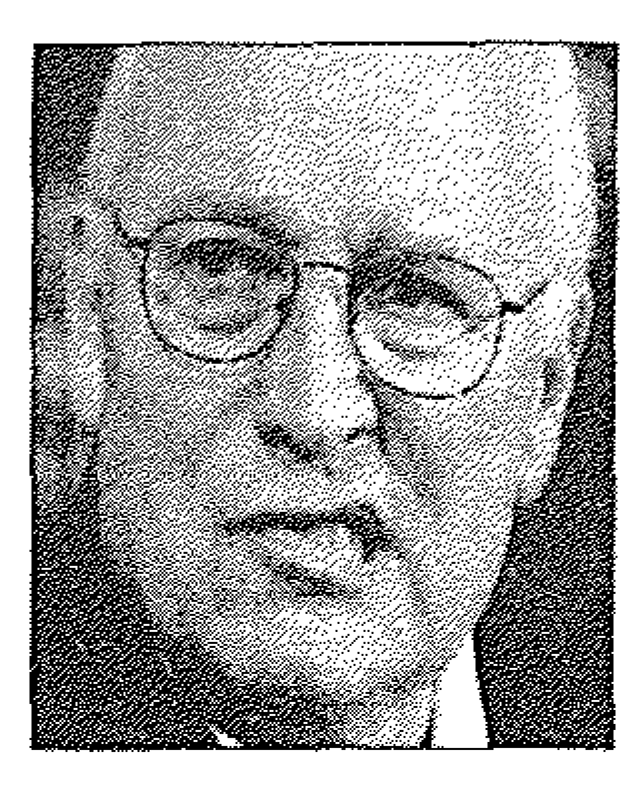
فى الجزء الأول من هذا الكتاب - الذى شارك فى كتابته ١١ من كبار المفكرين والعلماء - يقدم لنا عالم الاجتماع بيتر فيليبس واثنان من تلاميذه ، هما : بريد جيت ثورنتون - وسيليستى فوجلر ، دراسة يتناولون فيها فكرة وجود مجموعة من الأمريكيين لها خطة للهيمنة على العالم ، وكيف استفادت هذه المجموعة من هجمات ١١ سبتمبر . . !

تقول الدراسة إن الفضل الأكبر فى تشكيل أجندة المحافظين الجدد فى الولايات المتحدة ، يرجع إلى ليوشتراوس وألبرت هولستتر وآخرين فى جامعة شيكاغو ممن يعملون فى مجال الفكر الاجتماعى ، وكذلك إلى تلامذتهم : بول وولفويتز ، وآلان بلوم ، وريتشارد بيرل .. وتتلخص فلسفة هؤلاء فى : «أن الدولة القومية المسلحة هى التى يمكنها ردع العدوان البشرى.. لكنها تحتاج إلى تهديد خارجى ، فإذا لم يكن موجوداً.. يجب افتعاله» .. !


بول وولفويتز


ريتشارد بيرل


بوش الأب


ديك تشينى

وقد استطاع المحافظون الجدد الوصول إلى مراكز السلطة فى الولايات المتحدة ، وزاد وجودهم فى الحكومة عندما كان بوش الأب رئيساً للولايات المتحدة ، وديك تشينى وزيراً للدفاع .. فقدموا فى عام ١٩٩٢ «مسودة دليل التخطيط الدفاعى» ، التى دعوا فيها إلى فرض الهيمنة العسكرية الأمريكية على العالم كله من خلال نظام جديد»، تقوم فيه الولايات المتحدة بتعزيز تفوقها العسكرى لمنع أى منافس جديد «بعد انهيار الاتحاد السوفييتى» من الإرتقاء ليتحدى الولايات المتحدة على المستوى الدولى .. واستخدموا فى «المسودة» عبارات مثل «العمل الأحادى» و «الوجود العسكرى المستقبلى» ليعبروا عن دعمهم لفكرة انفراد الولايات المتحدة بقيادة العالم والسيطرة على الأعداء والأصدقاء على حد سواء. . وبصورة مطلقة .. !

وقد تسربت هذه المسودة إلى الصحافة .. فقوبلت باعتراضات وانتقادات شديدة من بعض وسائل الإعلام وأعضاء النخبة السياسية.. حيث وصفوها بـ «الغباء» و«الضحالة» و «قصر النظر» .. وبانتخاب بيل كلينتون رئيسًا للولايات المتحدة وتسلمه منصبه فى يناير ١٩٩٣ ، تم اقصاء معظم المحافظين الجدد عن مواقع السلطة المباشرة فى إدارته خلال الأعوام الثمانية التالية .

لكنهم ظلوا على انتمائهم الشديد لبعضهم البعض ، ودعموا علاقاتهم مع المراكز والمؤسسات ذات الطابع اليمينى فى المجتمع الأمريكى.. مثل: معهد المشاريع الأمريكية لأبحاث السياسات العامة ، ومعهد هوفر ، والمعهد اليهودى لشئون الأمن القومى ، وغيرهم .. وفى عام ١٩٩٧ استطاعوا الحصول على تمويل من هذه المؤسسات لتأسيس «مشروع القرن الأمريكى الجديد» الذى وضع رؤية استراتيجية للدور الأمريكى فى العالم ، وحدد أهدافه كالتالى :

١ - زيادة الإنفاق العسكرى بشكل كبير ، لتتمكن الولايات المتحدة من القيام بمسئولياتها الدولية اليوم وتطوير قدراتها العسكرية مستقبلاً.

٢ - تعزيز علاقات الولايات المتحدة مع حلفائها الديمقراطيين ، وتحدى الأنظمة التى تبدى عدواناً تجاه المصالح والقيم الأمريكية .

٣ - الترويج لقضية الحرية السياسية والاقتصادية فى الخارج .

٤ - قبول المسئولية التى يفرضها الدور الأمريكى الفريد فى الحفاظ على توسيع نظام دولى صديق لأمن الولايات المتحدة ورخائها ومبادئها.

٥ - سياسة القوة العسكرية والشفافية الأخلاقية التى بدأها ريجان ، ربما لا تكون هى السياسة المناسبة اليوم ولكنها ضرورية جداً إذا كانت الولايات المتحدة تريد استكمال نجاحات القرن الماضى ، ولضمان أمننا وعظمتنا فى القرن القادم .

وقع على هذا الإعلان كل من : ديك تشينى - فرانسيس فوكوياما - زلماى خليل زادة - دان كوايل - دونالد رامسفيلد - جورج فيجل - بول وولفو يتز - إليوت إبرامز - جارى باور - ويليام بينيت - جيب بوش - إليوت إيه كوهين -

ميدج ديكتر - ستيف فوربس - بولا دوبريانسكى - أرون فريدبرج - فرانك جافنى - فريد سى إيكلى - دونالد كاجان - آى لويس ليبى - نورمان بودهوريتز - بيتر دبليو رودمان - ستيفن بى روزين - هنرى إس روين - فين ويبر .. ومن بين هؤلاء الـ ٢٥ مؤسساً لمشروع القرن الأمريكى الجديد ، عين ١٢ فيما بعد لمواقع هامة فى إدارة بوش الإبن .

* * *

ولقد حظى مشروع القرن الأمريكى الجديد منذ إطلاقه باهتمام ودعم كبريات شركات السلاح الأمريكية المتعاقدة مع الجيش الأمريكى.. مثل شركة «لوكهيد مارتن» ، وشركة «نور ثروب جرومان».. وكان ٨ ممن وقعوا على المشروع ينتمون إلى الشركة الأولى ، و٧ لهم علاقة مع الشركة الثانية .

فى سبتمبر عام ٢٠٠٠ ، أصدر مشروع القرن الأمريكى الجديد تقريراً من ٧٦ صفحة تحت عنوان : «إعادة بناء دفاعات أمريكا: الاستراتيجية ، والقوى ، والموارد ، من أجل قرن جديد» .. فى هذا التقرير تم التأكيد على حماية الأراضى الأمريكية والهيمنة على الفضاء والإنترنت والقدرة على دخول أكثر من حرب فى نفس الوقت ، والقيام بدور شرطى العالم .. ودعا التقرير إلى ضرورة أن تزيد الولايات المتحدة إنفاقها العسكرى لتحافظ على زعامتها الجيوسياسية بصفتها القوة العظمى الوحيدة فى العالم ، وزعم أنه من أجل الحفاظ على ما يعرف باسم «السلام الأمريكى» فإنه يجب تحجيم المنافسين المحتملين - مثل : الصين وإيران والعراق وكوريا الشمالية - وقال التقرير أيضًا إن عملية التحول فى الجيش الأمريكى

«ستكون عملية طويلة المدى فى ظل غياب كارثة أو حدث محفز ، مثل بيرل هاربور[1] جديدة» .. !

* * *

يقول د . بيتر فيليبس فى دراسته : «وكانت أحداث الحادى عشر من سبتمبر هى بالضبط الكارثة التى رأى كُتاب تقرير «إعادة بناء دفاعات أمريكا» ضرورة حدوثها للتعجيل بتنفيذ أجندة الهيمنة الأمريكية على العالم .. !

أما المستفيدون من زيادة الإنفاق العسكرى الأمريكى بعد ١١ سبتمبر ، فهى شركات السلاح الأمريكية ، حيث ارتفعت ميزانية البنتاجون لشراء أسلحة جديدة من ٦١ مليار دولار عام ٢٠٠١ إلى أكثر من ٨٠ مليار دولار عام ٢٠٠٤ ، وارتفعت مبيعات « لوكهيد مارتن » بنسبة تزيد على ٣٠٪ خلال نفس الفترة ، بالإضافة إلى وجود عشرات المليارات من الدولارات فى دفاترها تحت حساب صفقات مستقبلية ، وارتفعت قيمة سهمها فى البورصة بنسبة ٣٠٠ ٪ . . كذلك ارتفعت عقود شركة «نورثروب جرومان» مع البنتاجون من ٣,٢ مليار دولار فى عام ٢٠٠١ إلى ١١,١ مليار دولار فى ٢٠٠٤.. وشهدت شركة «هاليبورتون» - التى كان رئيسها السابق هو نائب الرئيس الأمريكى ديك تشينى - زيادة استثنائية فى حجم تعاقداتها

---

(١) «بيرل هاربور» . . هو ميناء أمريكى يقع فى جزيرة أمريكية بالمحيط الهادى ، وقامت الطائرات اليابانية بقصفه يوم ٧ ديسمبر عام ١٩٤١ ودمرته تمامًا عقابًا للولايات المتحدة على مساعدتها بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية . . فكان ذلك هو السبب المباشر لدخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء ضد كل من اليابان وألمانيا وإيطاليا . .

مع البنتاجون .. حيث ارتفعت هذه التعاقدات من ٤٢٧ مليون دولار عام ٢٠٠١ إلى ٤,٣ مليار دولار مع بداية عام ٢٠٠٣.. ومازال تشينى حتى الآن يتلقى راتبه من « هاليبورتون » ، حيث تسلم ٢٠٥٢٩٨ دولاراً فى عام ٢٠٠١ ، و١٦٢٣٩٢ فى عام ٢٠٠٢ ، و ١٧٨٤٣٧ فى عام ٢٠٠٣ ، و١٩٤٨٥٣ دولاراً فى عام ٢٠٠٤ ، كما ارتفعت قيمة خيارات حصته فى الشركة التى تصل إلى ٤٣٣٣٣٢ سهماً من ٢٤١٤٩٨ دولاراً فى عام ٢٠٠٤ إلى ٨ ملايين دولار فى عام ٢٠٠٥..!!

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٨/ ١٠/ ٢٠٠٨

(٥)

■ فى الفصل التاسع من الجزء الأول من كتاب : «الحادى عشر من سبتمبر والإمبراطورية الأمريكية - المفكرون يتحدثون» .. يقدم لنا «جون ماكمورترى» [(١)] دراسة هامة تحت عنوان : «أحداث الحادى عشر من سبتمبر والحروب الناجمة عنها : فهم الجريمة العظمى» .. يشير فيها إلى زيف رواية الحكومة الأمريكية حول أحداث ١١ سبتمبر ، ويقول إن الحروب التى أعلنت فى أعقاب تلك الهجمات كانت فى الحقيقة هى الأسباب الاستراتيجية لوقوعها .. يصف عملية غزو العراق بأنها خير مثال على ما يسميه القانون الدولى : « الجريمة العظمى » .. وهى الجريمة التى وصفها قضاة نورمبرج بأنها : « تختلف عن جرائم الحرب الأخرى فى انها تجمع فى ذاتها كل الشرور المتراكمة » .. !

كما يلفت ماكمورترى النظر إلى أنه على الرغم من ثورة الغضب الشديدة التى اجتاحت المجتمع الدولى ، بما فى ذلك المجتمع الأمريكى ، فى مايو ٢٠٠٤ ، بعد نشر صور لا يمكن التشكيك فيها عن جرائم التعذيب الوحشى التى ارتكبت فى السجون العراقية على يد

---

(١) جون ماكمورترى : أستاذ الفلسفة بجامعة جويلف فى كندا ، وزميل الجمعية الملكية الكندية .

قوات الاحتلال الأمريكية .. إلا أن هذه الجرائم استمرت ، وسمح لكاميرات التليفزيون أن تصور مسجونين عراقيين ، لم تسبق إدانتهم أو محاكمتهم ، وقد تم تغطية رؤوسهم وتقييدهم وربط أطرافهم وانتهاكهم بقسوة كما لو كانوا حيوانات .. !

يعتبر ماكمورترى أن هذا دليل قوى على انتهاك الولايات المتحدة لنصوص إتفاقية جينيف بشأن معاملة الأسرى التى وقعت عليها عام ١٩٤٩.. مثلما جاءت أيضا قرارات الرئاسة الأمريكية بعد ١١ سبتمبر متجاهلة القوانين الدولية الواحد تلو الآخر ، واعتبرت أن كل من يعارض ذلك فهو «يقدم دعمه للإرهاب» .. !

يقول ماكمورترى إن الإفتراض الرئيسى فى كل ذلك هو أن الولايات المتحدة تمتلك حقاً طبيعياً فى أن تكون « دولة فوق القانون » .. هذا بالضبط ما عبرت عنه وثيقة «استراتيجية الأمن القومى الأمريكى» التى صدرت فى سبتمبر عام ٢٠٠٢ . .

تقول الوثيقة : « سنقوم باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لنضمن أن مجهوداتنا للوفاء بإلتزاماتنا تجاه الأمن العالمى لا تعوقها احتمالية الخضوع للتحريات أو التحقيقات أو المحاكمة من قبل المحكمة الجنائية الدولية ، والتى لا تطال سلطتها القانونية المواطنين الأمريكيين ، ولا نقبل بها » .. !

ثم يلفت النظر إلى أن الصحافة الأمريكية لم تعترض على ذلك ، بل قامت بتشجيع عمليات الغزو الخارجى الإجرامية ، وتمجيد عصر الإرهاب «الأمريكى» عابر القارات . فاستمر الرفض الأمريكى للقوانين الدولية من كل نوع وتصاعدت وتيرته .. وبطريقة أو بأخرى قامت إدارة بوش من جانب

واحد بعرقلة سير عمليات إتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية ، وبروتوكول كيوتو ، واتفاقية حقوق الطفل ، ومعاهدة حظر الألغام ، واتفاقية القضاء على التمييز العنصرى ، ومعاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية ، وشروط المراقبة والاختبارات المطلوبة وفقاً لإتفاقيتى الأسلحة الكيميائية والبيولوجية ، والميثاق الدولى للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للأمم ، والمعاهدة المطروحة للحد من الاستخدام العسكرى للفضاء الخارجى.. هكذا وضعت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها فوق القانون ، بما فى ذلك القوانين التى تطبقها الولايات المتحدة نفسها لملاحقة الآخرين قضائياً ، تحت شعار : «أمريكا هى قائدة العالم الحر » .. !

ويستنكر ماكمورترى استمرار عملية القتل الجماعى المقننة فى العراق ، وعدم إقرار مسئول واحد فى إدارة الرئيس بوش الابن بهذه الجريمة العظمى .. يقول : كما حدث لحقيقة ما جرى فى ١١ سبتمبر ، بات الإنكار هو العرف ، وصورة البلاد هى الشأن الجماهيرى الأول ، والامتداد المستمر والثابت لأيدى الجريمة العسكرية التى ترتكبها الولايات المتحدة هو الأمر الذى يجب أن يطاع . . !

* * *

وتحت عنوان «عقيدة أمريكا التى تبرر كل شىء» .. يطرح ماكمورترى عقيدة الدولة العظمى التى تتحكم فى الأفكار الجماهيرية المقبولة فى أمريكا بعد ١١ سبتمبر .. وهى :

١- أمريكا هى الخط المتحرك للخير والحرية فى العالم .. ولذلك :

٢- كل من يعارض أمريكا هم الأعداء والأشرار .. ولذلك :

٣- أمريكا الحرة والخيرة لابد وأن تنتصر على العدو الشرير لتحمى العالم .. ولذلك :

٤- يجب أن تحتفظ أمريكا بتفوقها العسكرى وأن تنوى استخدام قواتها المسلحة.. ولذلك :

٥- يجب على القائد الأعلى لأمريكا أن يحقق ما قد يطلبه منه الرب .. ولذلك :

٦- يستحيل أن تقترف أمريكا ورئيسها أية جرائم حرب ضد الآخرين .

يقول ماكمورترى : هكذا تم إطلاق حروب ما بعد ١١ سبتمبر فى عالم أخلاقى ، تتقاطع فيه الخطط الإلهية بالتاريخ .. وتحركت الولايات المتحدة بصفتها أمة الرب المختارة فى العصر الراهن بسرعة لتحقيق مهمتها الكبرى ، ألا وهى تحرير الشعوب فى كل بقاع العالم إلى أرض حرية السوق والديمقراطية الموعودة ..!

إنهم يعتقدون أن أمريكا هى « الدولة المنقذة للعالم » .. «قائدة العالم الحر ».. « التى تعمل لتحرير كل الشعوب » .. « دولتنا العظيمة تلك ، هى أعظم دولة فى العالم » .. والإشارة الإلهية للمؤمنين بعقيدة أمريكا هى أن القائد الأعلى يتخذ قراراته دائماً بوحى من الرب ، فلم يحدث أبداً أن فشل قرار حيوى فى الحصول على الرضا الإلهى .

يضيف : بالطبع هذه العقيدة هى عقيدة وثنية من حيث المبدأ.. لكن يستحيل على المؤمنين بها إدراك ذلك ، بل انهم يحاولون إجبار الاخرين على القبول بها ، ويستخدمون لتحقيق ذلك أسلحة قتل جماعى تتخطى الحدود الطبيعية ، وتطلق على أكثر مظاهر عدم المساواة وضوحاً فى التاريخ اسم « عظمة أمريكا » .. « إن رب أمريكا هو رب غيور لا يقبل المعارضة » . ! !

هذا النظام الفكرى المنغلق تستتبعه عواقب تاريخية وخيمة على الواقع .. دولة عظمى تمتلك كل القوة ، وكل المعرفة ، والغيرة.

تحكم العالم وفقاً لتصورات لا يعلمها أحد.. تلك هى الولايات المتحدة .. تحذير الحياة أو الموت لكل الناس هو : « أنتم إما معنا وإما إرهابيون» .. !

* * *

- وبعد .. إن الشهادات التى وردت فى كتاب « الحادى عشر من سبتمبر والإمبراطورية الأمريكية - المفكرون يتحدثون » تستحق أن يتم تشكيل لجنة دولية محايدة من كبار الخبراء للتحقيق فيها ، وأن يكون لهذه اللجنة الحق فى الحصول على كافة المعلومات والحقائق المتعلقة بما حدث يوم ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١.. لقد تأسست فى الولايات المتحدة منظمة جديدة تسمى «علماء من أجل حقيقة أحداث ١١ سبتمبر » .. لعل تأسيس هذه المنظمة يكون بداية مرحلة جديدة لكشف أكبر خدعة فى تاريخ العالم .. !!

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى١٥/ ١٠/ ٢٠٠٨

الفصل الثانى

شهادات أمريكية

"هناك أدلة قوية للغاية تثبت أن هجمات ١١سبتمبر هى عملية زائفة ، تم تدبيرها من قوى داخل الحكومة الأمريكية لحشد الدعم اللازم لشن ما يسمى بـ "الحرب على الإرهاب " ضد المسلمين والعرب" ..

ديفيد راى جريفين

أستاذ بكلية كليرمونت فى ولاية كاليفورنيا

"إن ما قامت به حكومتنا تجاه أحداث ١١ سبتمبر كان فى الواقع عرقلة البحث عن الحقيقة! ."

كارتر هايورد

كاتبة أمريكية معروفة

"إن عشرة أفراد من بين الـ ١٩ المتهمين بخطف الطائرات الأربع يوم ١١ سبتمبر ، تم التأكد من أنهم مازالوا أحياء ، وأنهم لم يكونوا على متن هذه الطائرات المختطفة ، وأن جوازات سفرهم مسروقة" ..

نافيز مصدق أحمد

المدير التنفيذى لمعهد البحوث السياسية ببرايتون

(١)

■ لعله واحداً من أهم الكتب التى صدرت على مستوى العالم فى السنوات الأخيرة ..

اسم الكتاب : «الحادى عشر من سبتمبر والإمبراطورية الأمريكية» .. اشترك فى كتابته ٢٨ عالماً ومفكراً وأستاذاً جامعياً فى الفيزياء ، والهندسة ، والبناء ، والعلوم العسكرية ، والفلسفة ، واللاهوت ، والأديان ، والحضارات .. معظمهم من الولايات المتحدة الأمريكية ..

الكتاب صدر عام ٢٠٠٧ فى جزءين عن دار نشر أمريكية اسمها : **Interlink Publishing Group, Inc..** ثم قامت "دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع " بترجمته إلى العربية ، وأصدرت الجزء الأول منه عام ٢٠٠٨ ، والجزء الثانى عام ٢٠٠٩ .. وقد قدمت عرضاً لما جاء فى الجزء الأول من هذا الكتاب فى ٥ مقالات نشرت بجريدة الجمهورية فى الفترة من ٢٠٠٨/٩/١٧ إلى ٢٠٠٨/١٠/١٥ .. وكان يتضمن شهادات ومقالات تحت عنوان فرعى للكتاب هو " المفكرون يتحدثون " .. أما الجزء الثانى فهو يحمل عنوانًا فرعيًا آخر هو : «المسيحيون واليهود والمسلمون يتحدثون» .. ذلك لأنه يجمع بين دفتيه شهادات علماء ومفكرين ينتمون إلى الأديان الثلاثة ، حول أحداث ١١سبتمبر ..

قيمة الكتاب تتمثل فى أنه يطعن بقوة فى الرواية الرسمية التى قدمتها الإدارة الأمريكية فى عهد الرئيس بوش الابن لأحداث ١١ سبتمبر .. ويبرهن بالحجج والأسانيد العلمية على كذب هذه الرواية .. بل إنه يقدم لنا عدداً من الدلائل الملموسة التى لا تقبل الشك ، على تورط هذه الإدارة فى التخطيط والتنفيذ لما جرى فى نيويورك وواشنطن يوم ١١سبتمبر عام ٢٠٠١ .. ويشرح الهدف الذى من أجله فعلت ذلك ..!

أهمية الكتاب تتمثل فى كون هذه الحجج والأسانيد والدلائل .. تنطلق من الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، وليس من إحدى دول العالم الإسلامى المتهم بارتكاب أحداث ١١سبتمبر ! .. وتأتى على ألسنة نخبة من العلماء والمتخصصين وأساتذة الجامعات الأمريكية ، وليس على ألسنة أحد من الدول الإسلامية ..!

بذلك ، فإن هذا الكتاب يقدم إلى العالم " أدلة البراءة " التى تثبت أن المسلمين أبرياء من أحداث ١١سبتمبر ، براءة الذئب من دم ابن يعقوب ..!

بل لعله يعيد توجيه بوصلة الحملة العالمية على الإرهاب .. لتتخذ وضعها الصحيح ضد المجرمين الحقيقيين الذين دبروا ونفذوا أحداث ١١ سبتمبر ، لتكون مبرراً لشن الحرب على المسلمين ، وتدمير بلادهم وقتل وتشريد الملايين من أبنائهم ..!

* * *

إن كتاب « الحادى عشر من سبتمبر والإمبراطورية الأمريكية » .. هو أول "مستند" موثق بالحقائق العلمية .. ملموس .. نستطيع أن نمسكه بأيدينا ونرفعه فى وجه كل من يتهمنا بالإرهاب .. أو يقرن الدين الإسلامى بالإرهاب ..



إحسان أوغلو





داليا إبراهيم

لذلك .. فإننى أكرر التحية إلى الأستاذة داليا محمد إبراهيم رئيس مجلس إدارة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع[1] ، التى أشرفت على ترجمة وطبع ونشر هذا الكتاب باللغة العربية .. وإلى فريق العمل بالدار الذى أخرجه لنا فى هذه الصورة الرائعة ، التى تضمنت نبذة عن كل عالم ومفكر شارك فى كتابة الكتاب ، لنتأكد أنهم من صفوة العلماء والمفكرين فى الولايات المتحدة ..

التحية واجبة إلى الأستاذة داليا محمد إبراهيم ، التى تستحق بهذا العمل العظيم أن يكتب اسمها بأحرف من نور فى سجل الناشرين العرب ..

وبهذه المناسبة .. فإننى أتقدم باقتراح إلى الصديق الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامى[2] ، لتخصيص جائزة رفيعة تمنح سنويًا باسم المنظمة إلى الناشر الذى يقدم أفضل عمل لخدمة قضايا المسلمين فى العالم .. " وفى ذلك فليتنافس المتنافسون – صدق الله

(١) الاسم الجديد لدار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع هو : «دار نهضة مصر للنشر» ..
(٢) الاسم الجديد لمنظمة المؤتمر الإسلامى هو : «منظمة التعاون الإسلامى » .

العظيم " .. ذلك لأن الأمة الإسلامية تواجه حملة شعواء لتشويه صورتها في العالم .. وبالتالى يجب تشجيع الناشرين على تقديم الأعمال التى من شأنها الدفاع عن قضايا المسلمين .. كالكتاب الذى بين أيدينا : " الحادى عشر من سبتمبر والإمبراطورية الأمريكية " ..

* * *

الجزء الثانى من هذا الكتاب .. قام بتحريره ثلاثة أساتذة فى الجامعات الأمريكية :

- الأول : كيفين باريت .. الذى قام بتدريس تاريخ الحضارات الإنجليزية والفرنسية والعربية والأمريكية والأدب الأفريقى ، بجامعات سان فرانسيسكو وباريس وماديسون بولاية ويسكنسون .. وهو حاليًا يتزعم موقعا اليكترونيا للبحث عن حقيقة أحداث ١١ سبتمبر ..
- الثانى : جون بى كوب الابن .. وهو أستاذ فخرى بكلية كليرمونت للاهوت ..
- الثالث : ساندرا لوبارسكاى .. وهى أستاذة الدراسات الدينية بجامعة أريزونا الشمالية ..

فى التمهيد للكتاب الذى كتبه الأساتذة الثلاثة .. قالوا: إن أحداث ١١سبتمبر حولت دفة الانتباه العالمى بعيدًا عن المشكلات الحرجة التى يواجهها العالم ، موجهة إياها نحو «الحرب على الإرهاب» التى يبدو أنها صممت لكى تكون دائمة ..!

- قالوا أيضًا : إن المشهد التليفزيونى المذهل لأحداث ١١سبتمبر ، تم إعداده وتنسيقه بطريقة تحرض على كراهية المسلمين .. فهو يركز اهتمامنا على الطائرات التى تحلق مقتحمة برجى مركز التجارة

العالمى، وهى الطائرات التى قيل إن الذين كانوا يقودونها مسلمون .. بينما يتجاهل العديد من المشكلات التى ترتبط بمثل هذا التفسير ، مثل تقارير شهود العيان عن الانفجارات ، والانهيار المتماثل للبرجين بسرعة تضاهى سرعة السقوط الحر ، بالإضافة إلى الفولاذ المنصهر بفعل نيران ، لم يكن من الممكن لها أن تتسبب حتى فى إضعافه .. ناهيك عن صهره .. ومن الأسباب وراء عدم الاهتمام التام تقريبا بالطعن فى التفسير الرسمى ، إن أى تفسير بديل من شأنه ألا يلقى باللائمة على المسلمين ، بل يلقى بها على المسئولين فى الحكومة الأمريكية ..!

- وقالوا أيضا : إن أحداث ١١سبتمبر من شأنها أن تخلق العداوة بين الديانات الإبراهيمية الثلاث ، لذلك فإن الحاجة شديدة إلى تولى المسيحيين والمسلمين واليهود زمام المبادرة فى الحوار حول حقيقة تلك الأحداث ..

- وقالوا : لقد حرضت أحداث ١١ سبتمبر على الكراهية بين الأديان ، كما وفرت الحجة المناسبة للعدوان الإمبريالى .. بل إن حكومتنا استغلت تلك الأحداث لملء نفوسنا بالخوف حتى يسهل التلاعب بنا .. ويتخلى الناس عن حرياتهم المدنية .. ويسمحوا بقتل أبنائهم فى حرب لا طائل من ورائها .. بل حرب فاشلة ومكلفة للغاية ..!

- وقالوا : بصفتنا شخصيات دينية ، فنحن فى موقع فريد من حيث تأثيره وقدرته على كسر حاجز الخوف الذى يغذى الإمبراطورية .. إذا مشينا فى رحاب الله ، فلن يكون لدينا سبب للخوف ، وبمثل هذا الإيمان يمكننا تحريك الجبال ، والتوصل إلى معرفة حقيقة ما جرى فى أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١ .

أمـا إذا لم نـنجح فى اخـتـراق سـتـار الغـمـوض الذى يكتنف هذه الأحداث .. فسوف نظل مشتتين فى قضايا ليس لها صلة بالحقيقة .. مـثل التـهـديد المزعوم بـالإرهـاب ، الذى يمكن للإدارة تعـمـيـقـه كلمـا احتـاجت إلى توجيه الانتباه بعيدا عن أخطائها الواضحة للعيان .. ويمكنها تعميقه أيضاً من خلال " صدام الحضارات " المفبرك .. سوف نظل نضـخ مليارات الدولارات نحـو التقنيات التى تقتل الناس ، فى حين نمتنع عن ضخ أقل القليل من التمويل لكى ننجو بأنفسنا وننقذ كـوكـبنا .. إن واصلنا السـير فى هذا الطريق ، فنحن جنس مـقـضى عليه لا محالة .. !

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٢٥/ ٨/ ٢٠١٠

(٢)

■ هذا هو الجزء الثانى من كتاب " الحادى عشر من سبتمبر والإمبراطورية الأمريكية" ، الذى اشترك فى كتابته ٢٨ عالماً ومفكراً أمريكياً .. كذبوا فيه الرواية الرسمية التى قدمتها الإدارة الأمريكية فى عهد الرئيس بوش الابن لأحداث ١١ سبتمبر ، وقدموا دلائل قوية على تورط هذه الإدارة فى التخطيط لهذه الأحداث وتنفيذها ..

سأعرض اليوم جانباً مما كتبه العلماء والمفكرون المسيحيون فى هذا الجزء من الكتاب :

١- جون بى كوب الابن .. أستاذ فخرى بكلية كليرمونت الأمريكية للاهوت ، وقس بالكنيسة الميتودية المتحدة .. كتب الفصل الأول من الكتاب تحت عنوان : "الشر الناجم عن المعتقدات الخاطئة" .

- يقول فيه : يصعب على معظم الأمريكيين الاعتقاد بأن بعض الأفراد فى الإدارة الأمريكية قد شاركوا فى أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، لأن الهجمات التى شنت على مركز التجارة العالمى والبنتاجون فى ذلك اليوم ، تم تصويرها على نحو بشع ، لدرجة جعلت الناس يعتقدون أنه لايمكن لأحد الإقدام على ارتكاب مثل ذلك العمل ، إلا هؤلاء الممعنين فى الشر .. ولما كان الأمريكيون مهيئين إلى تصور وجود بعض العرب والمسلمين الذين يملأ الشر جوانحهم بما يكفى للإقدام

على هذا العمل ، ويرفضون تصور أن يكون أى أمريكى لديه هذا القدر من الشر .. فإنهم لا يتقبلون احتمالية تورط أى مسئول بالإدارة الأمريكية فى هذه الأحداث ، ويقبلون بالتفسير الرسمى الذى قدمته الإدارة ، طالما أنه يلقى باللوم على المسلمين وليس الأمريكيين .. !

ثم يستعرض الكاتب رؤى المحافظين الجدد بالولايات المتحدة الأمريكية ، الذين ينظرون إلى الولايات المتحدة على أنها بوتقة الديمقراطية والعدالة فى العالم ، وأن رسالتها هى نشر الديمقراطية والحريات الشخصية فى جميع الدول عن طريق الهيمنة التامة على العالم .. بحيث لا توجد قوة أخرى فى أى مكان تكون قادرة على تحدى الولايات المتحدة .. هذا يتطلب زيادة الانفاق العسكرى لكى تتمتع الولايات المتحدة بتفوق عسكرى هائل فى البر والبحر والجو والفضاء .. وأن يقتصر استخدام الأسلحة النووية على الولايات المتحدة وحلفائها المقربين .. كما يتطلب دعم الشعب الأمريكى لاستخدام القوة من أجل فرض السلام الأمريكى .. ينبغى ألا يعرقل الولايات المتحدة الرأى العام العالمى أو الأمم المتحدة أو المعاهدات الدولية ، لكى تتمتع بمطلق الحرية فى استخدام قوتها لتطبيق سياستها .. .

وبعد أن يشير الكاتب إلى أن رؤى المحافظين الجدد كان لها تأثير عميق على إدارة الرئيس بوش الابن .. يقول إن العقبة الرئيسية التى كانت تواجه تطبيق هذه الرؤى ، هى الرأى العام الأمريكى الذى لايدعم الحروب الخارجية ، إلا إذا اقتنع أن الدول الأخرى تهدد أمن الولايات المتحدة ..

ثم يتساءل : إذن ما المطلوب للحصول على دعم الرأى العام الأمريكى لشن حروب خارجية ؟ ..

- يقول : الإجابة بسيطة .. لابد أن نتعرض لهجوم .. على أن يكون هذا الهجوم مأساوياً وخطيراً لكى يقتنع الأمريكيون أنه ليس مجرد عمل فردى ، يمكن معاقبة مرتكبيه ثم نسيانه .. ولكنه جزء من تهديد طويل الأمد ، يستلزم منهم أن يكونوا دائماً وأبداً على أتم استعداد لمواجهته .. سوف يؤدى الهجوم على مركز التجارة العالمى والبنتاجون إلى استنفار الرأى العام الأمريكى وإتاحة الفرصة للإدارة الأمريكية لتبدأ مهمتها فى الخارج .. إن الأمر سيكون مكلفاً من حيث الخسائر البشرية والمادية ، لكن هذه التكلفة تعتبر تافهة إذا ما قورنت بالمكاسب التى ستتحقق من ورائها ..

* * *

هكذا يشرح الكاتب الأسباب التى دفعت إدارة الرئيس بوش الابن إلى التخطيط لهجمات ١١سبتمبر وتنفيذها .. ويبرر غياب الأدلة القاطعة على ذلك ، بأن هذه الإدارة نفسها هى التى عرقلت إجراء أية تحقيقات جادة فى هجمات ١١ سبتمبر . .!

- يقول : من المهم للغاية أن نعلم الحقيقة .. والدين المسيحى كما أفهمه يدعوننى إلى البحث عن الحقيقة .. وبما أن الرواية الرسمية معابة .. والعديد من الأسئلة لا تزال دون إجابات .. فإن إجراء تحقيق فعلى يعد من الأمور الملحة .. فضلاً عن وجود عدد من الأسباب الأخرى التى تدعو إلى ذلك .. منها :

١ - إن قدراً كبيراً من سياستنا الحالية يستند إلى نظرية مشكوك فى أمرها كثيرا بشأن أحداث ١١ سبتمبر .. فقد أقنعت الإدارة الأمريكية الشعب الأمريكى بأن تنظيم القاعدة مسئول مسئولية كاملة عما حدث ، واستخدمت ذلك لتبرير غزوها لأفغانستان وإسقاط النظام هناك .. كما استخدمته أيضاً لحمل الشعب الأمريكى على قبول غزو العراق .. وتوفير الغطاء لمساندة العنف الإسرائيلى ضد الفلسطينيين .. والهجوم على لبنان ..

إن هذه النظرية المشكوك فيها أثارت أيضاً شكوكا كثيرة ضد المسلمين والدول الإسلامية .. وبررت التغيرات التى أدخلت على القانون للسماح للحكومة بالتدخل فى الشئون الدينية .. وقد مورس هذا التدخل على الإسلام بصورة خاصة ، كما تم سلب المسلمين حرياتهم المدنية وتعذيب السجناء منهم ..

كذلك تم إنفاق مليارات الدولارات فى غير موضعها ، وسقطت عشرات الآلاف من الأرواح دون مبرر .. !

٢ - إن الإدراك العام بأن الإدارة الأمريكية تكذب على الشعب الأمريكى ، من شأنه أن يؤدى إلى خلق مناخ غير صحى تماماً ، خاصة مع التقاء ثقافة الفساد الحالية فى الكونجرس مع ثقافة الخداع داخل الإدارة .. إننى أعتقد أن معظم الشرور فى العالم تنتج عن المعتقدات المغلوطة ، لا عن شر الفرد .. إن الشر الذى تسبب فيه بعض الأفراد ممن لهم توجهات سادية يعتبر طفيفاً عند قياسه بالفظائع الهائلة التى شهدها التاريخ ..

٣ - إن إخفاء حقيقة ما حدث فى ١١سبتمبر ، سيساعد على استمرار الجدل العام بشأنها .. وحتى الذين يعتقدون أن الهيمنة الأمريكية

على العالم من شأنها أن تكون مفيدة للولايات المتحدة وللعالم أجمع ، فإن عليهم أن يحذروا الوصول إلى هذه الغاية بارتكاب أعمال مروعة ، لأن فى ذلك سببا كافيا للتخلى عن تحقيق هذه الغاية ..

إن السلام على الطريقة الأمريكية هو من المنظور المسيحى هدف كاذب فى الأساس .. وهو ما نطلق عليه - نحن علماء اللاهوت - وثنا .. هذا الوثن ما هو إلا خير محدود ينظر إليه على أنه: منتهى الخير .. !

لا يزال علينا فى الولايات المتحدة أن نعمل من أجل تحقيق ديمقراطية حقيقية .. لأننا الآن نبتعد بالفعل عن الحكم الصادق للشعب .. نحن اليوم أقرب إلى " البلوتوقراطية " ، أو حكم الأثرياء ، أكثر منا إلى الحكم الديمقراطى .. !

إن الولايات المتحدة تستغل أشكال الديمقراطية فى جميع أنحاء العالم من أجل السيطرة على النظم الاقتصادية للشعوب الأخرى .. وعندما لا تفلح فى ذلك .. فإنها تطيح حتى بالحكومات التى يتم انتخابها انتخاباً ديمقراطياً .. ولا يمكن مطلقا للهيمنة الأمريكية العالمية التى تم اكتسابها بهذه الطريقة ، أن تأتى بعالم ديمقراطى حقاً .. !!

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ١/ ٩/ ٢٠١٠

(٣)

■ الفصل الثانى من الجزء الثانى من كتاب "الحادى عشر من سبتمبر والإمبراطورية الأمريكية " الذى نقدم له عرضا موجزا فى هذه المقالات ، كتبه ديفيد راى جريفين .. وهو استاذ فخرى فى فلسفة الدين واللاهوت بكلية كليرمونت فى ولاية كاليفورنيا ، ومفكر أمريكى مرموق .. ألف ٣٠ كتاباً ، وشارك فى تحرير الجزء الأول من هذا الكتاب الذى نعرضه هنا ..

فى هذا الفصل .. يقول جريفين : هناك أدلة قوية للغاية تثبت أن هجمات ١١سبتمبر هى عملية زائفة ، تم تدبيرها من قوى داخل الحكومة الأمريكية لحشد الدعم اللازم لشن ما يسمى بـ "الحرب على الإرهاب " ضد المسلمين والعرب .. لكن الكثير من الأمريكيين يرفضون النظر فى هذه الأدلة ، لأنهم لا يمكن أبدا أن يتصوروا ، إمكانية قيام القادة السياسيين والعسكريين فى الولايات المتحدة بإرتكاب تلك الجريمة البشعة .. !

* * *

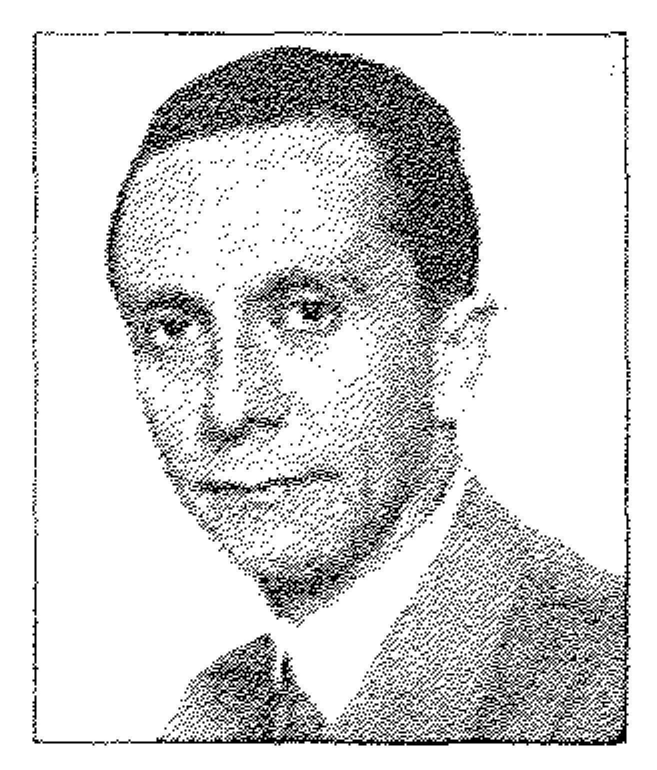
لذلك .. يسوق لنا جريفين فى هذا الفصل أمثلة من التاريخ ، لعدد من الجرائم التى دبرتها ونفذتها حكومات بعض الدول ، وألصقت

تهمة القيام بها إلى أطراف أخرى وصفتها بالإرهابية .. لتكون هذه الجرائم ذريعة لتنفيذ مخططات تريدها تلك الحكومات .. وهذا بالضبط ما فعلته حكومة بوش الابن فى هجمات ١١ سبتمبر .. !

- من هذه الأمثلة .. نسف خط السكك الحديدية فى منطقة "منشوريا" بالصين يوم ١٨ سبتمبر عام ١٩٣١ .. حيث قام الجيش اليابانى بهذه العملية ، وألقى بالتهمة على الجنود الصينيين الذين كانوا قد نجحوا بقيادة تشيانخ كاى شيك ، فى اتخاذ عدة خطوات ملموسة نحو توحيد الصين ، الأمر الذى أثار المخاوف لدى اليابان التى كانت تحتل الصين فى ذلك الوقت .. فقامت بتنفيذ هذه العملية لتكون ذريعة لسحق حركة التحرر الصينية .. !

- مثال آخر .. هو حريق مقر البرلمان الألمانى "الرايخستاج" فى برلين مساء ٢٧ فبراير عام ١٩٣٣ ، بعد مرور أقل من شهر واحد على تولى هتلر السلطة فى ألمانيا .. فمن المعروف أن الذى دبر هذا الحريق وأشرف على تنفيذه هما : هيرمان جورينج رئيس البرلمان ، وجوزيف جوبلز وزير الدعاية فى عهد هتلر ، وتم تنفيذه بواسطة أفراد من قوات خاصة كانت تعرف باسم " قوات العاصفة " .. ثم تم توجيه التهمة بعد ذلك إلى الحزب الشيوعى الألمانى ، ليكون الحريق مبررًا لاضطهاد غير مسبوق .. لازال يمارس حتى الآن فى ألمانيا ضد الشيوعيين وحزب العمال الديمقراطى الاشتراكى والمفكرين


هتلر


جوبلز

وقادة الأحزاب ! .. حيث اتخذ هتلر من الحريق سببا لاعتقال الآلاف ممن ناصروا حركة العمال ، وأغلق كافة الصحف ذات التوجه اليسارى ، كما أصدر قرارين عرفا باسم " قرارى الحريق " ، تم بموجبهما إلغاء الحقوق المدنية التى كفلها دستور جمهورية فايمار .. ويعتبر المؤرخون أن هذين القرارين شكلا الأساس الذى قام عليه النظام الديكتاتورى لهتلر ..

* * *

ثم يسوق لنا جريفين أربعة أمثلة من التاريخ ، قام فيها رؤساء الولايات المتحدة بالكذب على الشعب الأمريكى من أجل الحصول على دعمه لخوض حرب ما ..!

- أول هذه الأمثلة ..الحرب الأمريكية المكسيكية التى استمرت من عام ١٨٤٦ إلى عام ١٨٤٨ .. كان رئيس الولايات المتحدة فى تلك الفترة هو جيمس بولك ، وكانت لديه نزعة توسعية ويرغب فى ضم كل من ولايتى كاليفورنيا وتكساس من المكسيك إلى الولايات المتحدة .. فطلب من المكسيك شراء كاليفورنيا ، لكن المكسيك رفضت .. فطلب من الجيش الأمريكى بناء حصن فى منطقة اسمها : "ريو جراند " تقع على مسافة ١٥٠ ميلاً داخل حدود المكسيك .. وعندما تصدى المكسيكيون لجنود الجيش الأمريكى .. ذهب بولك إلى الكونجرس الأمريكى وأخبره بأن «المكسيك أراقت دم الأمريكيين على أراض أمريكية » !! .. هكذا حصل على تأييد الكونجرس بدخول الحرب ضد المكسيك .. وقد وصف أحد أعضاء الكونجرس الأمريكى ذلك -

وهو إبراهام لينكولن الذى أصبح بعد ذلك رئيساً للولايات المتحدة - بـ «الخديعة الكبرى » . .!

وقد انتهت هذه الحرب بانتصار الولايات المتحدة على المكسيك ، وتوقيع اتفاقية سلام معها عام ١٨٤٨ .. تخلت فيها المكسيك عن جزء كبير من أراضيها ، هو ما يعرف الآن بولايات: كاليفورنيا ، وأريزونا ، ونيفادا ، ونيو مكسيكو ، ويوتاه ، وجزء كبير من ولاية كولورادو .. وذلك مقابل ١٥ مليون دولار فقط .. وهو مبلغ صغير إذا ما قورن بعرض الولايات المتحدة على أسبانيا مبلغ ١٠٠ مليون دولار لشراء كوبا ! .. يقول جريفين:" هذا يعنى أن الولايات المتحدة اختلقت هذه الحرب لسرقة ما يقرب من نصف أراضى المكسيك " ..!

- المثال الثانى .. هو الحرب الأمريكية -الأسبانية - الكوبية .. التى دخلتها الولايات المتحدة طمعًا فى ضم كوبا اليها بعد أن رفضت أسبانيا بيعها للأمريكيين .. ولكى يحصل الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت وليام ماكينلى على دعم الكونجرس وموافقته على تخصيص الأموال اللازمة للحرب .. أرسل السفينة الحربية " يو إس إس مين " إلى ميناء هافانا فى أوائل عام ١٨٩٨ ، وبعد أسبوعين فقط انفجرت السفينة وغرقت مما تسبب فى مقتل ٢٦٠ جندياً كانوا عليها .. وألقيت المسئولية على أسبانيا .. وألهبت الصحف الأمريكية مشاعر الشعب

الأمريكي ، حتى أصبح الشعار القومى هو :" تذكروا حادثة مين " ، "فلتذهب أسبانيا إلى الجحيم" .. هكذا استغل ماكينلى الحادث وحصل على الدعم اللازم لدخول الحرب .. ثم تبين بعد ذلك - من خلال تحقيق أجرته البحرية الأمريكية نفسها فى عام ١٩٧٦ - أن الأمريكيين هم أنفسهم الذين فجروا السفينة !! ..

- المثال الثالث .. الحرب الأمريكية على الفلبين .. التى جرت فى عام ١٨٩٩ ، و فقدت الفلبين فيها ربع مليون من أبنائها بسبب مؤامرات الحكومة الأمريكية من أجل السيطرة على جزر الفلبين ، حيث كانت تنظر اليها على أنها الممر إلى أسواق الصين الشهيرة .. لقد خاضت الولايات المتحدة هذه الحرب ضد سكان الفلبين الذين كانوا بالأمس القريب حلفاء للولايات المتحدة فى حربها ضد أسبانيا .. وما حدث فى هذه الحرب عبر عنه الرئيس الأمريكى وليام جيمس بالقول : "لعنة الله على الولايات المتحدة لسلوكها المتدنى فى الفلبين" .

- المثال الرابع .. هو حرب فيتنام التى حوت سجلاً كبيرًا من أكاذيب الإدارة الأمريكية على الكونجرس والشعب الأمريكى .. واستمرت ثمانى سنوات .. سقط فيها مايزيد على ٥٨ ألفا من الجنود الأمريكيين ، وقرابة مليونى فيتنامى ..

- لعل حرب أفغانستان أصبحت فيتنام أخرى للأمريكيين .. لأنها قامت أيضاً على أكاذيب ..

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٨/ ٩/ ٢٠١٠

(٤)

■ تحت عنوان " الأوهام المدمرة " كتبت كارتر هايورد الفصل الثالث من الجزء الثانى من كتاب "الحادى عشر من سبتمبر والإمبراطورية الأمريكية" ، الذى نقدم له عرضاً موجزاً فى هذه السلسلة من المقالات .. هذا الكتاب يتضمن أدلة قوية على أن هجمات ١١ سبتمبر هى من تدبير إدارة الرئيس بوش الابن وقوى اليمين المحافظ فى الولايات المتحدة الأمريكية .. وكارتر هايورد هى كاتبة أمريكية معروفة .. خاضت معارك كثيرة من أجل تحقيق العدل والسلام داخل الولايات المتحدة وخارجها ، كما أنها أستاذة فخرية للاهوت بكلية اللاهوت الأسقفية بجامعة كامبريدج فى ولاية ماساتشوستس الأمريكية ..

تقول كارتر : إن هجمات ١١ سبتمبر كانت أكثر لحظة صادمة فى حياتها .. وتسوق لنا شهادة الرئيس السابق لجهاز المخابرات الداخلية فى ألمانيا إيكيهارت فيرندباك التى نشرت فى صحيفة «أمريكان فرى برس» - عدد ٤ ديسمبر ٢٠٠١ - ، ويقول فيها : (« الدقة القاتلة» و « حجم التخطيط» وراء هجمات ١١ سبتمبر ، كانت تتطلب «سنوات من التخطيط» ، فعملية على هذا المستوى من التعقيد كانت تستلزم «الإطار الصارم» الذى يعمل به فى التنظيم الاستخباراتى لأى دولة .. الأمر الذى لا يتوفر لدى "مجموعة مهلهلة " من الإرهابيين) .. ! .

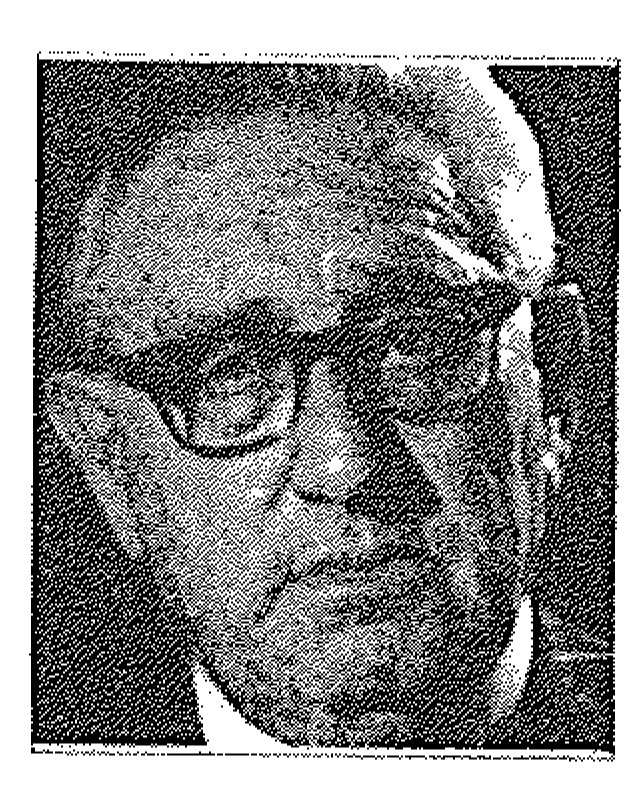
ثم تقول كارتر: بقدر نفورنا من احتمال ضلوع الولايات المتحدة الأمريكية فى التخطيط لهجمات ١١ سبتمبر .. بقدر ما ننفر من إحجام الحكومة الأمريكية عن التحقيق فى تلك الهجمات بدقة وعلانية .. لقد كان يفترض أن تؤدى لجنة التحقيق فى هذه الهجمات عملها على الوجه الأكمل ، لكنها فى الحقيقة كانت تعمل تحت ضغوط سياسية واجتماعية هائلة من أجل إجراء هذا التحقيق فى الإطار الذى يمكن للسواد الأعظم من الرأى العام الأمريكى تقبله وتصوره ..

وبالتالى ، فإن ما قامت به حكومتنا تجاه أحداث ١١ سبتمبر كان فى الواقع عرقلة البحث عن الحقيقة ! .. هذه "العرقلة " ليست أسلوباً جديداً فى السياسة الخارجية الأمريكية .. ففى النصف الثانى من القرن العشرين ، بنت الولايات المتحدة الأمريكية سياستها على الأكاذيب وإخفاء الحقائق ! ..

من أمثلة ذلك : الانقلاب الذى شهدته جواتيمالا عام ١٩٥٤ ، والذى أسفر عن الإطاحة بالرئيس المنتخب ديمقراطيا أربندى ، لمجرد أنه لم يكن يروق للأمريكيين .. كذلك إنقلاب تشيلى عام ١٩٧٣ ، الذى تم بمساعدة من ريتشارد نيكسون وهنرى كسينجر ، للإطاحة بالرئيس ألليندى .. والانتخابات المزعومة التى جرت فى نيكاراجوا عام ١٩٩٠ وأخرجت الاشتراكيين من السلطة بتخطيط من الرئيس بوش الأب ..

نيكسون

كما لا يمكن أن نغفل الدور الذى لعبته الحكومات الأمريكية المتعاقبة فى مساعدة النظم الاستبدادية وحمايتها فى الفلبين ، وجنوب أفريقيا ، وليبريا ، وباكستان .. والعراق أيضاً أثناء حكم صدام حسين فى الثمانينيات عندما كان من مصلحتنا أن نكون أصدقاء له ! ..



كيسينجر

تضيف كارتر : إن القاسم المشترك بين تلك السياقات والأحداث المتفرقة ، والرابط القوى بينها وبين أحداث ١١ سبتمبر ، هو أن تظل الحقيقة وراء ضلوع الولايات المتحدة بها خافية عن الرأى العام . !

وتقول: لا أظن أن أحداث ١١ سبتمبر قد تم الإعداد لها على يد خلية من الأصوليين المسلمين الذين يعملون بموجب تعليمات من قائد يختبئ فى أفغانستان .. أظن أنها كانت أكثر تعقيدا .. وأن كم الأشخاص .. وربما الدول .. الذين شاركوا فيها أكثر مما قد نعرف فى وقت قريب ، أو أى وقت آخر .. ! لكن الأهم بالنسبة لمستقبل عالمنا وأمتنا ، أن نعترف بأن تلك الأحداث كانت نتيجة تزاوج بين التخطيط الرأسمالى العالمى والسياسة الخارجية الأمريكية فى الوقت الحاضر .. وكون أن الأهداف التى ضربتها الهجمات تمثل الرأسمالية وصناعة قرارات الحرب ، فإن ذلك يجعل من تلك الهجمات إشارة صادمة إلى أزمة عالمية ، لم تبدأ بهجمات ١١ سبتمبر ، ولن تنتهى بـ "الحرب على الإرهاب" فى أفغانستان أو العراق أو أى مكان آخر .. !

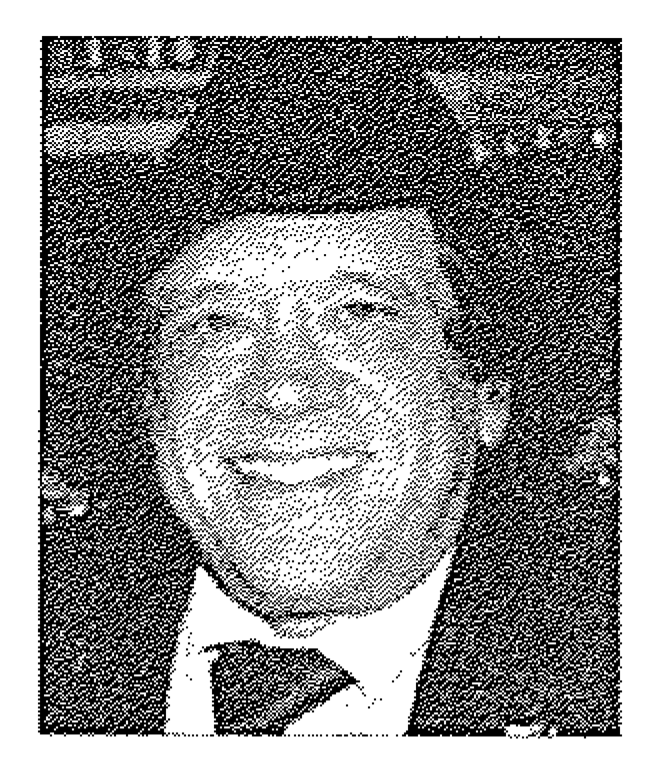
وترى كارتر أن حكومة الولايات المتحدة (فى عهد بوش الابن) كانت تتشكل من تحالف غير مقدس من الأصولية المسيحية والرأسمالية المتقدمة .. وأن "قيام سماسرة السلطة فى الولايات المتحدة بمنح زمام السلطة إلى رئيس بهذا القدر من التدنى الأخلاقى والذهنى يزيد من تفاقم التحديات التى تواجهها الولايات المتحدة والعالم " .. !

ثم تقول : – عار علينا نحن الشعب الأمريكى خنوعنا أمام العنف الذى تصنعه بلدنا ..

– عار علينا أن نترك رواية الحادى عشر من سبتمبر تغلف بغطاء من الأكاذيب والأسرار والصمت باسم " أمن الوطن" .. !

- عار على الكنائس الليبرالية والمنظمات الدينية الأخرى تخليها عن رسالتها وخفض أصواتها فى محاولة واهية للحفاظ على رضاء العميل ..!
- عار على المسيحيين واليهود والمسلمين وأصحاب الأديان الأخرى ، التواطؤ بلا تفكير مع الرأسمالية العالمية المتقدمة ..!
- عار علينا نحن المسيحيين ، وعلى غيرنا لأننا تركنا الخوف يخرسنا ، ولأننا حولنا غضبنا إلى استسلام .. الخوف الذى أخرس تلك الأصوات الساعية من أجل محاسبة الرئيس الأمريكى "بوش الابن" ..!

* * *


الحاخام مايكل ليرنر

من أهم الشخصيات التى شاركت أيضاً فى كتابة الجزء الثانى من كتاب "الحادى عشر من سبتمبر والإمبراطورية الأمريكية " .. الحاخام مايكل ليرنر ، وهو رئيس تحرير مجلة "تايكون" اليهودية التى تصدر فى الولايات المتحدة ومؤلف ١١ كتاباً .. وقد كتب الفصل العاشر تحت عنوان : "ماذا بعد؟ هل سيختلف الأمر إذا ما نجحنا فى كشف أن أحداث ١١ سبتمبر كانت مجرد خدعة ؟" ..

يقول : إننى لست على يقين بما حدث فى١١ سبتمبر .. توجد فجوات هائلة فى القصة المعلنة رسمياً ، وتناقضات تشير إلى أننا لانعرف القصة كاملة .. لن أندهش إذا علمت أن جهازاً ما من أجهزة حكومتنا قد تآمر ، إما إيجابيا بدعم هجمات ١١سبتمبر ، أو سلبيا بالسماح بها ! .. من السهل على الذين تابعوا ردود الفعل السياسية التى قامت على استغلال هذه المأساة ، أن يكتشفوا الدوافع التآمرية وراءها ، والتى ربما أدت بالرئيس ونائبه ، أو جهازا ما من أجهزة الجيش الأمريكى أو وكالة المخابرات الأمريكية أو مكتب التحقيقات الفيدرالى ، أو قوى أخرى مسئولة عن الأمن .. إلى المشاركة بشكل سلبى أو

ايجابى فى مؤامرة لشن الحرب .. لقد علمنا بما لايدع مجالا للشك أن إدارة الرئيس بوش كذبت على الرأى العام الأمريكى ، حتى لايصدم بعدما اكتشف أن هذه الإدارة قد تورطت بشكل فعال فى تنفيذ هجمات ١١ سبتمبر ! ..

يضيف : إننى على أية حال لست من هواة "نظرية المؤامرة " فى تفسير الأحداث .. لكننى فى عام ١٩٧٠ كنت واحدا من المجموعة التى أطلق عليها «سياتل ٧» وأدينت فى محاكمة فيدرالية بتهمة «التآمر واستغلال مرافق التجارة الداخلية من أجل التحريض على الشغب» ، وذلك بسبب مظاهرة نظمتها لمعارضة حرب فيتنام ودعم تحرير السود ، وتحولت إلى أعمال عنف عندما هاجمت الشرطة المتظاهرين .. وقد علمت فى الحال أن المنظمة التى انتمى إليها ، وهى جبهة تحرير سياتل تم اختراقها بواسطة عملاء للشرطة .. وأن بعض هؤلاء الذين كانت ترتفع أصواتهم فى المظاهرة ويقومون بإحداث الشغب ، هم فى الحقيقة مخبرون مدفوع لهم من مكتب التحقيقات الفيدرالى .. وعندما غير أحدهم رأيه وبدأ يفصح عن قصته الحقيقية ، وهى أن مكتب التحقيقات الفيدرالى قد استقطبه من أجل أن يورطنا فى أعمال عنف قد تؤدى ببعضنا إلى القتل .. فهمت أن هذه المؤامرات تحدث بالفعل ، وأن الحكومة الأمريكية تقوم بتمويلها ..!

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ١٥/ ٩/ ٢٠١٠

(٥)

■ كنت أتمنى أن تتسع مساحة مقالى لنشر كل كلمة جاءت فى كتاب " الحادى عشر من سبتمبر والإمبراطورية الأمريكية " بجزأيه الأول والثانى ، الذى اشترك فى كتابته ٢٨ عالماً وأستاذاً ومفكراً أمريكياً .. أجمعوا كلهم على كذب الرواية الرسمية التى قدمتها الإدارة الأمريكية فى عهد الرئيس بوش الابن لأحداث ١١ سبتمبر .. وقدموا دلائل قوية على تورط تلك الإدارة فى هذه الأحداث .. بالتخطيط والتنفيذ ! ..

غير أن ضيق المساحة أجبرنى على أن أختزل ما أحسبه "حقائق مذهلة" .. لم يبق إلا أن ينتبه لها العالم لكى يعرف من هم الإرهابيون الحقيقيون ؟ .. ويعرف أن ما تسمى بـ "الحرب على الإرهاب " ما هى إلا خدعة كبرى .. نسجها اليمين المحافظ فى الولايات المتحدة الأمريكية لشن الحرب على المسلمين .. وللأسف ، شاركت بعض الدول الإسلامية فى تنفيذ هذه الخدعة .. !

لقد عرضت الجزء الأول من هذا الكتاب فى ٥ مقالات نشرت بجريدة الجمهورية فى الفترة من ٢٠٠٨/٩/١٧ إلى٢٠٠٨/١٠/١٥ .. وعرضت الجزء الثانى منه فى ٥ مقالات أيضاً ، أختتمها بمقالة اليوم ..

* * *

في الفصل الـ ١١ من هذا الجزء يصف "كيفين باريت" الرواية الرسمية التى أعدتها لجنة التحقيق الأمريكية فى أحداث ١١ سبتمبر بـ "الأكذوبة" .. ويقول : "ها هى لجنة الحادى عشر من سبتمبر .. التى ينقصها التمويل والصلاحيات فيما هو مدعاة للهزل ، والتى هاجت إدارة بوش وهى تناضل على مدى عامين من أجل عدم إنشائها ، وأعاقت أيضاً تحرياتها العرجاء عند كل منعطف .. هاهى اللجنة قد نشرت رواية تعج بالأكاذيب الصارخة ، وفشلت فشلاً ذريعاً فى أن تجيب على أى من الأسئلة الحقيقية التى برزت على السطح " ! ..

ويرجع باريت السبب فى وقوع أحداث ١١ سبتمبر ، إلى أن المحافظين الجدد فى الولايات المتحدة كانوا بحاجة إلى "حادث صادم ومروع يكون بمثابة بيرل هاربور جديدة " ، لكى يقبل الشعب الأمريكى تقديم تضحيات كبيرة ، تمكن الولايات المتحدة من جمع كل إمكانياتها فى السلة العسكرية ، ثم توجيه تلك الإمكانيات نحو أى عدو محتمل يمكن تصوره ! ..

ثم يقول :" لقد دمر سماسرة المحافظين الجدد الأسطورة التأسيسية لأمريكا التى نعتز بها .. تماماً كما دمروا الأبراج الثلاثة لمركز التجارة العالمى .. ومن مكانهم سعوا لإقامة أسطورة جديدة ، هى أسطورة الحادى عشر من سبتمبر " محرك الحرب التى لن تنتهى فى حياتنا هذه " .. لكن أسطورة الحادى عشر من سبتمبر قد فشلت تماماً ، وها هى قوى الإمبراطورية الأمريكية تتفتت وتنهار" ! ..

* * *

وفى الفصل الثانى عشر ، الذى كتبه نافيز مصدق أحمد - المدير التنفيذى لمعهد البحوث السياسية والتنمية فى برايتون ببريطانيا ، وصاحب أكثر الكتب السياسية مبيعا فى الغرب ، والذى تطلق عليه

"شبكة حرية المجتمع الدولى من أجل حرية الأفراد" ومقرها كاليفورنيا لقب : الخبير العالمى فى الحرب والسلام والشئون الدولية - .. يلفت نظرنا الكاتب إلى المفاجأة التى فجرتها كل من الـ"بى بى سى" ، والـ "سى إن إن" ، و"التليجراف " ، و"الإندبندنت" وبعض وسائل الإعلام الدولية الأخرى .. وهى أن عشرة أفراد من بين الـ ١٩ المتهمين بخطف الطائرات الأربع يوم ١١ سبتمبر ، تم التأكد من أنهم مازالوا أحياء ، وأنهم لم يكونوا على متن هذه الطائرات المختطفة ، وأن جوازات سفرهم مسروقة ! .. مما يفتح الباب واسعا أمام سؤال كبير: إذن من الذى قام بخطف هذه الطائرات ؟!! .. وهل كان على متنها خاطفون فعلاً أم لا ؟ !! ..

* * *

أما فى الفصل الثالث عشر الذى كتبه فايز خان - وهو طبيب وعالم يعيش فى نيويورك - فقد فجر عددا من الأسئلة التى مازالت بلا إجابة إلى اليوم .. منها :

- كيف تم السماح للمختطفين بدخول الولايات المتحدة ، على الرغم من أن أسماءهم مدرجة على قوائم المطلوبين والممنوعين من دخولها ؟ ..
- وفقا لمحادثات الهاتف الخلوى .. لماذا لم تتطابق أرقام المقاعد مع أسماء الخاطفين ؟ .. ولماذا لم تعلن حتى الآن قائمة الركاب الأصلية ؟ .. ولماذا لم يلتقط مراقبو الطائرات فى أبراج المراقبة الأرضية أية إشارة ، أو اتصالات لاسلكية من المختطفين ؟ ..
- وفقاً لنتائج تدريبات الطيران المزعومة .. فإن أيا من الخاطفين لا يمكنه فعلياً التحليق فى الجو بطائرة من طراز بوينج .. فكيف يقال مثلاً إن هانى حنجور قد حلق بطائرة من طراز بوينج ٧٥٧ ، وقام بمناورة دوران حادة بزاوية ٢٧٠ درجة ، ثم حلق بشكل منخفض بمحاذاة الأرض بسرعة

٤٠٠ ميل فى الساعة فأسقط مصابيح الإنارة التى تبعد ٥٠٠ قدم فقط عن البنتاجون ؟ .. على الرغم من أن هانى حنجور بالذات كان مستواه ضعيفا جدا فى مدرسة تدريب الطيران ولم يكن يسمح له بالطيران !! .. لقد علق بعض كبار الطيارين على مسار الطائرة التى قيل إن هانى حنجور سلكه ، فقالوا إن ذلك يكاد يكون مستحيلاً وضرباً من ضروب الخيال .. !

- لماذا تدرب الخاطفون " وهم مسلمون " فى مدارس الطيران التى يمتلكها تجار المخدرات ، الذين على صلة بجهاز المخابرات الأمريكية ، والمعروف أن هذه المدارس هى فى الأصل واجهة لتجارة المخدرات ؟ .. ولماذا تم طمس الحقيقة القائلة بأن المخابرات المركزية الأمريكية هى من جلبت المختطفين إلى الولايات المتحدة ، ودربتهم فى منشآت عسكرية ؟ ..
- لماذا امتنع كبار المسئولين فى البنتاجون عن ركوب الطائرات المدنية فى الأسبوع الذى وقعت فيه أحداث ١١ سبتمبر ؟ ! ..
- وماذا عن الإسرائيليين الذين شوهدوا وهم يرقصون ويسجلون بالفيديو مشاهد حريق مركز التجارة العالمى .. وقد ألقى القبض عليهم وتم استجوابهم .. ورغم الاشتباه فى كونهم عملاء من الموساد ، فقد أطلق سراحهم دون الخضوع للتحقيقات ؟ .. وما السر وراء عيش ٤٠ عميلاً من عملاء الموساد على بعد أمتار فقط من منازل بعض الخاطفين فى مدينة هوليوود الصغيرة بفلوريدا ؟ .. ولماذا أخرس جميع الشهود الذين يعرفون الخاطفين فى فلوريدا من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالى ، أو أجبروا على الاختفاء ؟ !! ..
- لماذا ترك موظف الإتصالات فى القاعدة العسكرية بنيويورك موقعه ، واتصل بشقيقه الذى كان بالبرج الثانى لمركز التجارة العالمى ، وأمره بمغادرة البرج فورا .. هذه الواقعة تثبت أن هذا الموظف كان على علم بالهجوم الوشيك للطائرة الثانية ! ..

- ما الذى صدم البنتاجون ؟ .. لا يوجد أى دليل على اصطدام طائرة بوينج بالبنتاجون ! .. وكاميرات الفيديو التى تراقب كل ما يدور حول البنتاجون على مدار الساعة ، لم يظهر بها أى أثر لأية طائرة ! ..
- كيف نفسر حالة التعطيل والإيقاف التامة لأنظمة الدفاع الجوى المحيطة بالبنتاجون لحظة وقوع الحادث؟ .. وكيف لنا أن نقتنع بالأكاذيب والتناقض فى تصريحات قيادة الدفاع الجوى الفضائى لأمريكا الشمالية ، وإدارة الطيران الفيدرالية ، والقوات الجوية ، وجهاز المخابرات السرية ؟ .. كيف يعقل وجود "لعبة حرب" لها سيناريوهات تقوم على أساس اختطاف طائرة بوينج كالأحداث الحقيقية التى وقعت ؟ .. بسؤال الجنرال إبرهاردت عن ذلك ،أجاب بمنتهى البساطة: "لا تعليق" .. !
- لماذا اتسمت تصرفات الرئيس بوش بالغرابة الشديدة فى ذلك اليوم ؟ .. ولماذا أسند إلى نائبه تشينى تولى أمور الدولة ، بينما نحى بوش جانبا ؟ ..
- لماذا إنهارت البناية رقم ٧ بعد الهجمات بوقت طويل بما يوحى أنها هدمت عن عمد ؟ .. ولماذا قال صاحبها على شاشات التليفزيون :" لقد أخبرونى أنهم مضطرون إلى هدم المبنى"؟ .. ومن هم هؤلاء "المضطرون" ؟ .. ولماذا قال رجال الإطفاء إن البناية ٧ قد هدمت ؟ .. وإن كان هذا قد حدث ، فمتى زرعت المتفجرات ؟ ..
- لماذا شوهد أحد المراقبين بإدارة الطيران الفيدرالى ، وهو يدمر بيانات الرحلات ومعلومات أخرى مهمة لأية تحقيقات ستجرى ؟ ..

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٢٢/ ٩/ ٢٠١٠

الفصل الثالث

الأمريكيون يغتالون الرأى الآخر..!

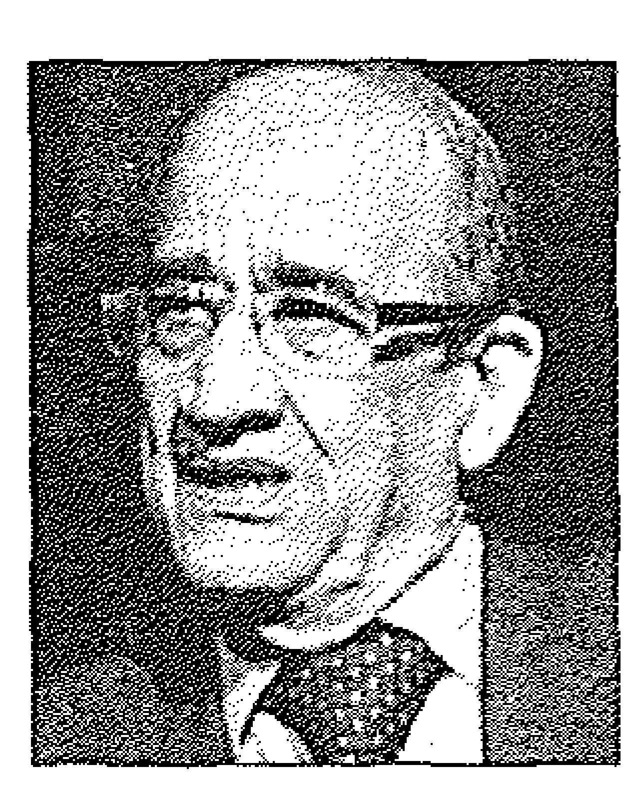
"كان الأمر أشبه بصراع بين من يريد توصيل الحقيقة إلى الناس . وبين قطاع طرق خرجوا عليه يريدون الفتك به لمنع الحقيقة من الوصول إلى الناس .." ..!!

(١)

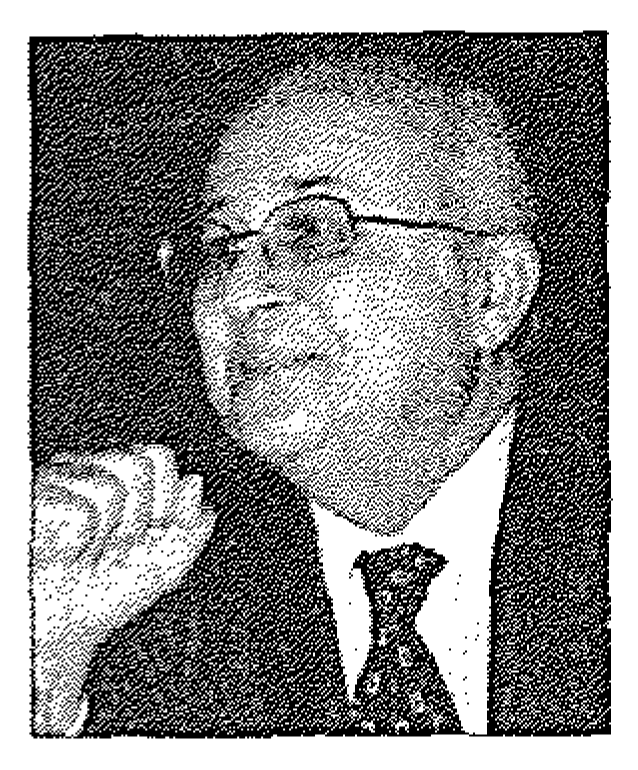
■ كنت واحداً ممن شاركوا فى المؤتمر الذى عقد بمكتبة الأسكندرية فى الفترة من ١٦ إلى ١٨ يونيو عام ٢٠١٠ ، تحت عنوان : "مبادرات فى التعليم والعلوم والثقافة لتنمية التعاون بين أمريكا والدول الإسلامية " . . وقد شارك فى هذا المؤتمر وفود من ٤٠ دولة ، تضم نخب من العلماء ورجال الدين والسياسيين والمفكرين والفنانين وخبراء التعليم وطلبة الجامعات . .

كان الهدف من المؤتمر كما جاء على ألسنة المتحدثين ، هو الآتى :

- عقد شراكات جديدة بين أمريكا والدول الإسلامية لبحث القضايا المشتركة مثل : العيش بكرامة ، والحصول على التعليم ، والتمتع بصحة جيدة ، والعيش فى سلام وأمن . . كما جاء فى رسالة الرئيس الأمريكى باراك أوباما إلى المؤتمر . .
- بناء جسور من مبادرات جديدة بين العالم الإسلامى والولايات المتحدة ، بعد مرور عام كامل على خطاب أوباما إلى العالم الإسلامى الذى ألقاه فى جامعة القاهرة . . كما جاء فى كلمة د . إسماعيل سراج الدين مدير مكتبة الإسكندرية فى افتتاح المؤتمر . .


د. على السمان


فرح بانديث


د. إسماعيل سراج الدين


مارجريت سكوبى

- تحقيق أكبر قدر من التعاون والحوار وتبادل الأفكار مع الدول الإسلامية . . كما جاء فى كلمة السفيرة الأمريكية فى القاهرة مارجريت سكوبى أمام المؤتمر . .
- خلق روابط مع الدول الإسلامية تأتى من الإيمان الكامل لأوباما فى الالتزام بمخاطبة الدول الإسلامية وسماع أفكارها . . كما جاء فى كلمة فرح بانديث الممثلة الخاصة للمجتمعات الإسلامية فى وزارة الخارجية الأمريكية . .

* * *

إلا أن شيئاً من هذه الأهداف لم يتحقق فى المؤتمر .

- لماذا . . ؟

- لأن الأمريكيين الذين جاءوا إلى المؤتمر رفضوا سماع وجهة النظر الأخرى . . اغتالوا "الرأى الآخر" . . منعوا كل من يختلف معهم فى الرأى من التحدث . . واتبعوا فى ذلك كل الوسائل الممكنة بدءا من "الشوشرة" على حديثه ، وانتهاء بقطع التيار الكهربائى عن الميكروفون الذى يتحدث فيه . . !

فعلوا ذلك ، رغم أنه يتناقض مع كل ما قالوه فى كلماتهم أمام المؤتمر . . ويتناقض مع ما جاء فى كلمة الرئيس أوباما للمؤتمر

من " إننا نحتاج إلى جهد متواصل للاستماع والتعلم واحترام بعضنا البعض " . . !

– الدليل على ذلك هو ما حدث معى شخصياً عندما طلبت الكلمة فى الجلسة العامة للمؤتمر التى عقدت مساء يوم ١٦يونيو ٢٠١٠ تحت عنوان : " مناهضة المفاهيم الخاطئة : نظرة ثقافية " . .

كان المتحدثون الرئيسيون الجالسون على المنصة فى هذه الجلسة هم د . على الدين هلال بصفته مثقفاً مصرياً والعميد السابق لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة ، والباحثة الكويتية د . سهام الفريح ، والممثل المصرى خالد أبو النجا ، وكاتب السيناريو الأمريكى هوارد جوردون ، وفنان أمريكى اسمه بيتر ويلر ، وصحفية من أصل لبنانى تعيش فى نيويورك اسمها رغدة ضرغام ، ومطرب أمريكى من أصل باكستانى اسمه سلمان أحمد (كان يعقد شعره على شكل ذيل حصان ويرتدى قبعة كبيرة سوداء ونظارة سوداء، ويضع ساقًا على ساق بطريقة جعلت حذاءه فى مواجهة الجالسين فى القاعة بطريقة غير لائقة) . . وكانت تدير الجلسة د . سينثيا ب شنايدر ، وهى سفيرة سابقة للولايات المتحدة فى هولندا . .

تحدث الجالسون على المنصة طويلاً عن أهمية الثقافة والفن فى التقريب بين الشعوب ، وأهمية استخدامهما لمحاربة المفاهيم الخاطئة . . وقال هوارد جوردون إنه "أنتج مسلسلاً تليفزيونياً فى أعقاب أحداث ١١ سبتمبر ، فى ذروة الغضب الذى يشعر به الأمريكيون تجاه منفذى تلك العمليات الإرهابية ، وهو ما أدى إلى تقديم شخصيات إسلامية فى المسلسل فى صورة إرهابيين " . . !

* * *

كنت أول من طلب الكلمة بعد أن فرغ الجالسون على المنصة من حديثهم ، فأعطتها لى مديرة الجلسة د . سينثيا . .

وقفت أمام الميكرفون ووقف خلفى عدد ممن طلبوا الكلمة مثلى ، يتقدمهم د . على السمان المفكر المصرى المعروف ، والمفكر الليبى المعروف عمر الحامدى مدير المجلس القومى للثقافة العربية . . ثم آخرون . . !

قلت : بسم الله الرحمن الرحيم : " لعله من غير المنطقى أن نتحدث عن مبادرات للتعاون بين أمريكا والدول الإسلامية فى مجالات الثقافة والتعليم . . بينما مازالت أمريكا فى حالة حرب ضد الدول الإسلامية . . إن الأمر يشبه كما لو أن شخصاً قوياً هجم على بيت عائلتى واحتل منه حجرتين . . ثم جاء بعد ذلك يدعوننى للغناء معه . . هل يجوز أن أشترك معه فى الغناء ؟ .. و إذا قدم لى مبادرة للتعاون فى تعليم أطفالنا . . هل يمكن أن أقبلها منه . .؟ .. إن عليه أن يخرج أولاً من بيت عائلتى ، ثم بعد ذلك يمكن أن أجلس معه لنتحاور ونفتح صفحة جديدة فى العلاقة بيننا . .

إذن كيف يمكن أن يتعاون المسلمون الآن مع الولايات المتحدة الأمريكية ، فى نفس الوقت الذى تحتل فيه الجيوش الأمريكية دولتين إسلاميتين ، هما العراق وأفغانستان . . ؟ . . لن أتحدث عن الوضع فى العراق لأن الحرب فيه قد انتهت ، وكلنا يعلم أن الولايات المتحدة قامت بغزو هذه الدولة الإسلامية وتدميرها بالكامل وقتل وتشريد أكثر من ٥ ملايين من أبناء شعبها بناء على كذبة ليس لها أى أساس من الصحة وهى إمتلاك العراق لأسلحة دمار شامل . . !

لكننى سأتحدث عن الوضع فى أفغانستان . . ففى الوقت الذى نجلس فيه الآن فى هذه القاعة لنتحدث عن مبادرات لتنمية التعاون بين أمريكا والدول الإسلامية فى مجالات التعليم والثقافة . . يوجد ١٠٠ ألف جندى أمريكى فى أفغانستان ، مسلحين بأحدث أنواع الأسلحة ، ويقومون كل يوم بقصف المنازل والمساجد والقرى ، وقتل المدنيين الأبرياء من أبناء الشعب الأفغانى المسلم . . والرئيس أوباما يرسل اليهم كل يوم المزيد من الجنود والأسلحة والمؤن . . فكيف نتعاون معكم وأنتم تقتلون أخوتنا بلا ذنب ؟ . . أوقفوا هذه الحرب وانسحبوا من أفغانستان أولاً ، ثم بعد ذلك تعالوا نتحدث عن التعاون بيننا . . ! "

قبل أن أصل إلى هذه النقطة فى حديثى كانت " الشوشرة " قد بدأت من المنصة لمنعى من الاستمرار فى التحدث . . أحيانا بدعوى أن " الفكرة وصلت " . . وأحيانًا بدعوى أننى قد تجاوزت الوقت المسموح لكل متحدث . . وأحيانًا بدعوى أننى قد خرجت عن موضوع الجلسة . . لذلك فمن الأمانة أن أقول للقارئ أن كلماتى فى الجلسة لم تصل بنفس درجة الوضوح التى هى عليها فى هذا المقال ، بسبب كثرة المقاطعات والشوشرة التى تعرضت لها من مديرة الجلسة أولا ، ثم انضمت لها بعد ذلك فى الشوشرة والصراخ للتشويش على كلامى رغدة ضرغام . .

لذلك توقفت عن الاسترسال فى عرض وجهة نظرى ، وناشدت السفيرة الأمريكية التى تدير الجلسة قائلاً لها : " أنتم بلد الحرية . . فلا تصادروا حريتى فى التعبير عن رأيى . . أرجوكم

أعطونى فرصة للتحدث بدون مقاطعة . . دقيقة واحدة . . من فضلكم أعطونى دقيقة واحدة وسأنهى حديثى " . .

لكن المرأتين الجالستين على المنصة . . السفيرة والصحفية . . واصلتا الصراخ بصوت عالٍ . . ولم تكن كلماتهما مفهومة . . فأدركت بسرعة أنهما يتبعان معى حيلة نسائية أعرفها جيدا ، وهى الصراخ لمجرد إثارة الضجيج فى القاعة ، وإحداث فوضى فى المكان ، لإعاقة صوتى من الوصول واضحا إلى الحاضرين . . لعلها أحد وجوه الفوضى الخلاقة التى اخترعها الأمريكيون . . !

لذلك قررت أن أواجه صوتهم العالى بصوتى العالى . . واستأنفت الحديث وسط تصفيق مدو من الحاضرين ، ونداءات من القاعة تطالب المنصة بالسكوت لكى أكمل حديثى . .

قلت : " لقد قامت الولايات المتحدة بغزو أفغانستان وتدميرها ، وقتل وتشريد الملايين من شعبها ، دون أن تقدم للعالم دليلاً واحداً على مسئولية طالبان أو القاعدة عن تنفيذ أحداث ١١ سبتمبر . . لكننى سأقدم لكم الآن عشرات الأدلة على أن الأمريكيين هم الذين دبروا ونفذوا أحداث ١١ سبتمبر . . الأدلة فى يدى . . ها هى . . إنها شهادات ٢٨ عالماً أمريكياً فى الفيزياء والهندسة والبناء والعلوم العسكرية . . ! " . .

هنا تم قطع التيار الكهربائى عن الميكروفون الذى كنت أتحدث فيه . . !!

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٢٣/ ٦/ ٢٠١٠

(٢)

■ أتحدث عن مؤتمر "مبادرات فى التعليم والعلوم والثقافة لتنمية التعاون بين أمريكا والدول الإسلامية" . . الذى عقد بمكتبة الأسكندرية فى الفترة من ١٦ إلى ١٨ يونيو عام ٢٠١٠ .

كنت أتحدث فى الجلسة العامة للمؤتمر التى عقدت فى اليوم الأول منه تحت عنوان : "مناهضة المفاهيم الخاطئة : نظرة ثقافية " . . واعتبرت أن من المفاهيم الخاطئة التى يجب مناهضتها ، هو إلقاء مسئولية أحداث ١١سبتمبر على طالبان والقاعدة دون تقديم أى دليل على ذلك . . ثم قيام الجيش الأمريكى بتدمير دولة إسلامية بالكامل ، هى أفغانستان ، وقتل وتشريد الملايين من شعبها بناءً على هذا المفهوم الخاطئ . . لكننى أثناء حديثى تعرضت لمقاطعات كثيرة وشوشرة على صوتى من رئيسة الجلسة د . سينثيا ب شنايدر السفيرة السابقة للولايات المتحدة فى هولندا ، والصحفية رغدة ضرغام التى كانت ضمن الجالسين على المنصة ، وذلك بهدف التشويش على ما أقوله حتى لا يصل صوتى واضحاً إلى المشاركين فى المؤتمر . .

وإذا كانت السفيرة الأمريكية قد قاطعتنى بصفتها رئيس الجلسة - وقد قوبل ذلك باستهجان شديد من معظم الحاضرين لأن فيه مصادرة للرأى الآخر - . . لكن الغريب حقاً هو موقف رغدة

ضرغام التى لم يكن لها أبداً حق التدخل فى إدارة الجلسة ومشاركة السفيرة الأمريكية فى التشويش على صوتى . .

* * *

لقد واصلت المرأتان مقاطعتى والتشويش على كلامى بصوت عالٍ . . فاضطررت أنا أيضاً إلى رفع صوتى والتحدث بصوت عالٍ ، لكى يصل ما أقوله إلى الحاضرين . . كان الأمر أشبه بالصراع بين من يريد توصيل الحقيقة إلى الناس ، وبين قطاع طرق خرجوا عليه يريدون الفتك به لمنع الحقيقة من الوصول إلى الناس . . لكننى صمدت أمام المرأتين . . وقاومتهما . . وواصلت التحدث . . حتى وصلت فى حديثى إلى نقطة بدأت فيها تقديم الأدلة والبراهين على براءة طالبان والقاعدة من ارتكاب أحداث ١١ سبتمبر ، وقلت إن هذه الأدلة ليست من عندى ، لكنها شهادات ٢٨ عالماً أمريكياً فى الفيزياء والهندسة والبناء والعلوم العسكرية . . هنا تم قطع التيار الكهربائى عن الميكروفون الذى كنت أتحدث فيه . . فرفعت صوتى إلى أعلى درجاته ، وأدرت وجهى إلى الجالسين فى القاعة وسط تأييد كبير منهم لاستمرارى فى التحدث . . قلت : سأكتفى الآن بأن أسوق لكم دليلاً واحداً ، هو ما جاء على لسان " كارين كوياتكوفسكى " الضابط السابق بالبنتاجون - التى كانت تجلس فى مكتبها بالطابق الخامس ، الممر السابع ، القسم "ب" بمبنى البنتاجون ، وقت حدوث الانفجار به صباح يوم ١١سبتمبر٢٠٠١ - . . لقد قالت إن قطر الفتحة التى أحدثها الهجوم فى جدار البنتاجون هو ٢٠ قدمًا فقط (أى حوالى ٦ أمتار تقريبًا) . . بينما يصل عرض الطائرة بوينج ٧٥٧ - التى قالوا إنها ارتطمت به - إلى ٣٨ مترا . . فكيف لطائرة بهذا الحجم أن تدخل من هذه الفتحة الضيقة . . ؟ ! وإذا كانت

أجنحتها قد تكسرت عند الارتطام بجدار البنتاجون ودخل جسم الطائرة من الفتحة ، فأين هذه الأجنحة . . ؟ ! وأين مقاعد الركاب وحقائبهم . . ؟ ! . اكتفيت بتقديم هذا الدليل ، وطرح هذه الأسئلة على القاعة . . ثم جلست ، لكى لا أستأثر لنفسى بأكثر من الوقت المخصص لكل متحدث . .

* * *

والحقيقة التى لابد أن أذكرها هنا ، أن الأستاذ الدكتور على الدين هلال ، الذى كان يشارك فى المؤتمر بصفته مثقفا مصريا كبيرا والعميد السابق لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، وكان يجلس على المنصة كأحد المتحدثين الرئيسيين فى الجلسة . . قد فاجأ السفيرة الأمريكية رئيسة الجلسة والصحفية التى كانت تشاركها فى التشويش على كلامى . . بالدفاع عن حقى فى التعبير عن رأيى بحرية ودون مقاطعة . . وعندما حاولت المرأتان إظهارى فى صورة الخارج عن النظام . . إذا به يقول لهم : "صديقى السيد هانى" . . كررها الرجل ثلاث مرات . . وكان يمكنه مثلا أن يشير إلىَّ بكلمة " المتحدث السابق " . . لكنه اختار كلمة "صديقى " لكى يكبح جماح المرأتين اللتين كادتا تخرجان عن طورهما وهما تقاطعننى . . بل إنه قال إننا أصدقاء منذ عدة سنوات . . ثم وجه كلامه إلى السفيرة الأمريكية رئيسة الجلسة مشيرا إلى أن مصر بها تنوع فى الآراء ، وأن بعض الناس يعبرون أحيانا عن آرائهم بطريقة غاضبة ، لكن لا أحد يمنعهم أبدا من التعبير عن آرائهم بكل حرية ، لأن هذه هى الديمقراطية الحقيقة التى تؤمن بها مصر . .

بالطبع كان كلام الدكتور على الدين هلال إلى السفيرة الأمريكية وجميع الأمريكيين الموجودين فى القاعة ، محملا برسالة سياسية لا تخفى على أحد . . فقد استطاع الرجل . . وهو استاذ العلوم السياسية القدير . . أن يوظف المشادة التى دارت بينى وبين المرأتين توظيفا سياسيا بارعا يستحق الإعجاب . . ويجعله كمن أحرز هدفا فى شباك الأمريكيين . .

وأنا بدورى لابد أن أتوجه له بالشكر والتحية . . وأعرب له عن اعتزازى الكبير بصداقته . .

* * *

جلست مكانى دون أن أتمكن من عرض بقية الأدلة التى قدمها العلماء الأمريكيون على كذب الرواية الأمريكية التى تحمل طالبان والقاعدة مسئولية أحداث ١١ سبتمبر . . وقد سبق أن نُشرت هذه الأدلة فى سلسلة من المقالات والدراسات بالصحف ، ثم قام كل من الكاتب الأمريكى المعروف ديفيد راى جريفين ، والدبلوماسى الكندى بيتر ديل سكوت ، بجمعها فى كتاب تحت عنوان : "الحادى عشر من سبتمبر والإمبراطورية الأمريكية" . . صدر الكتاب فى جزءين عام ٢٠٠٧ عن إحدى دور النشر الأمريكية . . ثم قامت دار " نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع " بترجمة الكتاب إلى العربية وإصداره ، تحت إشراف الأستاذة داليا محمد إبراهيم التى تستحق أن نوجه إليها التحية على إصدار هذا الكتاب الهام ، الذى أحسبه واحدا من أهم الإصدارات العربية فى الفترة الأخيرة . .

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٣٠/ ٦/ ٢٠١٠

(٣)

■ بمنطق « من ليس معنا فهو ضدنا » . . تصرف الأمريكيون الذين شاركوا في مؤتمر « مبادرات فى التعليم والعلوم والثقافة لتنمية التعاون بين أمريكا والدول الإسلامية » ، الذى عقد بمكتبة الأسكندرية . .

لم يراع الأمريكيون أن المشاركين مثقفون وعقلاء وأصحاب رأى . . وإنما تعاملوا معهم بنفس الطريقة التى تعامل بها الرئيس الأمريكى السابق بوش الإبن مع العالم عندما قرر غزو أفغانستان عام ٢٠٠١ . . !

لقد كنت أرى وجه بوش الابن مرسومًا على وجه كل أمريكى فى المؤتمر .. وعرفت بالتجربة العملية - التى عرضتها فى المقالين السابقين - أن الديمقراطية عند الأمريكيين هى أن يتحدثوا وأنت تسمع . . فإذا ما طلبت التحدث فليكن حديثك قصيرا وعلى هواهم . . ومعهم فى نفس الخط . . إن لم يكن كذلك ، فأنت ضدهم . . وأنت إرهابى . . وأنت عضو فى تنظيم القاعدة وتعمل مع أسامة بن لادن . . ومطلوب القبض عليك . . ! !

هكذا كانوا يديرون مؤتمرهم فى مكتبة الأسكندرية . . وحسنا فعل د . اسماعيل سراج الدين مدير المكتبة ، عندما نأى بنفسه عن المؤتمر بعد الجلسة الافتتاحية . . ولم يشارك فى أى من جلساته ، كما اعتاد فى المؤتمرات الأخرى .

من مقال للمؤلف نشر بجريدة «الجمهورية» فى ٧/ ٧/ ٢٠١٠

الفصل الرابع

موريل ميراك فايسباخ تنزع ورقة التوت ..!

"من الصعب جداً تفسير أى شىء يقوله بوش أو يفعله . . فهذا الرجل يعتقد أنه على اتصال مباشر بالرب . . وانه يستقبل الرسائل والتوجيهات من الرب ويرسل إليه . . وعندما سئل عن علاقته بربه . . قال : "لى اتصال مع الرب عالياً" . . !


موريل ميراك

(١)

■ موريل ميراك فايسباخ . . واحدة من كبار المفكرين والكتاب وقادة المجتمع المدنى فى الولايات المتحدة الأمريكية . . فهى عضو مجلس تحرير مجلة «اكسكيوتيف إنتيليجينس ريفيو» التى تصدر فى الولايات المتحدة ، وعضو مجلس أمناء معهد «شيلر» للبحوث السياسية ومقره فرانكفورت ، وعضو مؤسس ومسئولة فى حركة «لاروش» للسلام ومقرها واشنطن . . موريل التى انضمت إلى الحركة منذ ٣٠ عامًا تقول إنها تخصصت خلال الـ ١٥ عامًا الماضية فى دراسة شئون العالمين العربى والإسلامى ونشرت عنها مقالات ودراسات عديدة . . كما سافرت إلى عدد كبير من الدول العربية والإسلامية والتقت بمفكريها ومثقفيها . . وزارت مصر عدة مرات كانت إحداها فى فبراير ٢٠٠٦ ، حيث ألقت محاضرة أمام مركز الدراسات الآسيوية فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة ، تحدثت فيها عن التطورات السياسية الأخيرة فى الولايات المتحدة الأمريكية وانعكاساتها على الشرق الأوسط والدول الإسلامية . .

فى هذه المحاضرة أكدت موريل ميراك وجود معارضة قوية داخل الولايات المتحدة ضد إدارة الرئيس جورج بوش الابن ، وأن هذه المعارضة تخطط للإطاحة برموز هذه الإدارة : بوش ، وتشينى ، ورامسفيلد . . !

قالت : سنبدأ بطرد تشينى قبل بوش ، لأننا إذا بدأنا ببوش ، فإن تشينى سيخلفه دستورياً كنائب للرئيس .

أشارت إلى وجود مشروع قرار بذلك أمام مجلس النواب الأمريكى ، مقدم من النائب «جون بنيورز» من ولاية «ميتشجان» . . كما أشارت إلى ما قاله السيناتور «ريد» زعيم الديمقراطيين فى مجلس الشيوخ لوسائل الإعلام من : «أن هناك سحابة سوداء تحلق فوق البيت الأبيض ، ونائب الرئيس فى منتصفها» . . !

أكدت أن الشعب الأمريكى أخذ يلتف حول المعارضة بعد أن فقد ثقته فى الرئيس ، وأن شعبية بوش فى تناقص مستمر كما تشير استطلاعات الرأى . . وساقت مثالاً بما حدث فى وقت قريب من ذلك أثناء اجتماع شعبى بولاية «فيرجينيا» دعا إليه النائب الديمقراطى «جون مورتا» لمناقشة الوضع فى العراق ، فعندما وقف وقال : «علينا أن ننسحب من العراق» . . هتف الناس : «وعلينا أن نطرد الرئيس» . . !

أوضحت أن بعض أعضاء الحزب الجمهورى انضموا أيضاً إلى المعارضة التى يقودها الديمقراطيون ، خاصة بعد الهزائم التى لحقت بالحزب الجمهورى فى ٧ ولايات هامة فى انتخابات العمد والبلديات ، وذلك لأن هؤلاء الأعضاء أدركوا أنهم إذا لم يبتعدوا بأنفسهم عن بوش وتشينى فإنهم سيخسروا مقاعدهم فى مجلس النواب فى انتخابات التجديد النصفى للمجلس التى ستجرى بعد ذلك .

* * *

أرجعت موريل ميراك سبب ظهور هذا المناخ فى الولايات المتحدة إلى أن المحافظين الجدد بقيادة تشينى ورامسفيلد قاموا بتخريب الدستور الأمريكى وخلق أوضاع لتحويل الحكم إلى «رئاسة ديكتاتورية» . . واستشهدت على ذلك بتصريح للكولونيل «لورانس ويلبرسون» الذى عمل مع كولين باول ١٦ عاماً ، قال فيه : «إن تشينى ورامسفيلد شكلا مجموعة متآمرة لاتخاذ القرارات ورسم السياسات بعيداً عن القنوات الطبيعية للسلطة» . . !

أكدت أنه إذا لم يتم إبعاد تشينى وبوش ورامسفيلد وآخرين عن السلطة فإن الخطر الذى تواجهه الولايات المتحدة . . أقدم جمهورية حقيقية على الاطلاق . . هو أن تتحول إلى ديكتاتورية فاشية . . !

ساقت عدة أمثلة على ذلك . . منها :

١ ـ ترشيح «صموئيل أليتو» قاضياً بالمحكمة العليا فى الولايات المتحدة . . وهو ـ كما وصفته ـ نازى . . وعضو فى تنظيم اسمه : «المجتمع الفيدرالى» الذى يقوم بنشر أفكار «كارل شميت» . . والأخير كان نازياً وقاضياً ألمانياً فى عهد هتلر ، وهو الذى وضع التشريع الذى يبرر ديكتاتورية هتلر ، وصاحب ما يعرف بـ «مبدأ القائد» الذى يمنح القائد فى أوقات الطوارئ حق أن يكون فوق القانون ولا يخضع لأية نصوص دستورية أو دولية . . وقد طور بوش هذا المبدأ إلى : «إذا لم تكن حليفى فأنت عدوى» . . !

فإذا أخذنا فى الاعتبار أن هناك ٤ أعضاء آخرين فى المحكمة العليا ينتمون أيضاً إلى تنظيم «المجتمع الفيدرالى» . . ندرك أن ٥ من ٩ من قضاة المحكمة سيمثلون الأغلبية . . وهذا يعنى أن

المحكمة العليا في الولايات المتحدة ستمثل الأيديولوجية النازية وستدعم السلطة الديكتاتورية . . ! !

٢ - تعيين «جون بولتون» سفيراً للولايات المتحدة في الأمم المتحدة . . والمعروف عنه أنه من المتطرفين ومن المحافظين الجدد . . وهو الذي قال «إن الأمم المتحدة لا يجب أن تكون موجودة أصلا» . . ! ، لقد رفض أعضاء مجلس الشيوخ ترشيح هذا الشخص في هذا المنصب . . فما كان من بوش إلا أن انتظر حتى بدأت إجازة مجلس الشيوخ وقام بتعيين «جون بولتون» بقرار منه . . !

٣ - السيناتور الجمهوري «جون ماكين» . . شارك في حرب فيتنام وسجن وعذب هناك . . تقدم بمشروع قانون يمنع تعذيب المسجونين في جوانتانامو وأبوغريب ، وحصل على تأييد ٩٨ سيناتورا من أصل ١٠٠ في مجلس الشيوخ ، كان من بين الـ ٩٨ المؤيدين ٤٦ من الحزب الجمهوري . . فتدخل على الفور تشيني بأفكار «شميت» التي يحملها في داخله ، وقال إن من حق التنفيذيين أن يفعلوا ما يحلو لهم . . وهدد بأنه إذا تم «تمرير» هذا المشروع ، فإن الرئيس بوش سوف يستخدم حق «الفيتو الرئاسي» لرفضه . . ! صحيح أن المشروع تم تمريره بالفعل بسبب إصرار «ماكين» . . لكن الرئيس بوش وقع عليه بعبارة تعني : «أنا سوف أفسر هذا القانون كما أحب بصرف النظر عن القانون وعن الكونجرس» . . !

٤ - السفير «جو ويلسون» الذي كلفه تشيني بالسفر إلى النيجر للتحقق من صحة التقارير التي قالت إن صدام حسين يشترى

اليورانيوم من هناك لإنتاج الأسلحة النووية . . عاد وقال لتشينى إن ذلك ليس صحيحاً ، وقدم تقريراً بهذا المعنى إلى كل من وزارة الخارجية والمخابرات المركزية . . ورغم ذلك ظل كل من بوش وتشينى وبلير يكررون كذبة أن صدام حسين يشترى اليورانيوم من النيجر . . فكتب السفير «جو ويلسون» مقالاً فى صحيفة «نيويورك تايمز» - فى يوليو ٢٠٠٣ - أعلن فيه الحقائق . . واتهم الإدارة الأمريكية بتزييف المعلومات عن عمد لكى تدفع الأمور باتجاه الحرب . . ثم كانت المفاجأة بعد ذلك بـ ٨ أيام فقط عندما ظهر مقال لصحفى معروف اسمه «روبرت نوباك» قال فيه إن زوجة ويلسون عميلة سرية لجهاز المخابرات المركزية الأمريكية ، وأنه علم بذلك من مسئولين كبيرين فى الإدارة الأمريكية . . طبعاً المقصود من تسريب هذه المعلومة معاقبة ويلسون . . لكن كشف هوية العميلة هو جريمة فيدرالية وفعل إجرامى سواء من الصحفى الذى نشر ، أو المسئولين الذين سربوا له المعلومة . . وغالباً سيكون «تشينى» و «كارل روف» مستشار البيت الأبيض هما من قاما بتسريب هذه المعلومة . .

هذه هى بعض الأمثلة على سوء استخدام السلطة والديكتاتورية التى ظهرت فى السنوات الأخير ، والتى تؤسس لقيام ديكتاتورية فاشية فى الولايات المتحدة . . لكن كما قال الشاعر الألمانى العظيم «فريدريك شيلر» : «هناك دائماً حدود لسلطة الطغاة» . . وقد وصلنا إليها الآن . . ! !

* * *

ثم تحدثت موريل ميراك عن غزو العراق . . فقالت إنه بنى على أكاذيب متكررة . .

- سمعنا عن الزيارة التى قام بها محمد عطا[1] إلى صدام حسين . . وهذا لم يحدث . . !
- وسمعنا عن علاقة صدام حسين بتنظيم القاعدة . . وهذا كذب .
- وسمعنا عن اليورانيوم الأصفر الذى كان صدام حسين يستورده من النيجر لتصنيع أسلحة نووية . . وثبت أن هذه قصة مختلقة وليس لها أساس من الصحة .
- وسمعنا عن المعامل الكيميائية المتنقلة فى العراق التى تحدث عنها كولن باول أمام مجلس الأمن . . واعترف باول نفسه بعد ذلك بأنه كان يكذب . . !

لقد طلب الديمقراطيون فى مجلس الشيوخ الاطلاع على كل التحقيقات التى قام بها جهاز المخابرات المركزية قبل الحرب على العراق ، وعقد جلسات استماع حول سوء استخدام إمكانيات هذا الجهاز وإهدار المال العام .

هناك أيضاً اقتراح تقدم به النائب الجمهورى «جونز» إلى الكونجرس لوضع جدول زمنى للانسحاب من العراق . . وقد أيد هذا الاقتراح أكثر من ٦٠ نائباً . . كما بدأ الكثير من المسئولين العسكريين يعلنون عن رأيهم . . وهو أن الوضع فى العراق كارثة لا يمكن حلها عسكرياً . . !

وقال المدعى العام . . وهو جنرال سابق فى الجيش . . «إن حرب العراق هى أكبر كارثة استراتيجية فى تاريخ الولايات المتحدة ، وإن الحل الوحيد هو الانسحاب» . . !

---

(١) أحد المتهمين بخطف الطائرات الأمريكية فى هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ .

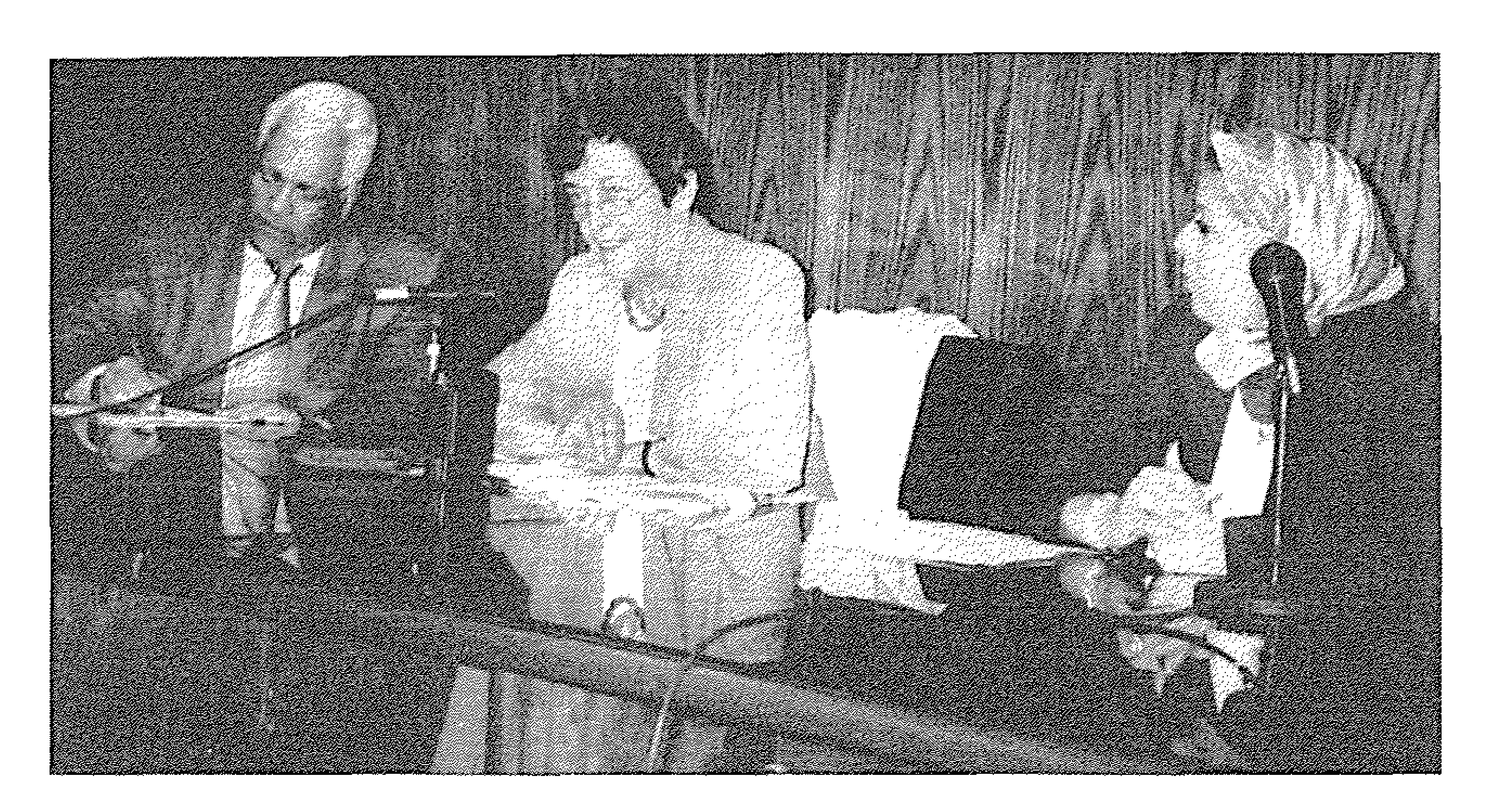
تحدثت موريل ميراك أيضاً عن فضيحة التجسس غير القانونى على المواطنين الأمريكيين داخل الولايات المتحدة من قبل جهاز الشرطة التى فجرتها صحيفة «نيويورك تايمز» . . وقالت إن بوش وتشينى رفضا أن يتم ذلك من خلال الإجراءات والمعايير القانونية . . وقد شعر الأمريكيون بالفزع عندما علموا أن هواتفهم وبريدهم الاليكترونى يمكن أن تكون مراقبة من الشرطة . . !

أشارت إلى مقال كتبه «تريج روبرتس» . . وكان نائباً لوزير الخزانة فى عهد الرئيس ريجان . . قال فيه : إن فضيحة ووترجيت تعتبر «نزهة أطفال» بالمقارنة مع فضيحة التجسس على الشعب الأمريكى التى ارتكبها الرئيس بوش . . ! وقارن روبرتس بين بوش وهتلر ، فقال إن هتلر اتخذ من مسألة الدفاع عن ألمانيا ذريعة لتجاهل القوانين ، وها هو بوش يقلده ويفعل ما فعله بالضبط . . إن بوش سوف يدمر النظام القانونى فى الولايات المتحدة . . لقد استغلت إدارة بوش أحداث ١١ سبتمبر لفرض هذه المعايير البوليسية . . والآن ماذا سيفعلون . . هل سيقومون بالتخطيط لـ ١١ سبتمبر أخرى . . ! !

* * *

بعد ذلك فتح باب المناقشة التى شارك فيها سفراء أجانب وأساتذة وطلاب من جامعة القاهرة . . أدار المناقشة أ . د . محمد السيد سليم أستاذ العلوم السياسية ومؤسس مركز الدراسات الآسيوية ، وأ . د . هدى ميتكيس مديرة المركز .

- ***كان السؤال الأول يقول : إذا كان الأمر كذلك . . فكيف فاز بوش فى الانتخابات الرئاسية لفترة ثانية . . ؟***



موريل ميراك بين أ. د. محمد السيد سليم ، و أ. د. هدى ميتكيس أثناء الندوة

ـ قالت موريل ميراك إن بوش لم يفز فى الانتخابات ولكنه سرقها . . وإن ذلك ليس مجرد رأيها الشخصى ولكنه حقيقة موثقة يعرفها الأمريكيون . . !

وعن كيفية حدوث ذلك ، قالت إن عملية التصويت فى الانتخابات بالولايات المتحدة تتم آلياً عن طريق الأجهزة . . وقد قام الجمهوريون بتوفير هذه الأجهزة فى الولايات التى يمثلون أغلبية فيها ، أما الولايات التى يمثل فيها الديمقراطيون الأغلبية فلم يتوفر بها العدد الكافى من الأجهزة ، مما جعل الناس يقفون بالساعات فى طوابير طويلة للإدلاء بأصواتهم . . وبالطبع قام كثير منهم بالانصراف دون الإدلاء بأصواتهم . . !

● ***ورداً على سؤال حول العامل الدينى وأثره فى السياسة الخارجية للولايات المتحدة . . ولماذا أطلق بوش تعبير « الحرب الصليبية » .***

ـ قالت : من الصعب جداً تفسير أى شىء يقوله بوش أو يفعله . .

فهذا الرجل يعتقد أنه على اتصال مباشر بالرب . . وانه يستقبل الرسائل والتوجيهات من الرب ويرسل إليه . . وعندما سئل عن علاقته بربه . . قال : «لى اتصال مع الرب عالياً» . . ! وهو يؤمن بفكرة الحروب الصليبية . . كما تعرفون طبعاً انه كان يدمن الكحوليات وتم علاجه ، وكان الدين هو أحد الوسائل التى استخدمت فى علاجه وتركت أثراً عنده .

إن هذا الرجل غير لائق لأن يكون رئيس دولة . . فما بالكم بأنه رئيس الدولة العظمى فى العالم . . ! !

(٢)

■ التقيت بالسيدة موريل ميراك فايسباخ . . الباحثة الأمريكية وعضو حركة «لاورش» للسلام والتنمية ، فى اليوم التالى للندوة التى نظمها مركز الدراسات الآسيوية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، التى تحدثت فيها عن تصاعد المعارضة ضد إدارة الرئيس بوش الابن داخل الولايات المتحدة الأمريكية . .

فى تلك الأثناء .. كان الغضب يعم دول العالم الإسلامى بسبب الرسوم المسيئة للرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ ، التى تكرر نشرها فى عدد من الصحف الأوروبية .

أكدت لى انها عملية مدبرة تقف وراءها أجهزة مخابرات غربية ! . . وان الهدف منها هو سكب الزيت على النار لاشعال صدام واسع بين المسلمين وبقية شعوب العالم كمقدمة لشن عملية عسكرية ضد إيران .

قالت إن هذه الرسوم نشرت لأول مرة فى شهر سبتمبر عام ٢٠٠٥ فى صحيفة «يولاندز بوستن» ؟ الدنماركية «١٢ رسما» وأثارت غضب البعض فترة من الوقت ثم هدأ الأمر بسرعة لأنه لم يسمع بها كثيرون . . إلا أننا فوجئنا بعد ذلك بإعادة نشر نفس الرسوم فى نفس الصحيفة . . كان ذلك فى شهر يناير عام ٢٠٠٦ . . فى وقت كانت فيه أزمة البرنامج النووى الإيرانى آخذة فى التصاعد ومن مصلحة الإدارة الأمريكية إحداث وقيعة

بين المسلمين والاتحاد الأوروبى حتى ينحاز إليها الأخير فى أى عمل عسكرى تقوم به ضد إيران .

بالطبع كان لابد مع تكرار نشر الرسوم للمرة الثانية أن يزداد غضب المسلمين ويتسع نطاقه . . وهذا بالضبط ما حدث ، حيث ظهر الغضب ورد الفعل أولا من الجالية الإسلامية فى الدنمارك ، وبدلاً من أن تقوم الحكومة الدنماركية باحتواء الموقف ، رفضت التحرك واتخذت موقفا سلبيًا من القضية بدعوى أن نشر الرسوم يأتى فى إطار حرية التعبير كحق أساسى من حقوق الإنسان . . ! والآن تأججت النار واشتعل الصدام الذى كانت تخطط له أجهزة مخابرات غربية . . وأفضل ردود الفعل على هذه الرسوم . . من وجهة نظرى هو الذى صدر من «الفاتيكان» ، حيث قال : «إن هناك حدودًا لحرية التعبير ، وأن حرية التعبير وحرية الصحافة لا تعطى أحدا الحق فى مهاجمة دين ما» . . !

* * *

● ***قلت لها : وما الذى جعلك تعتقدين أن وراء نشر هذه الرسوم أجهزة مخابرات غربية؟***

- قالت . . إن حركة «لاروش» تدرس هذا الأمر بعناية ، ونبحث لكى نوثق اسم الجهة التى طرحت فكرة نشر هذه الرسوم منذ البداية . . لأن المهم أن نعرف من يعمل من أعلى . . إن هذا الموضوع يذكرنى بموضوع سلمان رشدى . . فهذا الرجل لم يكن لديه فكر ولكن المخابرات البريطانية هى التى كانت تقف وراءه من أجل إثارة غضب المسلمين فى أنحاء العالم .

كذلك نفس الشيء بالنسبة لهذه الرسوم . . إن من قرر نشرها ليس صحفيا ، ولا هو جاهل ولا ساذج . . إنها نتاج تخطيط مخابراتي وفعل عمدى يستهدف استفزاز المسلمين وخلق مشاعر عدائية لديهم ضد الأوروبيين .

لقد تحرى مكتبنا الأمر ، وعرفنا أن صحيفة «يولاندز بوستن» الدنماركية التي بدأت نشر هذه الرسوم ساهمت في مارس عام ٢٠٠٥ في تأسيس بيت خبرة جديد في الدنمارك اسمه «المركز الدنماركي للدراسات السياسية» واختصاره cepos وهذا المركز يعمل بالتعاون مع بيوت الخبرة التابعة للمحافظين الجدد في الولايات المتحدة ، مثل معهد المشروع الأمريكي . . أما المشرف على عملية التعاون هذه ويرأس ممثلي بيوت الخبرة الأمريكية سالفة الذكر في المركز الدنماركي شخص أمريكي اسمه «جورج شولتز» هو الذي صمم وصنع وشكل طاقم حكومة الرئيس بوش الابن ، وهو الذي رشح له كوندوليزا رايس ودونالد رامسفيلد وبول وولفويتز . . إنه من أهم المحافظين الجدد في الولايات المتحدة وأخطرهم . . والمسيطر على «تشيني» نائب رئيس الجمهورية . . وهو عضو في «لجنة الخطر الحالي» التي اجتمعت يوم ٢٣ يناير ٢٠٠٦ وطالبت الرئيس بوش الابن بالاعداد لشن حرب على إيران وتغيير النظام فيها . . وهو الذي قال : «لابد أن نذهب لنحارب إيران» . .

أضافت : وما يجب أن نشير إليه أيضا هو أن رئيس المركز الدنماركي للدراسات السياسية (cepos) هو «بارنت بوهانت كوليت» وهو وزير دفاع سابق في الدنمارك والآن يشغل وظيفة رئيس المباحث الملكية أي أنه جزء من القصر الملكي الدنماركي . .



موريل ميراك فايسباخ أثناء حوارها مع المؤلف

مما يعنى أننا نتحدث عن أناس هم جزء من القصر الملكى فى الدنمارك ، وهم أيضًا مرتبطون بالمحافظين الجدد فى الولايات المتحدة . . أما المحرر الثقافى للصحيفة الدنماركية «يولاندرز بوستن» الذى وافق على نشر الرسوم المسيئة لرسول المسلمين «عليه الصلاة والسلام» فاسمه «فلمنج روز» وهو دائم السفر إلى واشنطن وعلى اتصال بالأمريكيين ويجيد اللغتين الإنجليزية والروسية إجادة تامة . . وفى أكتوبر عام ٢٠٠٤ سافر إلى الولايات المتحدة واجتمع عدة مرات مع «دانيل باييز» الذى يعد واحدا من أبرز قادة الحرب الصليبية ضد المسلمين فى الولايات المتحدة ومن عتاة المحافظين الجدد وعضو نشط فى اللوبى الصهيونى .

هكذا نرى العلاقات واضحة بين الصحيفة الدنماركية التى نشرت الرسوم وبين مخططى الحروب فى الولايات المتحدة .

* * *

● ***قلت لها : وما هو تفسيرك لموقف الحكومة الدنماركية التى رفضت الاعتذار للمسلمين؟***

- قالت : أعتقد أن الحكومة الدنماركية بعدم اعتذارها أصبحت مجرمة . . إذا لم تكن مجرمة منذ البداية . . !

إنها ليست مسألة حرية تعبير . . ولا يجب أن نسمح لأحد بأن يختبئ وراء حائط حرية التعبير ثم يوجه إساءة إلى دين ما . . أى دين كان . . إن الناس ومعتقداتهم يجب أن يحظوا بالاحترام .

● ***قلت لها : لقد أشرت بوضوح إلى دور « مخططى الحروب » فى نشر الرسوم المسيئة للإسلام . . فمن هؤلاء بالضبط . . ؟***

- قالت : إنهم مجموعة «أنجلو ـ أمريكية» تتبع سياسة الحرب الدائمة . . هذه المجموعة هى التى قامت بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بشن الحرب على أفغانستان . . ثم العراق ، والآن جاء دور إيران ! .. هى مجموعة عالمية ممولة تضم أقلية تريد أن تحكم سيطرتها على العالم كله عن طريق الحروب . . وهم يستخدمون مثل هذا النوع من التفكير . . كالحملات الإعلامية . . لكى يهيئوا الناس للحرب . . هم حاليا فى موقف ممتاز . . لأن العالم الإسلامى كله أصبح يقاطع ويحرق القنصليات والسفارات . . وهذا خطير جداً . . !

* * *

● ***قلت لها : كيف تفسرين تشدد الدول الغربية فى التعامل مع البرنامج النووى الإيرانى . . فى نفس الوقت الذى تتجاهل فيه تماما البرنامج النووى الإسرائيلى ؟***

- قالت : البرنامج النووى الإيرانى ليس له علاقة أو صلة بالهجوم المرتقب على إيران . . أنظر إلى كوريا الشمالية . . إنها تمتلك برنامجًا نووياً وقالت إنها انتجت أسلحة نووية لكن أحدًا لم يقل إنه يجب ضرب كوريا الشمالية ! . . لقد سبق أن قالوا عن العراق إنه يمتلك أسلحة دمار شامل . . وأنه يشترى اليورانيوم من النيجر . . وأنه على اتصال بتنظيم القاعدة . . وأنه يساند الإرهاب . . ثم ثبت أن كل هذا كذب وافتراء وأنهم كانوا يعلمون بأنهم يكذبون . . ! نفس الشىء يكررونه الآن مع إيران . . إنهم لا يملكون أى دليل على صحة ما يقولونه عن برنامجها النووى . . وإذا كان لديهم شك فيجب أن يتأكدوا عن طريق الوكالة الدولية للطاقة الذرية خاصة أن إيران وقعت على معاهدة منع الانتشار النووى ، أما إسرائيل فمازالت لم توقع عليها . . إن التشدد فى التعامل مع البرنامج النووى الإيرانى ، وعدم الالتفات إلى البرنامج النووى الإسرائيلى هو نفاق كامل .

● ***قلت لها : هل تعتقدين أن الحرب على إيران قادمة لا محالة . .؟***

- قالت : إنهم يعدون لها ، رامسفيلد كان فى ألمانيا مؤخرًا لحضور مؤتمر عن الأمن ، وقال «إن هناك حربا طويلة مستمرة والعراق ليس نهايتها» . . ! وبناء على ذلك فنحن فى العد التنازلى لتوجيه ضربة عسكرية ضد إيران . . كوريا الشمالية على اللائحة كما قال بوش فى خطاب «حالة الاتحاد» فى نهاية يناير ٢٠٠٦ إلا أن إيران هى بالتأكيد الأولى على هذه اللائحة !

أنظر أيضًا إلى ما حدث فى الشهور القليلة الماضية تجد أن عملية التصعيد مع إيران أخذت تسير أسرع من معدلها الطبيعى . . هذه



محمود أحمدى نجاد



جاك سترو

العملية التى بدأت مع وصول محمود أحمدى نجاد إلى السلطة فى إيران . . هنا لابد أن أشير إلى القرار الذى اتخذته الحكومة الإيرانية يوم ١٠ يناير ٢٠٠٦ باستئناف عمليات تخصيب اليورانيوم فى أصفهان ، لقد أعطى هذا القرار المبرر للأمريكيين لزيادة التصعيد . . حيث اجتمعت بعد ذلك بحوالى أسبوعين فى واشنطن لجنة «الخطر الحالى» وأصدرت تقريرا طالبت فيه بدعم المعارضة الإيرانية فى الخارج وتحرك الحكومة الأمريكية لفرض عقوبات على إيران ، ثم إعلان الحرب عليها والإطاحة بنظام الحكم فيها وتقديم أحمدى نجاد للمحاكمة . . !

بعد ذلك بأسبوع واحد . . ألقى الرئيس بوش خطاب «حالة الاتحاد» وقال فيه : «إن إيران توشك على تغيير نظامها» ولأول مرة وجه كلامه إلى الشعب الإيرانى قائلا : «أنا سأقف بجانبكم لتغيير حكومتكم» . . !

فى نفس اليوم . . قالت فى باريس «مريم راجافى» التى ترأس جماعة من منظمة «مجاهدى خلق» الايرانية المعارضة : «نحن بحاجة إلى عون مادى وسياسى» ونحن نريد الشرعية . . هذا الكلام لم يأت صدفة . . لكنه جزء من خطة شاملة تسير بدقة وفق تسلسل الأحداث والعملية كلها تدار من لندن . . اتضح ذلك يوم الاثنين ٣٠ يناير ٢٠٠٦ ، عندما دعا وزير الخارجية البريطانية جاك سترو نظراءه وزراء خارجية الصين وروسيا وفرنسا والولايات المتحدة إلى عشاء فى منزله ، وتم

فى هذا المساء إقناع الروس والصينيين بضرورة الموافقة على إحالة الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن وقد وافقوا .

● ***قلت لها : لقد كانت موافقتهم مفاجأة للجميع ، لأنهم طالما رفضوا ذلك من قبل . . فبماذا تفسرين تغييرهم لموقفهم . . ؟***

– قالت : أعتقد أن هناك عملية قذرة جرت فى منزل جاك سترو فى ذلك المساء . . لقد استمر العشاء حتى الثانية صباحًا . . ولاشك أنه تمت مساومات لأننا نعرف أن لكل من الصين وروسيا مصالح اقتصادية مع إيران وأنهما لا تؤيدان أى عمل عسكرى ضدها باعتبار أن ذلك يضر بمصالحهما . . لذلك أعتقد أن الدولتين قد أخطأتا بموافقتهما على إحالة الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن . . !

● ***قلت لها : لكن مازالت هناك أصوات تتحدث عن إمكانية التوصل إلى حل دبلوماسى للأزمة . . ؟***

– قالت : لا . . هذا خداع ! . . أنظر إلى ما نشرته صحيفة «الجارديان» البريطانية يوم الجمعة ٢٧ يناير ٢٠٠٦ . . لقد أشارت إلى اجتماع عقد بين بوش وبلير يوم ٣١ يناير عام ٢٠٠٣ أى قبل الحرب على العراق بحوالى ٥٠ يومًا لقد قال بوش لبلير فى هذا الاجتماع «سنذهب إلى الحرب ، ولكن يجب أن نتظاهر بأننا نريد الحل الدبلوماسى» . . !

● ***قلت لها : من وجهة نظرك . . ألا يمكن التحرك لمنع نشوب هذه الحرب . . ؟***

– قالت : بل يجب التحرك واستخدام كل الوسائل الممكنة لمنع نشوب هذه الحرب . . من وجهة نظرى . . وهى من خلال رؤية مؤسسة «لاروش» التى أعمل بها - فإن الطريق الوحيد لمنع الحرب ، هو بناء صرح قوى لتداول الحقيقة . . !

الفصـل الخامس

طالبان تهزم حلف الأطلنطى

" إن المعركة فى أفغانستان تشكل أكبر تهديد لحلف الناتو .. ولن يستطيع الحلف كسب هذه المعركة أبدا. طالما ظلت الدول الأعضاء فيه تمتنع عن إرسال مزيد من قواتها "..

آندرس فو راسموسن

سكرتير عام حلف شمال الأطلنطى

فى مؤتمر صحفى يوم ٢٢/١٠/٢٠٠٩

ذهبت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها لغزو أفغانستان ، من أجل إسقاط طالبان وقتل أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة .. الذى اتهمته إدارة الرئيس بوش الابن بالمسئولية عن هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ..

لكنها لم تكسب الحرب ..[١] !

ولم تعثر على بن لادن فى أفغانستان .. !

كما لم تستطع بجيشها وجيوش ٤٥ دولة أخرى .[٢] القضاء على جماعة طالبان .. !

---

(١) تفاصيل هذه الحرب سجلها المؤلف فى كتابه «شاهد على حرب أفغانستان» الذى صدر عام ٢٠٠٣ ..

(٢) هى الدول الأعضاء فى حلف شمال الأطلنطى (٢٦ دولة) والدول الصديقة للولايات المتحدة الأمريكية ..

"إن الحلف يواجه امتحاناً فى أفغانستان ومهمته صعبة" ..

كوندوليزا رايس

وزيرة الخارجية الأمريكية

" إن الحسم العسكرى لن يكون قادرا على إلحاق هزيمة بمقاتلى طالبان أو وضع حد للعنف فى أفغانستان " . .

الجنرال جين روبرت كون

قائد القوات الأمريكية فى أفغانستان

فى مؤتمر صحفى بكابول يوم ٢٠٠٧/٨/٣٠

" إن أفغانستان تشكل اليوم أكبر تحد عسكرى تواجهه الولايات المتحدة " . . !

روبرت جيتس

وزير الدفاع الأمريكى أمام لجنة الدفاع

بمجلس الشيوخ الأمريكى يوم ٢٠٠٩/١/٢٧

" مازالت هناك ليال سود بإنتظارنا فى أفغانستان " . . !

روبرت جيتس

وزير الدفاع الأمريكى

فى مؤتمر صحفى يوم ٢٠١٠/٣/٨

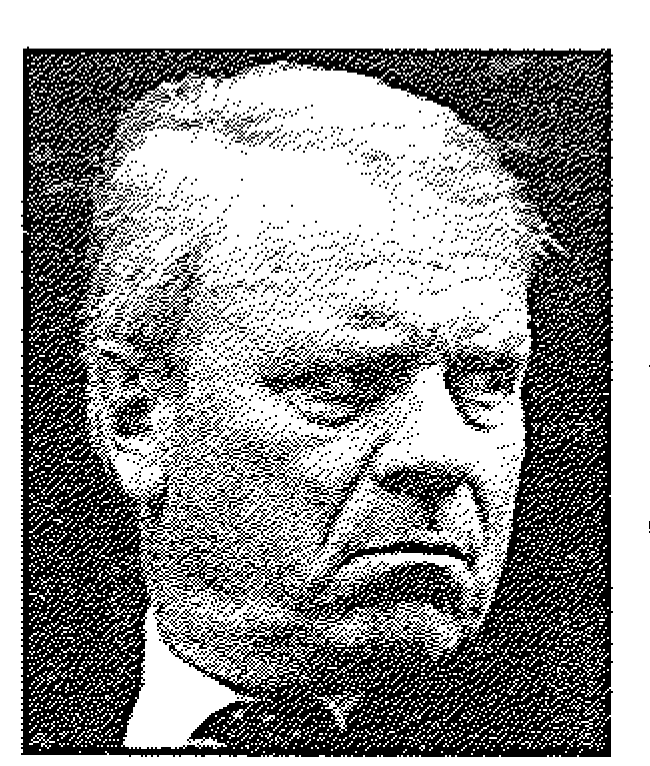
(١)

هل يتفكك حلف شمال الأطلنطى بسبب فشله فى أفغانستان ..؟!

■ **لم يكن يخطر على بال أحد أبداً أن حلف شمال الأطلنطى ، أكبر قوة عسكرية على ظهر الأرض . . سوف يفشل فى مهمته بأفغانستان ويترنح أمام جنود طالبان . . بل ويتعرض بسبب ذلك لمخاطر التفكك والانهيار . . !**

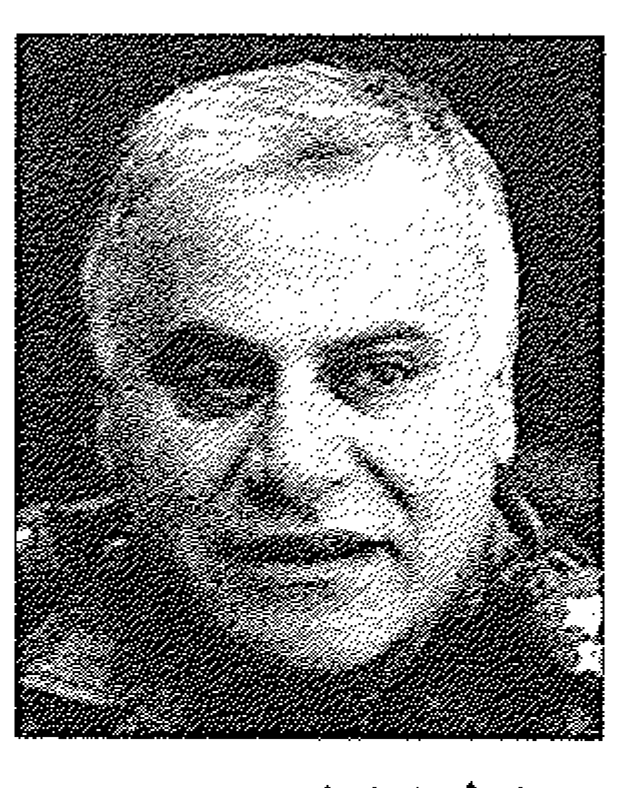
هذا بالضبط هو ما أصبح عليه الوضع الآن . . حتى أصبحت عودة طالبان إلى الحكم فى أفغانستان . . مسألة وقت . . !

- الدليل على ذلك سأسوقه من أفواه القادة الغربيين أنفسهم :

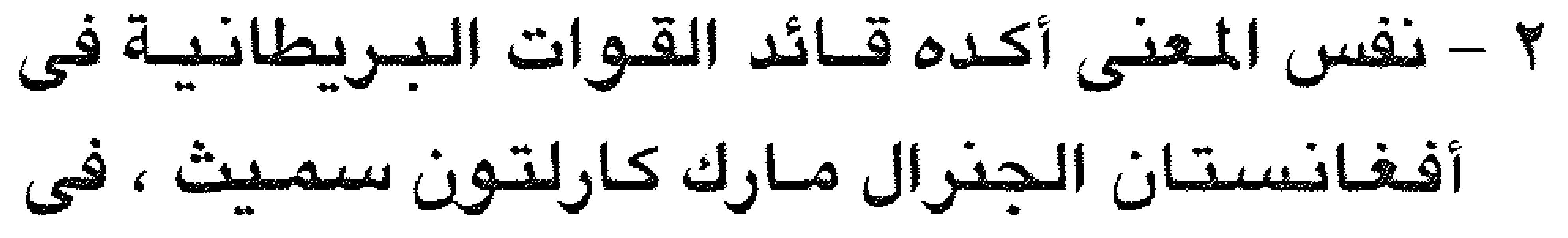


هوب دى شيفر

١ - يوم ٢٠٠٦/١٠/٦ قال سكرتير عام حلف شمال الأطلنطى هوب دى شيفر : "من الوهم الاعتقاد بأن الحل فى أفغانستان سيكون عسكرياً " . . وقال المتحدث باسم الحلف :" مهمة الحلف فى أفغانستان هى الامتحان الأصعب منذ انتهاء الحرب الباردة ".. وقال السفير الأمريكى فى كابول : " لن نربح هذه الحرب عسكريا فى أى وقت قريب " . . !

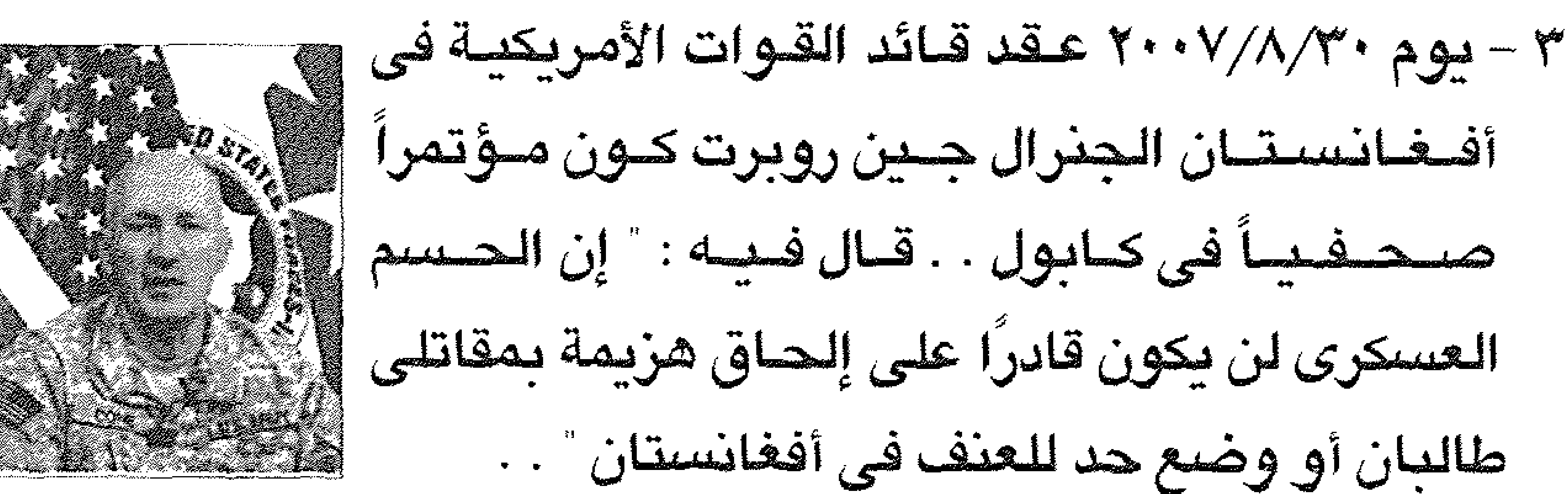


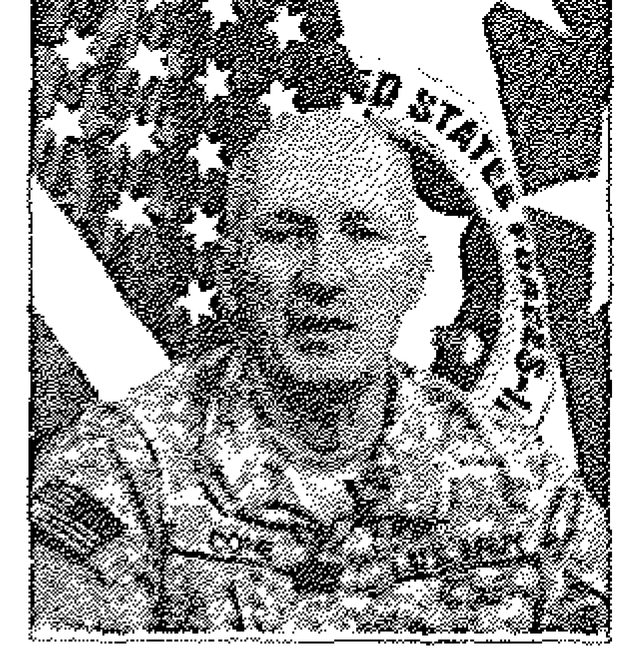
مارك كارلتون سميث



٢ - نفس المعنى أكده قائد القوات البريطانية فى أفغانستان الجنرال مارك كارلتون سميث ، فى

حديث أدلى به لصحيفة " صنداى تايمز " . . قال : " بغير الجلوس مع طالبان لن تنتهى الحرب فى أفغانستان " . . أضاف : "يمكن لقوات التحالف أن تمتص عنف طالبان . . لكن لا تستطيع أن تحسم الصراع معها عسكرياً " . . واعتبر أن " مجرد تحقيق التهدئة مع طالبان هو كسب لقوات التحالف " . .





جين روبرت كون

٣ - يوم ٢٠٠٧/٨/٣٠ عقد قائد القوات الأمريكية فى أفغانستان الجنرال جين روبرت كون مؤتمراً صحفياً فى كابول . . قال فيه : " إن الحسم العسكرى لن يكون قادرًا على إلحاق هزيمة بمقاتلى طالبان أو وضع حد للعنف فى أفغانستان " . .

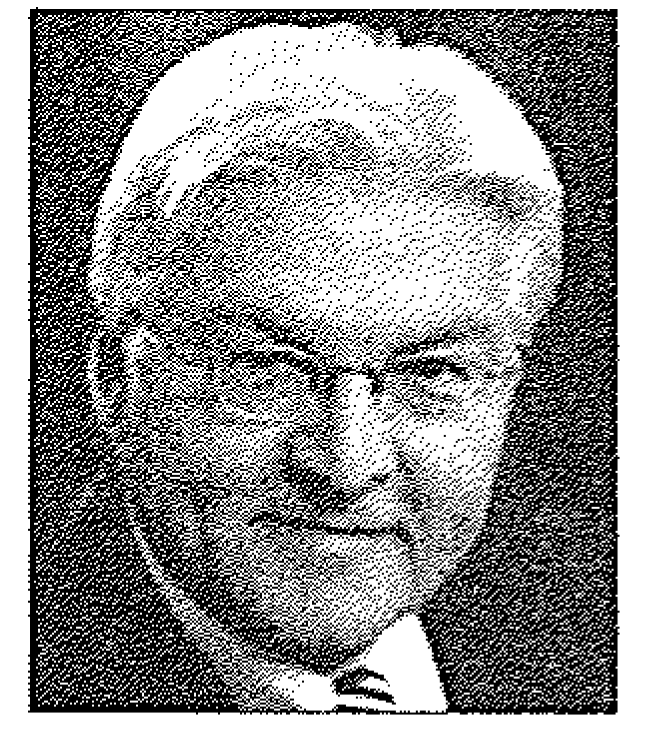
٤ - مع تزايد قوة طالبان واتساع نفوذها فى المناطق الجنوبية . . بدأت الخلافات تظهر بين دول حلف شمال الأطلنطى ، لأن معظم هذه الدول نشرت قواتها فى المناطق الشمالية بأفغانستان وتركت عبء قتال طالبان فى المناطق الجنوبية على ٤ دول فقط هى : الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا وهولندا ، التى أصبحت تفقد كل يوم أعداداً من جنودها . .

٥ - الخلافات وصلت إلى وسائل الإعلام . . فطالبت وزيرة الخارجية الأمريكية - فى ذلك الوقت - كوندو ليزا رايس دول الحلف بالعدالة فى توزيع الأعباء العسكرية ، وقالت : "إن الحلف يواجه امتحاناً فى أفغانستان ومهمته صعبة " . . وشن وزير الدفاع الأمريكى روبرت جيتس هجوماً على أعضاء الحلف ، واتهمهم بالتلكؤ فيما يتصل بمهام الحلف فى أفغانستان . . !

٦ - يوم ٢٠٠٨/٢/١٠ حذر وزير الدفاع الأمريكى روبرت جيتس (فى خطابه أمام المؤتمر الـ٢٤ حول الأمن والتعاون فى أوروبا الذى عقد بمدينة ميونيخ الألمانية) من احتمال انهيار حلف شمال الأطلنطى فى حال رفض الأوربيون تقاسم حمل الأعباء فى أفغانستان . . أضاف : " إن مهمة الحلف هى تدمير الحركة الدولية للإسلاميين فى مهدها . . وإن المتطرفين الإسلاميين بجميع أنحاء العالم سيحصلون على دعم معنوى فى حال تعثر الحلف فى تنفيذ هذه المهمة" . . !

٧ - رغم ذلك استمرت الخلافات قائمة . . وانقسمت دول حلف شمال الأطلنطى إلى جبهتين . . جبهة تضم الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا وهولندا - وهى الدول التى تنتشر قواتها بالجنوب الأفغانى فى مواجهة طالبان . . وجبهة تضم الدول التى تنتشر قواتها بالشمال الأفغانى بعيدًا عن طالبان . .

حجة الجبهة الأولى أن طالبان تشكل تهديدا مباشرا لأمن أوروبا والولايات المتحدة . .


فالتر شتاينماير

وحجة الجبهة الثانية لخصها وزير الخارجية الألمانى - فى ذلك الوقت - فرانك فالتر شتاينماير بتصريح له فى نفس المؤتمر قال فيه : "إن قطاعات كبيرة من الرأى العام فى بلادى لديها شكوك متزايدة تجاه المهام التى تقوم بها قواتنا فى أفغانستان " . . !

٨ - الشكوك تكونت لدى الشعوب والحكومات الغربية حول جدوى استمرار الحرب التى تخوضها فى أفغانستان للأسباب التالية :

طول الحرب - عدم الحسم - لاناقة ولا جمل لهذه الدول فى الحرب - كثرة الخسائر العسكرية لهذه الدول - استحالة القضاء على طالبان التى استعادت عافيتها وأخذت تقوى وتزداد شوكتها - عدم تحسن الوضع الأمنى والاقتصادى فى أفغانستان. فشل حكومة كرزاى وتفشى الفساد بين أعضائها . .

٩ - كان عدد القوات الأجنبية فى أفغانستان ذلك الوقت ما يقرب من ٤٣ ألف جندى . . تضم قوات من الـ ٢٦ دولة الأعضاء فى حلف شمال الأطلنطى ، إلى جانب قوات من ٢٠ دولة أخرى مثل استراليا والأردن وسنغافورة ، حتى لاتبدو المعركة وكأنها معركة بين الحلف وطالبان . . ولكى تأخذ طابعا دوليا يتناسب مع شعار " الحرب على الإرهاب " الذى أطلقته الولايات المتحدة . . لذلك فإن هذه القوات يطلق عليها اسم " القوات الدولية العاملة فى أفغانستان " . . أو " إيساف " . .

١٠ - يوم ٢٠٠٨/٧/١٣ قتل ٩ جنود أمريكيين على أيدى جنود طالبان فى شرق أفغانستان . . الحادث أحرج الرئيس الأمريكى السابق بوش الابن بقوة ، لا سيما أنه ترافق مع تقارير تقول إن عدد القتلى من الجنود الأمريكيين على أيدى جنود طالبان يتزايد باستمرار ، وإن محاولة القضاء على طالبان هى عبث لا طائل منه . . كانت ولاية بوش الابن الثانية توشك على الانتهاء . . وهو غير قادر على كسب الحرب التى بدأها ضد طالبان . . وغير قادر على حماية جنوده من القتل . . فبدأ فى قصف منطقة القبائل الباكستانية على أمل أن يكون أسامة بن لادن أو أحد قادة طالبان مختبئاً بها ويموت تحت القصف . . فيسوق بوش الابن ذلك للشعب الأمريكى على أنه انتصار فى الحرب التى بدأها على ما يسميه الإرهاب . . لكن ولايته انتهت ولم يتحقق أمله . .

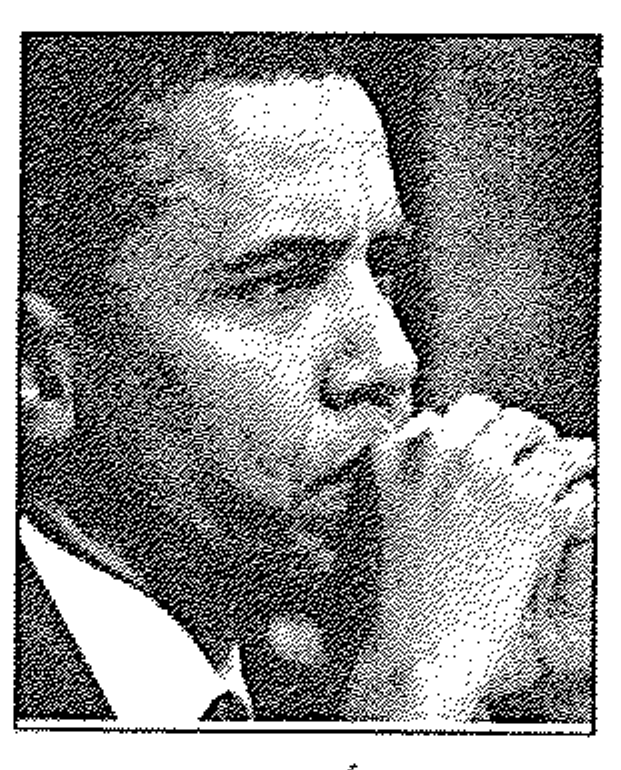
١١ - جاء باراك أوباما إلى السلطة فى الولايات المتحدة بعد بوش الابن . . فاعتبر أن الغزو الأمريكى للعراق كان إهدارا لجهود كان يجب أن توجه إلى أفغانستان ، لأن الجبهة الرئيسية للحرب على - ما يسميه - الإرهاب هى فى أفغانستان وباكستان . . !

١٢ - يوم ٢٠٠٩/١/٢٧ .. بعد أسبوع واحد من تولى أوباما السلطة ، قال روبرت جيتس فى جلسة أمام لجنة الدفاع بمجلس الشيوخ الأمريكى : " إن أفغانستان تشكل اليوم أكبر تحد عسكرى تواجهه الولايات المتحدة " . . !

١٣ - وضع أوباما استراتيجية جديدة للحرب فى أفغانستان ، تقوم على زيادة أعداد الجنود الأمريكيين هناك . . ومارس ضغوطا هائلة على الدول الأخرى لزيادة أعداد جنودها أيضا . . ثم بدأوا فى تنفيذ عمليات أطلقت عليها أسماء مثل : " مخالب الفهد" و"الخنجر " ، و" البطل " ، و"مشترك" . .

١٤ - فى المقابل قامت طالبان - طبقاً لتقرير من البنتاجون نشرت مقتطفات منه بجريدة الأهرام يوم ٢٠٠٩/٩/١٣ ص ٤ - بزيادة القنابل المزروعة فى الطرق ، والتى تستهدف القوات الأمريكية بنسبة ٣٥٠٪ فى الفترة من عام ٢٠٠٧ إلى عام ٢٠٠٩ .. كما زاد معدل القتلى فى صفوف القوات الأجنبية خلال نفس الفترة بنسبة ٤٠٠٪ ومعدل المصابين بنسبة ٧٠٠٪ . . !

١٥ - يوم ٢٠٠٩/٨/١٤ اعترف وزير الدفاع الأمريكى روبرت جيتس بأن " طالبان لديها قبضة قوية على بعض المناطق فى أفغانستان " . .

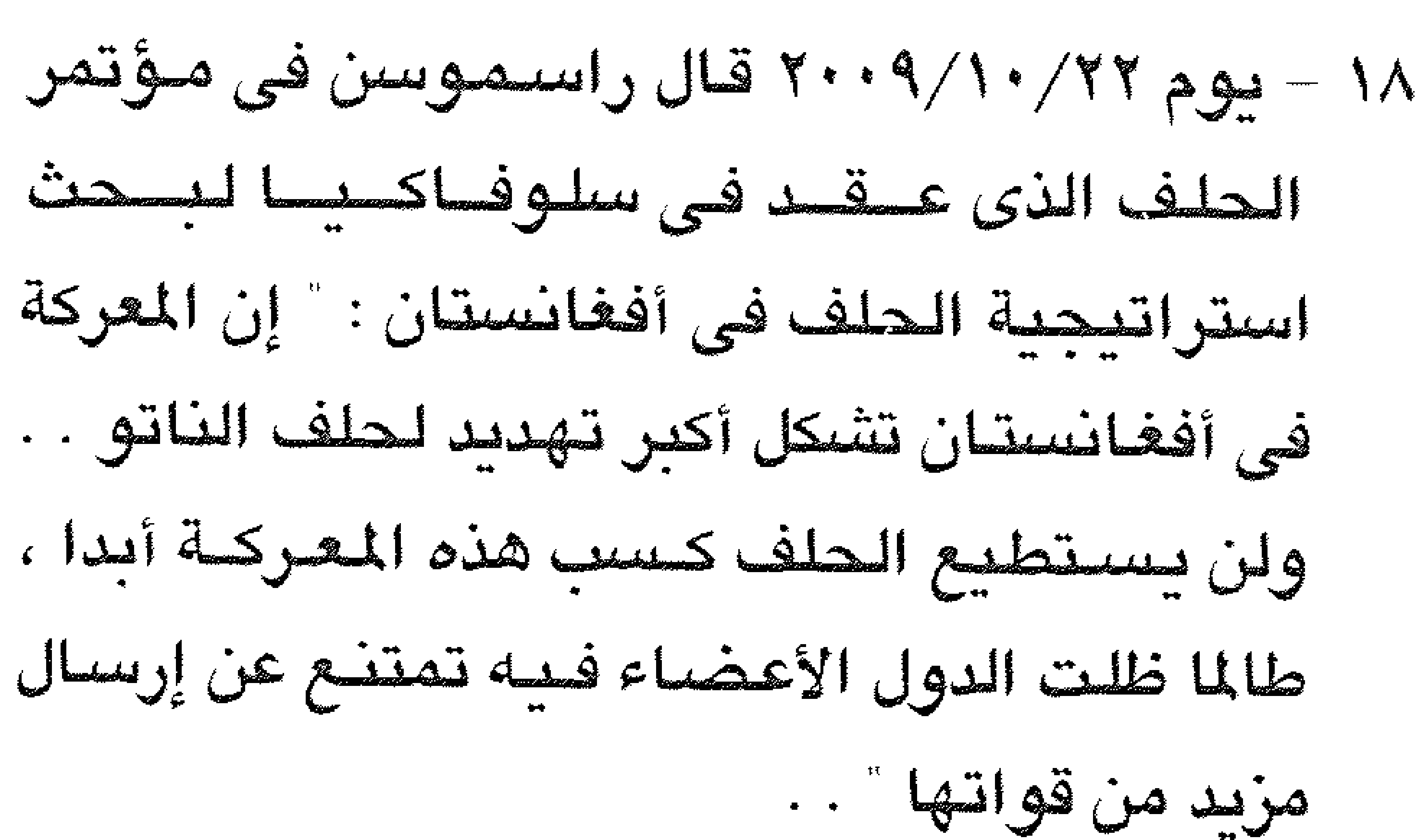


أوباما

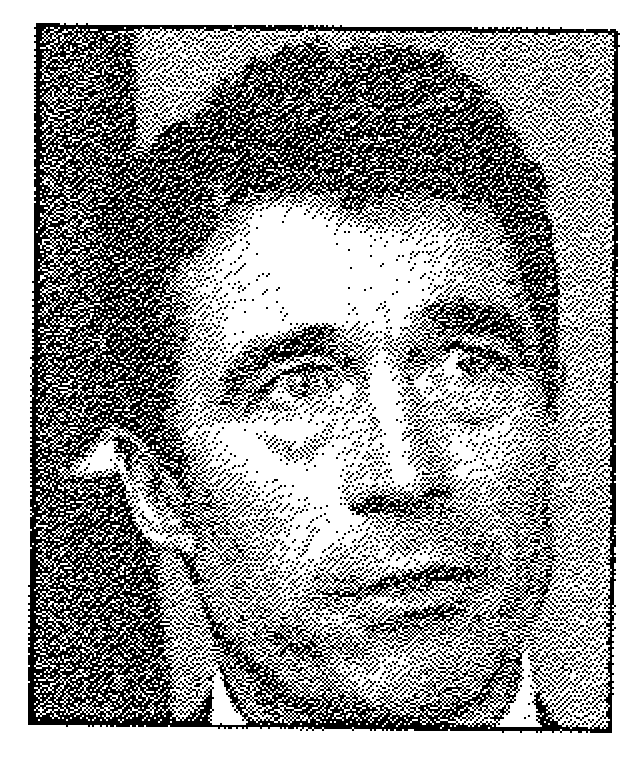
١٦ - يوم ٢٠٠٩/٨/٢٤ اعترف رئيس هيئة الأركان الأمريكية مايك مولن بأن " الوضع الأمنى فى أفغانستان يزداد سوءا وطالبان تزداد قوة " . .



مايك مولن



١٧ - يوم ٢٠٠٩/٩/٣٠ قال الرئيس الأمريكى أوباما عند استقباله السكرتير العام الجديد لحلف شمال الأطلنطى آندرس فو راسموسن : " إن المعركة فى أفغانستان ليست أمريكية ، ولكنها مهمة للناتو " . .



راسموسن

١٨ - يوم ٢٠٠٩/١٠/٢٢ قال راسموسن فى مؤتمر الحلف الذى عقد فى سلوفاكيا لبحث استراتيجية الحلف فى أفغانستان : " إن المعركة فى أفغانستان تشكل أكبر تهديد لحلف الناتو . . ولن يستطيع الحلف كسب هذه المعركة أبدا ، طالما ظلت الدول الأعضاء فيه تمتنع عن إرسال مزيد من قواتها " . .

١٩ - استطلاعات الرأى فى تلك الفترة كانت كالتالى :

- فى استطلاع أذاعته القناة الفرنسية يوم ٢٠٠٩/٨/٢٠ .. جاء أن ٦٤٪ من الفرنسيين يعارضون التدخل العسكرى فى أفغانستان ، ويرفضون اشتراك جنودهم فى هذه الحرب . . و٩٢٪ يرون أن الوضع فى أفغانستان خطر جداً ، وأن القوات الدولية هناك معرضة للخطر . .
- فى استطلاع أجرته شبكة تليفزيون «سى إن إن» الأمريكية فى أوائل سبتمبر ٢٠٠٩ .. جاء أن ٥٤٪ من الأمريكيين يعتقدون أن

بلادهم خسرت الحرب فى أفغانستان . . و ٥٨٪ يعارضون هذه الحرب ، ويعارضون إرسال قوات أمريكية إلى أفغانستان . .

- فى استطلاع أجرته هيئة الإذاعة البريطانية «بى بى سى» وأذاعته يوم ٢٠٠٩/١١/٨ .. قال ٦٤ ٪ من البريطانيين : " لا مجال للانتصار فى هذه الحرب ، ويجب سحب القوات البريطانية من أفغانستان بأسرع ما يمكن " . . !

وهذا بالضبط هو ما قاله أيضاً وزير الدفاع البريطانى الجديد ليام فوكس فى حوار مع صحيفة " التايمز" - نشرته يوم وصوله إلى أفغانستان فى أول زيارة يقوم بها إلى هناك ، السبت ٢٠١٠/٥/٢٢ - . . قال : " أود أن تعود قواتنا فى أقرب وقت ممكن . . لسنا شرطة دولية .. ولسنا فى أفغانستان لنشغل أنفسنا بتدريب الشرطة فى بلد مضطرب منذ القرن الـ١٣ .. نحن هنا لنتفادى تعرض الشعب البريطانى ومصالحنا العامة للتهديد " . .

* * *

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٢٦/ ٥/ ٢٠١٠

(٢)

هولندا بدأت المسلسل:

فرار حلف الأطلنطى من أفغانستان .. !

■ اتخذت هولندا القرار الصائب وسحبت قواتها (١٩٥٠ جنديا) من أفغانستان فى الأول من أغسطس ٢٠١٠ ..

القرار كان متوقعاً منذ فبراير ٢٠١٠ ، عندما رفض نائب رئيس الحكومة ووتر بوس الذى يتزعم حزب العمل، أى تمديد لمهمة القوات الهولندية فى أفغانستان بعد نهاية يوليو ٢٠١٠ .. بينما كان رئيس الحكومة يان بيتر بالكيننندى الذى يتزعم الحزب الديمقراطى المسيحى يوافق على التمديد ..

تمسك كل من الرجلين بموقفه . . فأعلن ووتر بوس انسحاب حزبه من الإئتلاف الحاكم، الذى كان يضم مع الحزبين السابقين حزب الاتحاد المسيحى .. فانهار الإئتلاف وسقطت الحكومة .. وقدم بالكيننندى استقالته إلى ملكة هولندا .. ثم جرت انتخابات برلمانية جديدة فى يونيو ٢٠١٠ ، حصل فيها حزب العمل عن عدد من المقاعد تزيد على التى كان يمتلكها فى البرلمان السابق . .

هذا الانقسام الذى أدى إلى سقوط الحكومة فى هولندا .. كان انعكاسا لحالة إنقسام سادت الشارع الهولندى منذ ٤ سنوات ، عندما وجد الناس أن الحكومة أرسلت أولادهم إلى أفغانستان ، للمشاركة فى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل .. حرب لا تبدو لها نهاية .. خسائرها لا تتوقف .. وقد بلغ نصيب هولندا من هذه الخسائر ٢٤ جندياً لقوا حتفهم ، و١٤٠ مصاباً ، و١٨٠٠ مليون دولار . .

كان امتداداً أيضاً لحالة إنقسام أوسع انتشرت فى ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وكندا والولايات المتحدة واستراليا وكل الدول التى تشارك بقوات فى أفغانستان .. ظهرت جلية فى استطلاعات الرأى التى جرت فى هذه الدول . .

كما ظهرت فى نتائج صناديق الاقتراع، التى أعادت تشكيل البرلمانات والحكومات فى كثير من الدول بسبب حرب أفغانستان..!

بل إن حالة الانقسام وصلت إلى صفوف حلف شمال الأطلنطى، وهددته بالتفكك والانهيار . .

* * *

ورغم أن قرار هولندا بسحب قواتها من أفغانستان لم يكن مفاجئا كما ذكرت .. إلا أنه يمكن النظر إليه على أنه بمثابة " تدشين " لمسلسل انسحاب قوات حلف شمال الأطلنطى من أفغانستان ، بعد أن تكبدت خسائر كبيرة فى الأرواح والمعدات، وفشلت فى القضاء على حركة طالبان .. وهنا أود أن أسجل عددا من الملاحظات :

١- أن هولندا اتخذت هذا القرار على الرغم من كونها عضوا أساسيا فى حلف شمال الأطلنطى، وهذا يعكس بوضوح حالة " التصدع " التى أصابت الحلف بسبب حرب أفغانستان ..

٢- أن هذا القرار من شأنه أن يشجع بقية الدول الأعضاء فى الحلف على الإسراع بسحب قواتها من أفغانستان .. وكذلك الدول غير الأعضاء في الحلف الذين ارسلوا قواتهم إلى أفغانستان تحت ضغط من الولايات المتحدة الأمريكية (عددهم ٢٠ دولة) ..

٣- القرار دليل على أن النفوذ الأمريكي على الساحة الدولية ، قد أخذ فى التراجع.. ولم تعد الولايات المتحدة كما كانت، تأمر فتطاع ..

٤- انسحاب القوات الهولندية بهذه الطريقة مؤشر قوى على أن الحرب في أفغانستان تقترب من نهايتها .. وأن عودة طالبان إلى الحكم أصبحت مسألة وقت. . وهذا بدوره لابد أن يفرض على القوى الإقليمية فى المنطقة - خاصة باكستان - إعادة ترتيب أوراقها ..

* * *

يؤكد ذلك زيادة الخسائر فى قوات حلف شمال الأطلنطى ، وعجز هذه القوات عن القيام بعملية قندهار التى تحدثت عنها كثيرا، والانسحابات المتكررة من المناطق التى تسيطر عليها طالبان .. من أبرز هذه الانسحابات : انسحاب القوات الأمريكية فى أكتوبر ٢٠٠٩ من ٣ قواعد عسكرية تابعة لها فى مديرية كامديش ومديريتين بولاية نورستان، تاركة وراءها كميات كبيرة من أحدث أنواع الأسلحة والذخائر .. بحجة دخول فصل الشتاء الذى تصبح فيه هذه المديريات شديدة البرودة..

طالبان بالطبع سارعت بالاستيلاء على الأسلحة والذخائر الأمريكية، كما استسلم لها أعداد كبيرة من جنود الشرطة والجيش

الأفغانى فى هذه المنطقة ، الذين شعروا بغدر القوات الأمريكية بهم، لأنها تركتهم وحدهم فى مواجهة طالبان دون أية مساندة ، فقدموا إلى طالبان كل ما لديهم من أسلحة وذخائر ..

وقد فرضت طالبان سيطرتها الكاملة على المديريات الثلاث، ورفعت علم الإمارة الإسلامية فوق مقر الجمارك الذى كانت تتخذ منه القوات الأمريكية مركزاً لقيادتها.. كما استدعت مراسلى محطات التليفزيون لتصوير الغنائم التى حصلت عليها ، بعد أن دحرت القوات الأمريكية وأجبرتها على الانسحاب من تلك المنطقة ..

ليس هذا فقط .. بل إن السفير الأمريكى فى أفغانستان كارل ريكنبيرى اجتمع فى تلك الفترة مع وكيل أحمد متوكل وزير الخارجية فى حكومة طالبان، وعرض عليه انسحاب قوات حلف شمال الأطلنطى من ٥ ولايات أفغانية فى الجنوب، هى: قندهار - هيلمند - أورزجان - كونر - نورستان، وذلك فى مقابل عدم إطلاق طالبان الصواريخ على القواعد الأمريكية .. !

هناك أيضًا الانسحاب الذى تزمع القوات البريطانية القيام به من منطقة سانجين فى الجنوب الأفغانى أوائل نوفمبر ٢٠١٠ .. الذى أشار إليه وزير الدفاع البريطانى ليام فوكس فى حديثه أمام مجلس العموم البريطانى يوم ٢٠١٠/٧/٨ ، عن ما سماه: " بيان حول إعادة انتشار القوات البريطانية فى أفغانستان ".. السبب فى اتخاذ بريطانيا هذه الخطوة أن قواتها تكبدت فى هذه المنطقة أكبر نسبة من خسائرها البشرية على أيدى قوات طالبان، حيث قتل فى

منطقة سانجين وحدها ١٠٠ جندى بريطانى من مجموع يصل الآن إلى حوالى ٣٥٠ جندياً بريطانيا قتلوا فى أفغانستان ..

ولأن بريطانيا مثل بقية الدول المشاركة فى هذه الحرب مع الولايات المتحدة ، لا ناقة لها فيها ولا جمل.. فقد أعلن وزير الدفاع البريطانى ليام فوكس بعد أيام قليلة من توليه منصبه فى الحكومة البريطانية الجديدة ، أن القوات البريطانية ستغادر أفغانستان فى أقرب وقت ممكن . .

هذا الكلام الصريح أغضب واشنطن ، فاضطر وزير الخارجية البريطانى إلى تخفيف حدته بالقول : إن التصدى للوضع فى أفغانستان هو من أولوياتنا وسوف يكلفنا الكثير من الوقت والطاقة والجهد .. !

* * *

إن أصدق وصف للحالة التى تعيشها القوات الأمريكية والقوات الأجنبية معها فى أفغانستان ، جاء على لسان وزير الدفاع الأمريكى روبرت جيتس فى مؤتمر صحفى عقده مع الرئيس حامد كرزاى فى كابول يوم الأثنين ٨/٣/٢٠١٠ .. قال : "لا تزال هناك أوقات صعبة تنتظرنا فى أفغانستان.. ولا ينبغى أن نجعل النتائج التى تحققت فى مارجا فى هيلمند تخفى التحديات التى أمامنا.. مازالت هناك ليال سود فى انتظارنا".. !!

الآن .. بدأت جيوش حلف شمال الأطلنطى فى الفرار من قوات طالبان ، التى جعلت لياليهم سوداء، باعتراف وزير الدفاع الأمريكى نفسه .. !

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٤/ ٨/ ٢٠١٠

الفصل السادس

الحرب على القبائل

قصة هذه الحرب تعود إلى بداية عام ٢٠٠٨ . عندما ثبت للولايات المتحدة الأمريكية أنها لن تكسب الحرب فى أفغانستان ..

(١)

الحرب على القبائل.. كيف بدأت..؟

■ قصة هذه الحرب تعود إلى بداية عام ٢٠٠٨ ، عندما ثبت للولايات المتحدة الأمريكية أنها لن تكسب الحرب فى أفغانستان . . وأن طالبان أخذت فى الظهور من جديد على الساحة الأفغانية كقوة لا يستهان بها ، حيث زاد عدد العمليات العسكرية التى تقوم بها ضد القوات الأجنبية ، ونجحت فى قتل المئات منهم ، كما نجحت فى بسط نفوذها على عدد من الولايات الجنوبية بالدولة ، وزادت شعبيتها . . فى نفس الوقت الذى كانت فيه شعبية الرئيس الأفغانى حامد كرزاى تنحسر ، ونفوذه لا يتعدى أسوار القصر الذى يعيش فيه . . !

فى البداية حاولت الولايات المتحدة إعادة الأمور إلى ما كانت عليه فى السنوات الأولى لغزوها أفغانستان . . واتبعت من أجل تحقيق ذلك ٤ طرق :

١- شحذ همم الجنود الأمريكيين وجنود "الناتو" فى أفغانستان، عن طريق قيام الزعماء الغربيين بزيارتهم والتقاط الصور التذكارية معهم.. فذهب إلى هناك بوش، أوباما، وميركل، وساركوزى، وبراون، وآخرون..

٢- دعم قدرات قوات الأمن الأفغانية التابعة لحكومة كرزاى، على أمل أن تقوم بالتصدى لقوات طالبان بدلا من قوات "الناتو".. بذلك يكون الضحايا فى الجانبين من الأفغان وليس من القوات الأمريكية أو قوات "الناتو"..!

٣- زيادة المعونات الاقتصادية لأفغانستان لدعم مشروعات التنمية بها.. على أمل أن ذلك سيسهم فى تجميل صورة الولايات المتحدة ودول "الناتو" لدى الشعب الأفغانى، ويقلل من شعبية طالبان..

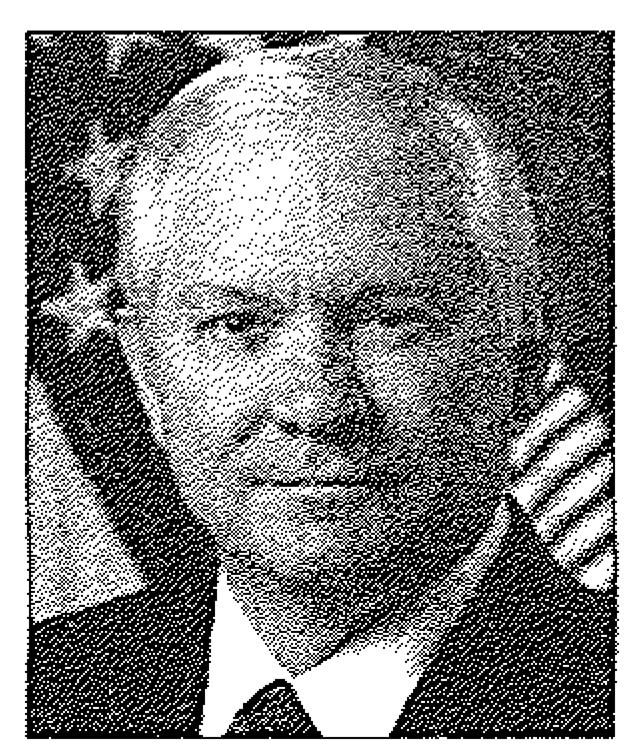
٤- زيادة أعداد القوات الأمريكية وقوات "الناتو" فى أفغانستان وزيادة تسليحها..على أمل أن تتمكن من حسم المعركة مع طالبان بالوسائل العسكرية..

- لكن المشكلة أن الطرق الأربع فشلت كلها فى إعادة الأمور للأمريكيين إلى ما كانت عليه فى السنوات الأولى لغزو أفغانستان . . فلا الصور التنكارية نفعت . . ولا قوات الأمن الأفغانية استطاعت التصدى لطالبان ، بل على العكس بعضها انضم إلى طالبان وقدم اليها سلاحه . . ولا المعونات الاقتصادية استخدمت لإقامة مشروعات تنمية ، بل نهبت إلى جيوب الفاسدين من أعضاء حكومة كرزاى التى تصنف على أنها من اكثر حكومات العالم فسادا . . على الرغم من النداءات التى وجهها زعماء العالم إلى كرزاى بتوجيه هذه المعونات إلى وجهتها الصحيحة ، مثل أمين عام الأمم المتحدة بان كى مون الذى قال لكرزاى فى مؤتمر المانحين للشعب الأفغانى الذى عقد بباريس فى ٢٠٠٨/٦/١٢ : "نريد أن تظهر آثار هذه الأموال على الأرض ، وأن يستفيد منها الشعب الأفغانى » . لكن كل هذه النداءات ذهبت سدى ، والأموال سرقت . .

* * *

غير أن المشكلة الكبيرة التى واجهت الولايات المتحدة ، حدثت عندما طلبت من الدول الشركاء معها فى حلف "الناتو" زيادة أعداد قواتها فى أفغانستان .. كان عدد القوات الأجنبية بأفغانستان فى ذلك الوقت - أوائل عام ٢٠٠٨ - يبلغ ٤٣٢٥٠ جنديا يمثلون الـ ٢٦ دولة الأعضاء فى "الناتو" إلى جانب ٢٠ دولة أخرى مثل استراليا وسنغافورة والأردن ، ويطلق على مجموع هذه القوات اسم "إيساف" . . كان عدد الجنود الأمريكيين فى هذه القوات ١٥ ألفاً ، والبريطانيين ٧٨٠٠ ، والألمان ٣٢١٠ ، والفرنسيين ١٥١٥ ، وكانت الولايات المتحدة تريد أن ترفع مجموع أعداد القوات إلى اكثر من ٧٠ ألفًا . . لكن الدول الأخرى لم تكن متحمسة لتنفيذ هذا المطلب لأسباب عديدة . . منها على سبيل المثال : أن الحرب فى أفغانستان مستمرة منذ ٧ سنوات ولم تحسم . . وأن هذه الدول لاناقة لها فى هذه الحرب ولاجمل . . وأن خسائرها العسكرية تزداد سواء فى الأرواح أو المعدات ، بينما طالبان تقوى وتزداد شوكتها . . وأن حكومة كرزاى فاشلة ، والوضع الأمنى والاقتصادى يزداد سوءًا . .

المهم أن عدم حماس هذه الدول لزيادة اعداد قواتها فى أفغانستان ، أحدث إنقساما عميقا فى حلف "الناتو" لم يسبق له مثيل فى تاريخ الحلف منذ تأسس عام ١٩٤٩ .. حتى ان وزير الدفاع الأمريكى روبرت جيتس حذر فى خطاب له يوم ٢٠٠٨/٢/١٠ أمام المؤتمر الـ ٢٤ للحلف بميونخ ، من احتمال انهيار حلف "الناتو" فى حال رفض الأوروبيون ما أسماه بـ "تقاسم حمل الأعباء فى أفغانستان " . . ! !


روبرت جيتس

لم تكن أعداد القوات فقط هى المشكلة . . بل كان توزيعها فى الولايات الأفغانية هو المشكلة الأكبر . . فالكل يريد أن يهرب من الولايات الجنوبية التى تتمركز بها قوات طالبان حتى يقلل من خسائره البشرية . . هنا ظهر خلاف آخر قسم أعضاء الحلف إلى جبهتين : جبهة تضم كلا من الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا وهولندا ، وهى الدول التى يقع عليها عبء قتال طالبان فى الجنوب . . وجبهة تضم الدول الأخرى التى تنشر قواتها فى الولايات الشمالية . . الخلاف خرج من الغرف المغلقة إلى وسائل الإعلام . .

* * *

هكذا شعرت الولايات المتحدة أن خطتها للزج بقوات " الناتو " إلى أفغانستان لتقاسم أعباء الحرب معها ضد طالبان ، تحت شعار " الحرب على الإرهاب " ، لا تسير على ما يرام . . فى نفس الوقت هى عاجزة عن تحقيق نصر عسكرى على طالبان ، والخبراء العسكريون يعتبرون النصر العسكرى على طالبان هو من رابع المستحيلات . . وفترة حكم بوش الابن توشك على الانتهاء . . وطالبان تقوى . . وديفيد ميليباند وزير الخارجية البريطانى يكتب مقالاً فى صحيفة صنداى تلغراف يقول فيه : "ليس هناك حل عسكرى لتسوية مشاكل أفغانستان " . .

- إذن كيف يواجه بوش الشعب الأمريكى بعد ٧ سنوات من الحرب المتواصلة على طالبان . . فشل فيها فى الانتصار على الحركة ، أو القبض على زعيمها الملا محمد عمر ، أو القبض على أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة المتهم الرئيسى فى أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ؟ ! ! . .

محاولة البحث عن إجابة على هذا السؤال ، هى التى دفعت بوش إلى فتح جبهة جديدة للحرب . . ساحتها منطقة القبائل الباكستانية ، لكونه يعتقد أنها تمثل الملاذ الآمن لقيادات طالبان والقاعدة . . فبدأ فى قصف هذه المنطقة ، على أمل أن ينجح فى قتل أحد هذه القيادات . . فيعلن بذلك انتصاره فيما يسميها بـ "الحرب على الإرهاب" . . لكنه ترك الحكم قبل أن يتحقق له هذا الأمل . . !

هكذا بدأت الحرب على القبائل .. !

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ١٧/ ٦/ ٢٠٠٩

(٢)

هل تدفع القبائل ثمن هزيمة الأمريكيين فى أفغانستان ؟

■ كانت التقارير التى تأتى إلى الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش الابن من أفغانستان ، تقول إن عدد القتلى من الجنود الأمريكيين على أيدى قوات طالبان فى تزايد مستمر . . وإن طالبان تقوى وشعبيتها تزداد ونفوذها يتسع . . وأن الحل فى أفغانستان لا يمكن أن يكون عسكريا . .

بل وصل الأمر بالجنرال جين روبرت قائد القوات الأمريكية فى أفغانستان إلى الإعتراف فى مؤتمر صحفى عقده بكابول يوم ٢٠٠٧/٨/٣٠ - بـ " أنه لن يكون قادرا على إلحاق هزيمة بطالبان أو وضع حد للعنف فى أفغانستان " . . !

كما أكد قائد القوات البريطانية من جانبه أيضاً " أنه لايمكن الوصول إلى تسوية للوضع فى أفغانستان دون إجراء حوار مع طالبان " . . !

هذه التصريحات من قائدى القوات الأمريكية والبريطانية ، التى تكاد تصل إلى درجة الاعتراف بالهزيمة أمام طالبان . . صدرت فى وقت كانت فيه الولاية الثانية لبوش توشك على الانتهاء . . وكان فى أشد الحاجة إلى إنجاز أى شئ فى حربه بأفغانستان خلال الفترة المتبقية من حكمه ،

ليقول به للأمريكيين إنه انتصر فى هذه الحرب ، وإن الأهداف التى من أجلها أرسل الجيش الأمريكى إلى أفغانستان قد تحققت . . لكن ها هو بعد ٧ سنوات من الحرب ، تكبد جيشه خلالها خسائر مادية وبشرية جسيمة . . لم يستطع الوصول إلى مكان أسامه بن لادن المتهم الرئيسى فى هجمات ١١ سبتمبر . . ولم يستطع الانتصار على طالبان . . إذن ماذا يفعل ؟ ! . .

وجد بوش الابن فى شن الحرب على منطقة القبائل الباكستانية الواقعة على الحدود مع أفغانستان حلا لمشكلته . . . . لماذا ؟ . .

- أولاً : لأنها تعد الملاذ الآمن للكثير من قيادات تنظيم القاعدة وجماعة طالبان . . وربما يؤدى قصفها إلى قتل أحد هذه القيادات ، فيقدم بوش ذلك للأمريكيين على أنه انتصار فى الحرب ! . .
- وثانيًا : لأن قصفها هو إجراء سهل مأمون العواقب . . لأنه يتم بواسطة طائرات بدون طيار ، وبالتالى ليست هناك فرصة لوقوع اشتباكات وسقوط ضحايا من الجنود الأمريكيين . .
- وثالثًا : لأن الانتصار على الجماعات الإسلامية المسلحة التى تسكن منطقة القبائل وتقدم الدعم للقاعدة وطالبان فى أفغانستان . . من شأنه أن يفتح الطريق أمام الجيش الأمريكى للإنتصار فى أفغانستان (هكذا يعتقد الأمريكيون) . .
- ورابعًا : لأن سكان منطقة القبائل الباكستانية (من وجهة نظر بوش) يستحقون القتل . . لأن الجيش الأمريكى أعلن أكثر من مرة عن جوائز مالية كبيرة وصلت إلى ملايين الدولارات ، لكل من يقدم له معلومات تساعد فى إلقاء القبض على أحد قيادات القاعدة أو طالبان . .ومع ذلك لم يتقدم منهم أحد . . رغم أنهم هم الذين يأوونهم . . ! !

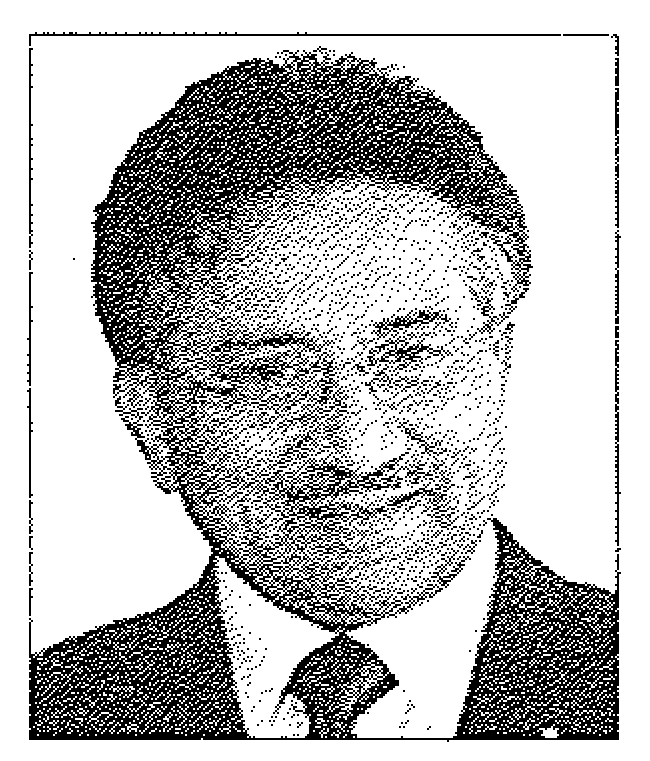
* * *

لهذه الأسباب أعطى بوش الابن أوامره للقوات الأمريكية فى أفغانستان بضرب منطقة القبائل الباكستانية . .

الضربات الأمريكية قتلت مئات من الضحايا المدنيين ، الذين لا ذنب لهم فيما يجرى ، ولا علاقة لهم بهجمات ١١ سبتمبر . . صور القتلى أثارت غضب الباكستانيين وخلقت أزمة للحكومة فى اسلام أباد ، لأنها انتهاك صريح لسيادة الدولة الباكستانية على أراضيها . .

المسئولون فى الحكومة طلبوا من الأمريكيين التنسيق معهم قبل شن هذه الضربات ، ولو من باب حفظ ماء الوجه فقط أمام الشعب الباكستانى . . قالوا للأمريكيين اطلبوا منا وسوف نعطيكم الإذن . . لكن الرئيس بوش كان يشك فى وجود اتصالات سرية بين بعض العناصر فى المخابرات الباكستانية وعناصر من طالبان والقاعدة ، فاعتبر أن طلب الإذن من الباكستانيين من شأنه أن يتسرب اليهم ، وبالتالى تفشل محاولاته لاصطياد أحد زعماء القاعدة أو طالبان المختبئين فى منطقة القبائل . . هذا الشك تأكد لديه بعد أن قامت قواته فى احدى المرات بقصف منزل فى منطقة القبائل بناء على معلومات وصلتها بأن د . أيمن الظواهرى موجود فى هذا المنزل . . ثم اكتشف الأمريكيون بعد ذلك أن الظواهرى قد غادر المنزل قبل قصفه بربع ساعة فقط . . ! !

لذلك أصدر الرئيس بوش تعليمات سرية إلى قواته - فى صيف ٢٠٠٨ - بالقيام بعمليات عسكرية داخل الأراضى الباكستانية دون الحصول على موافقة مسبقة من حكومة اسلام آباد . . وبالفعل قامت قواته بتنفيذ هذه التعليمات . .


برفيز مشرف

فى تلك الآثناء كانت باكستان تعيش واحدة من أعنف الأزمات السياسية فى تاريخها ، والتى انتهت بتقديم الرئيس برفيز مشرف استقالته فى ١٨ أغسطس ٢٠٠٨ .. وقد استغل الأمريكيون انشغال الباكستانيين بهذه الأزمة فى تكثيف ضرباتهم لمنطقة القبائل . . فقتلوا المئات من الأبرياء ، وشردوا الآلاف ، ودمروا القرى والبيوت . . لكنهم لم يصلوا إلى مكان أسامة بن لادن . . . ! !

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٢٠٠٩/٦/٢٤

(٣)

حلوى فى إسلام آباد وقتلى فى وزيرستان .. !

■ واصلت القوات الأمريكية قصف منطقة القبائل الباكستانية بالقنابل والصواريخ ، على أمل أن يؤدى هذا القصف إلى قتل أحد قيادات القاعدة أو طالبان . . لكن فى كل مرة كان الضحايا دائما من المدنيين الأبرياء الذين ليس لهم أى علاقة من قريب أو بعيد بهجمات ١١ سبتمبر ، ولم يسمعوا فى حياتهم قط عن مركز التجارة العالمى . .

صور القتلى والبيوت المدمرة جراء القصف الأمريكى أثارت الرأى العام الباكستانى . . وأحرجت الحكومة . . واستفزت قادة الجيش . . خاصة ما جرى يوم ٣ سبتمبر ٢٠٠٨ عندما طورت القوات الأمريكية هجومها على منطقة القبائل من قصف جوى بواسطة طائرات بدون طيار ، إلى تدخل برى وهجمات "كوماندوز" بواسطة قوات خاصة ، تمت عملية إنزال جوى لها ، بدعوى مطاردة بعض العناصر المسلحة فى منطقة جنوب وزيرستان . . هذا التدخل أسفر عن مقتل ٢٠ مدنيا باكستانيا برصاص الجنود الأمريكيين فوق الأراضى الباكستانية . . الأمر الذى اعتبر بمثابة اعتداء عسكرى من الولايات المتحدة على باكستان ، وانتهاك صريح لسيادتها على أراضيها . . فهل تسكت الحكومة والجيش الباكستانى على هذا الاعتداء الصريح ، أم يتصديا له ؟! . .

* * *

- الحكومة الباكستانية من جانبها سكتت . . أو أنها اعترضت بصوت غير مسموع . . أو أنها فضلت الاختباء وراء قيادات الجيش . . وفى كل هذه الحالات حاولت دائما أن تغطى موقفها أمام الشعب بحجة أن ما جرى إنما يتم فى اطار الحرب على الإرهاب ، وأن القصد منه هو مطاردة فلول القاعدة وطالبان الهاربة من أفغانستان ، وليس الاعتداء على باكستان . . !

- لماذا اتخذت الحكومة هذا الموقف المتخازل ؟ . .

- لأن باكستان فى ذلك الوقت كانت بلا رئيس جمهورية . . وكان آصف على زردارى رئيس حزب الشعب الذى شكل الحكومة ، يستعد لترشيح نفسه رئيساً للجمهورية . . هذا الاستعداد كان يتطلب منه أن يسترضى الولايات المتحدة لا أن يغضبها . . وبالتالى فلم يكن ذلك هو الوقت المناسب أبدا للإعتراض على القصف الأمريكى لأراضى باكستان وقتل العشرات من أبناء الشعب الباكستانى . . بل كان المطلوب منه أن يبارك هذا القصف وهذا القتل لأبناء شعبه ، ليبرهن بذلك للأمريكيين على أنه خير من يتولى رئاسة باكستان . .

هذا بالضبط ما حدث .. فقد أكد زردارى فى أكثر من تصريح له على أنه مستمر فى الحرب على من سماهم بـ «الإرهابيين وجماعة طالبان والجماعات المسلحة فى باكستان» واتهمهم بقتل زوجته بى نظير بوتو - رغم أنه شخصيا أحد المتهمين أيضاً بالتورط فى قتلها - . . المهم أنه بعد ٧٢ ساعة فقط من التدخل البرى الأمريكى فى جنوب وزيرستان ، فاز آصف على


بى نظير بوتو

زردارى فى الانتخابات الرئاسية التى جرت داخل البرلمان الباكستانى يوم ٢٠٠٨/٩/٦ وأصبح رئيسا لباكستان . . فأخذ أنصاره يوزعون الحلوى فى إسلام آباد ابتهاجا بفوزه ، بينما القتلى من المدنيين البسطاء يتساقطون فى وزيرستان تحت القصف الأمريكى . . !

* * *

هذا التناقض بين ما يجرى فى العاصمة ، وما يجرى فى أطراف الدولة . . دفع أحزاب المعارضة إلى المطالبة - يوم ٢٠٠٨/٩/١٢ بعقد جلسة لمجلس النواب لمناقشة سبل الرد على التدخل العسكرى الأمريكى فى الأراضى الباكستانية . . وأعرب تشودرى نزار على ، أحد أبرز قادة حزب "الرابطة الإسلامية" التابع لرئيس الوزراء السابق نواز شريف ، عن القلق للغاية بسبب هذا الأمر . . إلا أن ذلك لم يستتبعه تحرك جدى ، لأن أحزاب المعارضة نفسها كانت حريصة هى الأخرى على ألا تغضب الولايات المتحدة ، حتى تحظى بمباركتها يوم تتاح لها فرصة القفز إلى السلطة . . !

أيضا كان هذا التوقيت صعب جدا بالنسبة للرئيس الباكستانى الجديد آصف على زردارى . . فالرجل الذى كان بالأمس القريب نزيلاً فى السجون بتهم تتعلق بالفساد والحصول على رشاوى ، أصبح الآن رئيساً للجمهورية . . ومطلوب منه أن يسافر بعد أيام قليلة إلى نيويورك لإلقاء كلمة بلاده أمام اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وبعد نيويورك سيسافر إلى واشنطن للاجتماع مع الرئيس الأمريكى بوش فى البيت الأبيض ليتبادل معه وجهات النظر . . وبالتالى فالوقت غير مناسب أبداً للحديث عن سيادة باكستان على أراضيها أو الإعتداءات الأمريكية المتكررة على منطقة القبائل . . !

* * *

- لكن قادة الجيش الباكستانى لم يكن يمكنهم السكوت على هذه الإعتداءات واعتبروا أنها تنطوى على إهانة لهم . . لذلك صرح قائد الجيش الجنرال اشفاق كيانى ، يوم ٢٠٠٨/٩/١٠ بأنه "لن يسمح لأى قوات أجنبية بتنفيذ عمليات ميدانية داخل التراب الباكستانى " . . وقال : "إن باكستان ستدافع عن سيادتها بأى ثمن " . .

اشفاق كيانى

تصريحات كيانى جاءت ردًا - فى نفس اليوم - على تصريحات لرئيس الأركان المشتركة للجيش الأمريكى مايك مولن قال فيها : إن القوات الأمريكية فى أفغانستان قد غيرت من استراتيجيتها ، وأصبحت تشمل الآن القيام بغارات عبر الحدود داخل الأراضى الباكستانية . . جاءت أيضاً مواكبة لتسريبات من المخابرات الأمريكية لوسائل الإعلام بأن الرئيس بوش أعطى تفويضا لقواته فى أفغانستان بتنفيذ عمليات داخل الأراضى الباكستانية دون انتظار الحصول على موافقة مسبقة من حكومة إسلام آباد ، وأن الباكستانيين لديهم علم بذلك . . !

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ١/ ٧/ ٢٠٠٩

(٤)

تداعيات الهجوم الأمريكى على القبائل .. !

■ خلال شهرى أغسطس وسبتمبر عام ٢٠٠٨ ، قامت القوات الأمريكية باجتياز الحدود الدولية لباكستان ١٢ مرة ، وقصفت القرى والتجمعات السكانية فى منطقة القبائل بالقنابل والصواريخ . . كما قامت بعمليات إنزال برى لجنود المارينز فوق الأراضى الباكستانية ، فاقتحموا البيوت والمساجد وأطلقوا النار على من فيها . .فسقط المئات من المواطنين الباكستانيين قتلى وجرحى . . كل هذا تم تحت شعار زائف اسمه : " الحرب على الإرهاب " .. !

هذه الهجمات الأمريكية المتكررة على منطقة القبائل ، أدت إلى حدوث تداعيات لم تكن فى حسابات الإدارة الأمريكية . . أهمها :

١ - جاء الرد من جماعة طالبان باكستان سريعاً وقوياً ومؤثراً . . تمثل فى نسف وحرق الشاحنات التى كانت تنقل الوقود والمؤن والذخيرة من باكستان إلى القوات الأمريكية فى أفغانستان ، ثم تطور إلى حرق المخازن التى تحوى هذه الأشياء ، والتى كانت القوات الأمريكية قد أقامتها فى مدينة بيشاور والمناطق

الحدودية القريبة منها . . كذلك نسف الطرق التى كانت تستخدمها الشاحنات بين باكستان وأفغانستان . .

خطورة ذلك على القوات الأمريكية أنه حدث فى وقت كانت فيه العلاقات بين واشنطن وموسكو تشهد توتراً حاداً بسبب حرب القوقاز ، وبسبب درع الصواريخ الذى كانت إدارة بوش تنوى إقامته فى شرق أوروبا ، بالتالى لم يكن سهلاً على الولايات المتحدة العثور على طرق بديلة عبر روسيا أو جمهوريات آسيا الوسطى لنقل إمداداتها إلى قواتها فى أفغانستان . . حتى قاعدتها العسكرية فى قيرغيزيا تم إغلاقها - بعد ذلك بوقت قصير- بناءً على طلب من موسكو . . هذا يعنى أن استمرار الهجوم الأمريكى على منطقة القبائل الباكستانية ، واستمرار طالبان باكستان فى الرد على ذلك بحرق الشاحنات ونسف المخازن والطرق ، كان من شأنه أن يؤدى إلى محاصرة القوات الأمريكية فى أفغانستان وقطع الإمدادات عنها . .

٢ - أدى أيضاً هذا الهجوم إلى تأجيج مشاعر معاداة الولايات المتحدة لدى سكان منطقة القبائل ، ونسف كل الجهود التى كانت الحكومة الباكستانية قد بذلتها لاستمالتهم إلى صفها ضد طالبان والقاعدة . .

٣ - كما أدى إلى انتشار حالة من الغضب ضد الأمريكيين بين ضباط الجيش الباكستانى ، الذين رأوا فى اجتياز القوات الأمريكية لحدود باكستان والقيام بعمليات عسكرية على أراضيها ينطوى على إهانة كبيرة لهم ، فضلاً عن كونه اعتداء على سيادة دولتهم وقتل لمواطنيها الأبرياء . .خاصة أن نسبة

كبيرة من هؤلاء الضباط ينتمون إلى قومية البشتون التى ينتمى اليها سكان منطقة القبائل . .

هذه الحالة من الغضب لو استمرت ، كان يمكن أن تؤدى إلى حدوث انقسام داخل الجيش الباكستانى ، وقيام مجموعة منه بالتمرد على قادتها والتصدى للقوات الأمريكية . . لعل هذا يفسر السبب وراء الموقف الذى اتخذه قائد الجيش الباكستانى اشفاق كيانى عندما صرح بأنه لن يسمح لأى قوات أجنبية بتنفيذ عمليات عسكرية داخل التراب الباكستانى . . لقد كان يريد بهذا التصريح الحفاظ على وحدة الجيش الباكستانى ، بقدر ما كان يريد إيصال رسالة إلى الأمريكيين . .

٤- من تداعيات الهجوم الأمريكى على منطقة القبائل أيضا : زعزعة استقرار الدولة الباكستانية ، لأن الناس هناك رأوا أن الولايات المتحدة التى تحالفت معها باكستان بالأمس ضد طالبان والقاعدة . .شرعت اليوم فى ضرب باكستان نفسها . . لعل هذا مادفع حاكم ولاية الحدود الشمالية الغربية فى باكستان عويس أحمد غنى إلى مطالبة حكومة اسلام آباد بالقيام بالرد الملائم على الهجوم الأمريكى . .

* * *

آصف على زردارى

كل هذه التداعيات ظهرت فى الأيام الأولى لتولى آصف على زردارى الحكم فى باكستان . . وجد الرجل نفسه فى مأزق كبير . . فهو من ناحية غير قادر على أن يبرر لشعبه انتهاك الولايات المتحدة لسيادة بلاده على أراضيها وقتلها للمدنيين الأبرياء ، وفى نفس الوقت هو غير قادر على القيام بالرد الملائم ضد الولايات المتحدة الذى يطالبه به شعبه . . !

هذا المأزق دفع زردارى إلى التوصل مع الأمريكيين إلى اتفاق لم يسبق له مثيل فى تاريخ باكستان كله . . وهو أن يقوم الجيش الباكستانى بالعمليات العسكرية المطلوبة فى منطقة القبائل بالنيابة عن القوات الأمريكية . . !

بذلك لن يقول أحد إن القوات الأمريكية انتهكت سيادة باكستان على أراضيها . . ولن يطالبه أحد بالرد الملائم . . وستنشغل طالبان باكستان بقتال الجيش الباكستانى بدلا من انشغالها بنسف الشاحنات التى تنقل الوقود والمؤن إلى القوات الأمريكية فى أفغانستان . . كما سيتفرغ الجنود الأمريكيون إلى القتال على الجبهة الأفغانية ، بدلا من توزيع أنفسهم على الجبهتين الباكستانية والأفغانية . . !

- أى أن الاتفاق يحقق مصلحة للجانبين . . زردارى ، والأمريكيين . . !

* * *

هكذا ، بدأ الجيش الباكستانى الاستعداد للحرب التى شنها على سكان منطقة القبائل بالوكالة عن القوات الأمريكية . . فأرسل إلى هناك عددا من وحداته المسلحة بدبابات ومدفعية ثقيلة وطائرات مروحية ، وبدأ فى قصف منطقتى وادى سوات وجنوب وزيرستان بدعوى فرض هيمنة الدولة على هذه المناطق والقضاء على الجماعات المسلحة الموالية لطالبان والقاعدة . . لكن معركته لم تكن سهلة ، فبدأ فى استخدام مقاتلات من طراز إف ١٦ .. إلا أن هذه المقاتلات كانت فى حاجة إلى تطويرها كى تصبح قادرة على الطيران ليلاً . . والتطوير يحتاج إلى تحويل ٢٢٦,٥ مليون دولار من المساعدات الأمريكية لباكستان المخصصة لاستخدامها فى مكافحة

الإرهاب إلى استخدامها فى تطوير مقاتلات إف ١٦ .. وتحويل هذا المبلغ يحتاج إلى موافقة الكونجرس . . والكونجرس يريد أن يرى بسالة الجيش الباكستانى فى الحرب التى يخوضها بالوكالة ضد الشعب الباكستانى فى منطقة القبائل . .

هكذا . . كانت تدور الحسابات بين إسلام آباد وواشنطن . . !

فى نفس الوقت لم يكن سهلا على ضباط الجيش الباكستانى الاستمرار فى حرب تتناقض مع عقيدتهم العسكرية ، التى تقوم على الدفاع عن الشعب الباكستانى ضد أى تهديد خارجى . . لذلك بدأ قادة الجيش فى الاتصال بزعماء القبائل من أجل التوصل إلى إتفاق لإنهاء هذه الحرب . .

هذا الاتفاق تم توقيعه يوم ١٦ فبراير ٢٠٠٩ بين الحكومة الباكستانية وجماعة طالبان باكستان بوساطة صوفى محمد مؤسس وزعيم جماعة تطبيق الشريعة المحمدية المتمركزة فى منطقة وادى سوات ، وينص على وقف الأنشطة العسكرية للجماعة مقابل انسحاب قوات الجيش الباكستانى من وادى سوات ، والسماح بتطبيق الشريعة الإسلامية فى الوادى عبر محاكم شرعية يتم تعيين قضاتها بمعرفة جماعة تطبيق الشريعة المحمدية . .فى البداية رفض آصف على زردارى الموافقة على تطبيق الشريعة الإسلامية ، لكن مجلس النواب الباكستانى أقر الاتفاق فوافق زردارى . . وهدأت الأمور بعض الوقت . .

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٨/ ٧/ ٢٠٠٩

(٥)

١٦ فبراير.. ونضال صوفى محمد لتطبيق الشريعة

■ اعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية أن إتفاق ١٦ فبراير ٢٠٠٩ الذى وقعته الحكومة الباكستانية مع مسلحى طالبان باكستان فى وادى سوات بوساطة صوفى محمد زعيم جماعة تطبيق شريعة محمد الإسلامية ، هو نوع من الاستسلام لطالبان . . لأن الاتفاق كان ينص على التزام الحكومة بسحب قواتها من الوادى والسماح بإقامة المحاكم الشرعية وتطبيق الشريعة الإسلامية هناك ، مقابل التزام طالبان بوقف العمليات العسكرية فى وادى سوات . .

وجهة نظر واشنطن - رغم تغير الإدارة فى البيت الأبيض - هى :

- أن مجرد توقيع إتفاق مع طالبان باكستان يعنى الاعتراف بشرعية وجودها على الساحة الباكستانية كقوة قائمة يتم التفاوض معها وإبرام الاتفاقيات ..
- بل والاعتراف بسلطتها على جزء من الدولة هو وادى سوات بسحب قوات الجيش الباكستانى من هذا الجزء والسماح لها بإقامة محاكم خاصة تطبق الشريعة الإسلامية فيه . .

- يعنى أيضًا أن طالبان قد انتصرت فى الحرب على الولايات المتحدة فى الجبهة الباكستانية . . وأن وادى سوات الذى تسيطر عليه سيصبح ملاذا آمنا لمقاتلى تنظيم القاعدة وطالبان الأفغانية، وقاعدة إنطلاق لهم لمهاجمة القوات الأمريكية فى أفغانستان . .
- يعنى كذلك أن الحكومة الباكستانية قد نقضت اتفاقها مع الأمريكيين بقيام الجيش الباكستانى بحرب بالوكالة عن الجيش الأمريكى فى منطقة القبائل الباكستانية ، مقابل موافقة الكونجرس على السماح لباكستان بتحويل استخدام مبلغ ٢٢٦,٥ مليون دولار من المساعدات الأمريكية لباكستان التى كانت مخصصة لبرنامج مكافحة الإرهاب ، إلى استخدامها فى برنامج آخر هو تطوير طائرات اف ١٦ التى حصلت عليها باكستان من الولايات المتحدة فى صفقة قديمة ، لتكون هذه الطائرات قادرة على القيام بعمليات قتالية ليلاً ، بالإضافة إلى برنامج مساعدات مالية جديد تقدمت إدارة أوباما بمشروعه إلى الكونجرس ، وهو عبارة عن ١,٥ مليار دولار تمنح لباكستان سنويا لمدة ٥ سنوات لاستخدامها فى مكافحة الإرهاب . .

لذلك رفضت واشنطن الاتفاق بشدة . . ورأت أنه يتعارض تماما مع خططها وأهدافها فى المنطقة . .

* * *

فى الشهر التالى لتوقيع الاتفاق ، أعلن الرئيس الأمريكى الجديد باراك أوباما عن استراتيجية الإدارة الأمريكية الجديدة للحرب على

الإرهاب ، والتى اعتبر فيها أن الخطر الأكبر على أمن الولايات المتحدة والأمن العالمى يأتى من تنظيم القاعدة وجماعة طالبان الأفغانية واتباعهما فى باكستان ، مؤكدا على أن الجبهة الرئيسية فى الحرب على الإرهاب هى أفغانستان وباكستان . .

فى تلك الأثناء كانت الاتصالات الهاتفية بين واشنطن وإسلام آباد لاتنقطع . . كلها وضعت إسلام آباد أمام خيارين لا ثالث لهما . .إما الغاء اتفاق ١٦ فبراير واستئناف الجيش الباكستانى قصف منطقة القبائل الباكستانية . . وإما أن الجيش الأمريكى سيقصفها بنفسه . . وفى هذه الحالة لن تحصل الحكومة الباكستانية على سنت واحد من المساعدات المالية من واشنطن ، فضلاً عن أنها ستفقد الدعم السياسى الذى تقدمه لها الحكومة الأمريكية . .

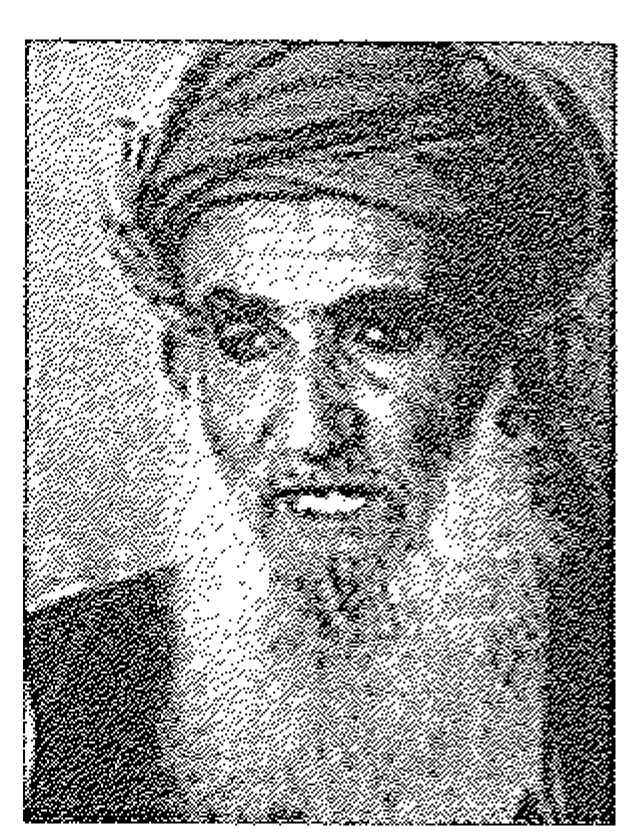
فضلت الحكومة الباكستانية الخيار الأول ، فأعادت إرسال قواتها وعتادها إلى منطقة القبائل ، وبدأت بقصف وادى سوات فجأة وبشراسة لم يسبق لها مثيل أبدا فى تاريخ باكستان . .دمرت القرى والمدن فى الوادى ، فقتلت الآلاف وشردت ثلاثة ملايين نزحوا من مناطقهم فى أكبر عملية نزوح تشهدها باكستان منذ تأسيسها عام ١٩٤٧ .. لم تشهد باكستان أبدا من قبل عمليات نزوح بهذا الحجم ،سواء خلال الزلازل التى وقعت بها ، أو خلال الحروب الثلاث التى خاضتها ضد الهند فى أعوام ١٩٤٧ ، و١٩٦٥ ، و١٩٧١ .. رغم أن الحرب الأخيرة أدت إلى إنشطار الدولة إلى نصفين ، هما : بنجلاديش وباكستان الحالية، إلا أنها لم تشهد عمليات نزوح للسكان بهذا الحجم الذى شهدته على يد زردارى وحكومته التى يرأسها يوسف رضا جيلانى ! . .

بالطبع جاءت منظمات الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين ونصبت الخيام وقدمت الطعام وناشدت الحكومة الباكستانية وقف قصفها للمدنيين . . لكن الحكومة الباكستانية لم تعر هذه المناشدات اهتمامًا ، واستمرت فى عملياتها العسكرية فى وادى سوات . .

التغطية الإعلامية الواسعة لما يجرى ، أحرجت الحكومة الباكستانية وفرضت عليها أن تبحث عن مبررات تسوقها إلى شعبها لتفسير نقضها لإتفاق ١٦ فبراير وقيامها فجأة بقصف وادى سوات . .فساقت عددا من المبررات كلها كذب فى كذب . .

منها على سبيل المثال :

- قالت الحكومة إنها نقضت الاتفاق لأنها فوجئت بصوفى محمد يعلن أن الديمقراطية على الطراز الغربى تتنافى مع تعاليم الإسلام ، وبالتالى فهو يشكك فى شرعية البرلمان الباكستانى لأنه جاء عن طريق انتخابات ديمقراطية . .
- والحقيقة أن هذا هو رأى صوفى محمد منذ أكثر من ٢٠ عاما لم يتغير . . والحكومة والشعب الباكستانى كله يعرف ذلك جيدا ، فما الجديد إذن؟ . .


صوفى محمد

قصة هذا الرجل الذى تدور حوله الأحداث منذ فترة ، والبالغ من العمر الآن قرابة الـ٧٠ عامًا ، تبدأ عندما ولد فى أسرة متواضعة الحال فى محافظة "دير" من قطاع "ملكند" شمالى غرب باكستان . . تلقى تعليمه فى المدارس الدينية ، وبعد التخرج بدأ العمل فى تدريس المواد الدينية والقضاء الشرعى . . ثم انخرط فى العمل السياسى ، فالتحق بالجماعة الإسلامية وخاض

عنها انتخابات بلدية ، لكنه نبذ العمل السياسى بعد ذلك وخرج من الجماعة الإسلامية فى الثمانينيات لإيمانه بأن الديمقراطية على الطراز الغربى تتنافى مع تعاليم الإسلام . .

فى عام ١٩٩٢ أسس صوفى محمد جماعة تطبيق الشريعة المحمدية ، ونادى من خلالها بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فى قطاع " ملكند" . . ظل ينتهج الوسائل السلمية لتحقيق مطلبه لمدة عامين ، وفى عام١٩٩٤ قاد أول انتفاضة مسلحة بعد أن انضم إليه مسلحو قبائل البشتون الذين سبق لهم محاربة الوجود السوفييتى فى أفغانستان ، وقد نجح صوفى محمد خلال هذه الانتفاضة فى أن يفرض على حكومة بى نظير بوتو وضع قانون " نظام العدل " لتطبيق الشريعة الإسلامية فى وادى سوات . . لكن القانون ظل حبرا على ورق بسبب الأزمات السياسية الداخلية التى عصفت بباكستان فى تلك الفترة . .

وفى عام ١٩٩٨ قامت الولايات المتحدة بقصف مواقع فى المنطقة الحدودية بين باكستان وأفغانستان ردًا على تفجير سفارتيها فى نيروبى ودار السلام . . فأثار هذا القصف غضب جماعة صوفى محمد ، فانتفضت من جديد ، ولم يجد نواز شريف رئيس الحكومة الباكستانية فى ذلك الوقت حلا لمواجهة الانتفاضة سوى أن يعدهم ببدء تفعيل قانون "نظام العدل" مرة أخرى اعتبارًا من عام ١٩٩٩ بعد إجراء بعض التعديلات عليه . . لكنه خرج من السلطة عام ١٩٩٩ بعد انقلاب بيرفيز مشرف عليه ، ودخلت باكستان دوامة أزمات جديدة ، فظل قانون "نظام العدل " حبرا على ورق ! . .

ثم جاءت أحداث ١١سبتمبر ، وبدأت الولايات المتحدة فى غزو أفغانستان ، فقاد صوفى محمد نحو ١٠ آلاف من أنصاره ودخل أفغانستان للجهاد ضد الغزو الأمريكى ، وعند عودته بعد انتهاء الحرب اعتقلته السلطات الباكستانية وحكمت عليه بالسجن ١٠ سنوات وحظرت جماعته . .

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ١٥/ ٧/ ٢٠٠٩

(٦)

السيناريو الكارثة.. بدأ بزعزعة عقيدة الجيش

■ دخل صوفى محمد السجن ، وظلت جماعة تطبيق الشريعة المحمدية التى أسسها محظورة . . لكنها بدأت تعود للظهور مرة أخرى فى عام ٢٠٠٥ بقيادة الملا فضل الله صهر صوفى محمد ، الذى كان لا يزال فى السجن . . وفى عام ٢٠٠٧ أعلنت الجماعة انضمامها إلى جماعة طالبان باكستان التى يتزعمها بيت الله محسود ، وذلك بعد قيام الجيش الباكستانى بشن هجوم على منطقة وادى سوات فى أعقاب اقتحامه المسجد الأحمر فى العاصمة اسلام آباد . .

اتحدت الجماعتان فى مواجهة الجيش الباكستانى . . واستمرت المواجهات المسلحة دائرة بين الجانبين فى منطقة وادى سوات ، التى هى معقل جماعة تطبيق الشريعة المحمدية . .

خسائر الجيش دفعت الحكومة الإقليمية فى الوادى إلى توقيع اتفاق مع طالبان باكستان فى أبريل ٢٠٠٨ يقضى بالإفراج عن صوفى محمد وبعض رفاقه مقابل تعهد المسلحين بوقف العمليات العسكرية واحترام هيبة الدولة . .

لكن الاتفاق لم يستمر . . حيث تجددت المواجهات . . وفى النهاية توسط صوفى محمد بين الجيش الباكستانى وطالبان باكستان ، وتم توقيع اتفاق ١٦ فبراير ٢٠٠٩ الذى رفضته الولايات المتحدة واعتبرته استسلاماً لطالبان ، فنقضت الحكومة الباكستانية الاتفاق بدعاوى كاذبة ، واستأنفت الحرب فجأة بالوكالة عن الجيش الأمريكى ضد المدنيين فى وادى سوات ، فقتلت المئات منهم وشردت ثلاثة ملايين نسمة . .

- من بين الدعاوى الكاذبة أيضاً التى ساقتها الحكومة الباكستانية إلى الشعب الباكستانى لتبرير نقضها الاتفاق مع جماعة طالبان باكستان واستئنافها الحرب ضد قطاع من أبناء الشعب الباكستانى ، هم سكان منطقة القبائل فى وادى سوات وجنوب وزيرستان . . قولها إن صوفى محمد يرفض تعليم الفتيات . . والحقيقة أن هذا الموقف ليس جديدا من صوفى محمد . . وحتى لو كان جديدا فيمكن معالجته عن طريق الحوار معه ومع زعماء القبائل . . لاسيما أن الرجل معروف عنه أنه رجل سلام ، وهو الذى توسط بين الحكومة وطالبان باكستان لتوقيع اتفاق ١٦ فبراير . .وحتى لو فشل الحوار مع الرجل ، واستمرت الفتيات فى وادى سوات ممنوعة من الالتحاق بالمدارس . . فما الضرر الذى سيعود على الولايات المتحدة من ذلك ؟ ! . . وما الضرر الذى سيلحق بحكومة اسلام آباد ؟ ! . . وهل تعليم الفتيات فى وادى سوات يستحق من الجيش الباكستانى أن يقوم

بقصف سكان الوادى بطائرات إف ١٦ والدبابات والمدفعية الثقيلة فيهدم بيوتهم ويقتلهم ؟ ! . .

* * *

الحقيقة أن الحرب التى يخوضها الجيش الباكستانى بالوكالة عن القوات الأمريكية فى منطقة القبائل ، هى حرب خاسرة . . ففضلاً عن طبيعة سكان هذه المنطقة التى تضع الجهاد فى أعلى مراتب الإيمان ، وتعتبر أن الموت أثناء القتال هو استشهاد فى سبيل الله ، وأن الشهيد حى يرزق ، والشهادة هى أقصر الطرق إلى الجنة . . فضلاً عن كل ذلك ، هناك أيضاً عامل تاريخى جعل لهذه المنطقة سمات خاصة أدت إلى ضعف سيادة الدولة الباكستانية عليها . . هذا العامل تعود جذوره إلى ما قبل نشأة الدولة الباكستانية نفسها عام ١٩٤٧ ! . .

ففى عام ١٨٩٣ .. قامت بريطانيا برسم خط حدود بين إمبراطورية الهند فى ذلك الوقت وأفغانستان هو خط "ديوراند" الذى قسم قبائل البشتون بصورة تعسفية بين الدولتين ، فأصبحوا يعيشون على جانبى الخط منقسمين . . لكن ظل انتماؤهم العرقى للقبيلة أقوى من انتمائهم للدولة التى يعيشون داخل حدودها . . بل تولد لديهم - بسبب تقسيمهم - حلم إقامة دولة واحدة تجمعهم تحت إسم : "دولة بشتونستان الحرة المستقلة" . . وهو حلم مازال قائماً لدى البعض حتى الآن ، ومازال هناك من يردد مقولة عبدالجعفر خان على فراش الموت عام ١٩٨٩ :

"أنا من البشتون منذ ٥ آلاف سنة ، ومسلم منذ ١٤٠٠ سنة وباكستانى منذ ٤٢ سنة" . . ! وعبدالجعفر خان هو أحد الرموز الكبيرة التى تعبر عن هوية البشتون المستقلة ، لدرجة أن أتباعه يطلقون عليه لقب : "غاندى إقليم الحدود الشمالية الغربية" .

أفغانستان أيضاً ظلت لا تعترف بحدودها الجغرافية مع باكستان كحدود نهائية ، وتنتظر وعداً قديماً بإعادة مناطق البشتون إلى أراضيها التى تعتبر أنها اقتطعت منها . . وكانت على أمل أن يتحقق ذلك بعد مرور قرن كامل على التقسيم . . أى فى عام ١٩٩٣ .. لكن الوعد القديم لم يتحقق لسببين . . الأول : رفض باكستان التنازل عن هذه الأراضى . . والثانى : انشغال الأفغان أنفسهم بالحروب والصراعات الداخلية بينهم . .

حتى بعد وصول طالبان إلى السلطة فى عام ١٩٩٦ واستقرار الأوضاع بدرجة ما . . لم تثر طالبان هذه القضية مع باكستان بسبب احتياجها الشديد لها . . حيث كانت باكستان بالنسبة لطالبان هى مصدر الدعم الرئيسى مالياً وعسكرياً ، فضلاً عن قيامها بالترويج لها على الساحة الدولية لحث دول العالم على الاعتراف بها كحكومة شرعية لأفغانستان . .

هكذا استمر الوضع فى منطقة القبائل غير مستقر . .

السكان يشعرون بأن باكستان ليس لها حق السيادة عليهم . . ويحلمون بإقامة دولة مستقلة . . وفى نفس الوقت هم فى حاجة شديدة إلى ما تقدمه لهم باكستان من معونات فى شكل أغذية وخيام وأغطية . . إلخ .

وقد أطلق على هذه المنطقة اسم "القبائل" . . نظراً لأن السلطة فيها "للقبيلة" وليست للدولة التى يعيشون داخل حدودها . . ومن ثم فإن سلوكيات الناس تخضع لعرف القبيلة وليس لقوانين الدولة . . إنه أشبه بنوع من "الحكم الذاتى" استخلصوه لأنفسهم وفرضوه على باكستان[1] . . !

* * *

لهذه الأسباب فإن الجيش الباكستانى ظل عاجزا عن تحقيق أى انتصار حاسم فى منطقة القبائل . . لعل ذلك هو ما دفع القوات الأمريكية إلى أن تستأنف مرة أخرى قصفها للمنطقة غير مبالية بما يثار داخل باكستان من أن ذلك فيه اعتداء على السيادة الوطنية . .

لكن الأخطر من مسألة السيادة الوطنية هو أن مقاتلى طالبان الذين يستهدفهم القصف ، فروا من وادى سوات وجنوب وزيرستان وانتشروا الآن فى مختلف المدن الباكستانية ، وهددوا بنقل الحرب من منطقة القبائل إلى داخل باكستان ، واستطاعوا بالفعل تنفيذ عدد من العمليات فى المدن الباكستانية ، مثل تفجيرات لاهور التى وقعت بجوار مقر المخابرات الباكستانية وأسفرت عن مصرع أكثر من ٧٠ شخصاً ومئات الجرحى . . هذا التطور اتاح الفرصة لعدد من الأقلام فى

(١) كتاب «شاهد على حرب أفغانستان» ، ص ٧٨ و ٧٩ - المؤلف : السيد هانى .

الولايات المتحدة أن تكتب عن احتمال انهيار الدولة الباكستانية بسبب الصراع الدائر بين الجماعات الإسلامية والجيش . .وتحذر من أنه فى حالة حدوث هذا الانهيار ، فإن الأسلحة النووية التى تمتلكها باكستان ، سوف تقع فى أيدى الجماعات الإسلامية التى هى على اتصال وثيق بتنظيم القاعدة وجماعة طالبان . . وفى هذه الحالة ستقوم القاعدة وطالبان باستخدام الأسلحة النووية لتدمير الولايات المتحدة الأمريكية . . ! !

وحتى لايحدث ذلك ، يجب أن تبادر الولايات المتحدة بنزع الأسلحة النووية من باكستان . . وحتى تتم العملية بنجاح يجب أن تشترك معها كل من الهند واسرائيل . . وهو سيناريو قديم تم وضعه منذ فترة ، يستهدف إزالة باكستان من الخريطة السياسية للعالم والعودة بمنطقة جنوب آسيا إلى ما كانت عليه قبل عام ١٩٤٧ .. قبل قيام دولة باكستان ! ! . .

لقد قطعت أول خطوة فى تنفيذ هذا السيناريو الكارثة . . وهى زعزعة العقيدة العسكرية للجيش الباكستانى ، وتحويلها من النظر إلى الهند باعتبارها مصدر الخطر الرئيسى على الأمن القومى الباكستانى . . إلى النظر إلى قطاع من أبناء الشعب الباكستانى نفسه ، هم الجماعات الإسلامية وسكان منطقة القبائل باعتبارهم أصبحوا يمثلون هذا الخطر . . لا الهند . . ! !

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٩

الفصل السابع

حوار مع الرئيس ربانى

"لقد تعب الشعب الأفغانى المسلم من القتال . . وسأم من كثرة الحروب التى حرمته الأمن والسلام والإستقرار . . إلى متى يظل الأفغان تحرق بيوتهم وتقصف مدنهم وقراهم ويقدمون أطفالهم وقودا للمعارك . . لقد تعبنا وحان الوقت لكى نجلس معا ونتحاور . . بالكلمة الطيبة . . وليس برصاص البنادق . . ! !"

الرئيس برهان الدين ربانى للمؤلف

■ التقيت مع رئيس أفغانستان السابق برهان الدين ربانى فى القاهرة يوم السبت ٢ فبراير عام ٢٠٠٨ .

كانت عقارب الساعة تشير الى الثانية عشرة منتصف اليوم ، عندما استقبلنى فى الجناح الخاص الذى كان ينزل به فى فندق «سميراميس إنتركونتيننتال» المطل على النيل . .

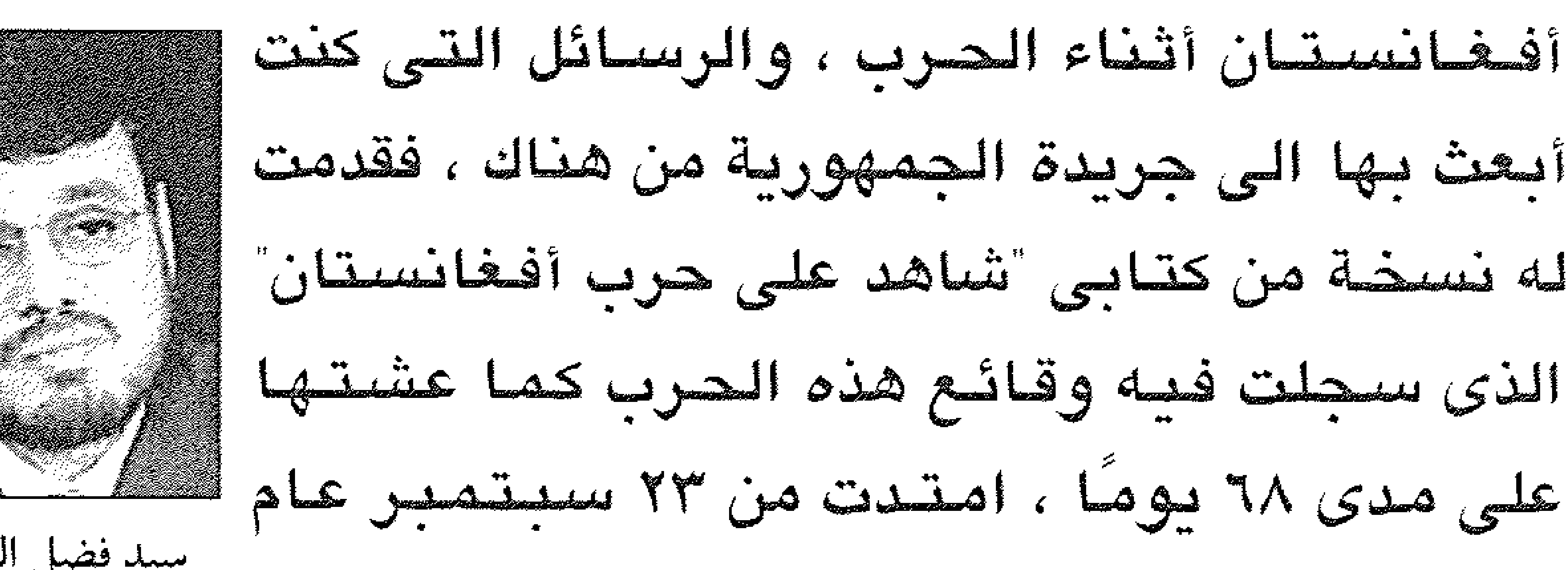
كان الرجل فى هذه الأثناء يزور القاهرة للمشاركة فى مؤتمر برلمانى للدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى . . بصفته رئيس اللجنة التشريعية بالبرلمان الأفغانى ذلك الوقت . .

حضر اللقاء السفير سيد فضل الله فاضل . . سفير أفغانستان الأسبق لدى مصر . . وهو صديق قديم لى ، تعرفت عليه خلال فترة عمله سفيرا لبلاده لدى مصر ، التى امتدت معظم سنوات التسعينيات من القرن الماضى حتى عام ٢٠٠٢ ، عندما قرر الإستقالة من العمل الدبلوماسى واصطحب زوجته المصرية وهاجر الى إحدى الدول الغربية . . طلبا لحياة هادئة آمنة مستقرة له ولأسرته . . فانقطعت الإتصالات بيننا منذ غادر القاهرة ، ولم أعد أسمع أخباره . .

- ثم فوجئت به ذات يوم فى شهر يناير عام ٢٠٠٨ يتصل بى من الخارج ، ليبلغنى بأن الرئيس برهان الدين ربانى سيزور القاهرة بعد أيام ، وأنه سيكون فى صحبته بصفته مستشاره الخاص ، واقترح أن يقوم بترتيب لقاء خاص لى مع الرئيس ربانى . . فرحبت بذلك . .

* * *

استقبلنى الرئيس ربانى بحفاوة شديدة . . وأخذ السفير سيد فضل الله فاضل يحدثه عن المهمة الصحفية التى قمت بها الى أفغانستان أثناء الحرب ، والرسائل التى كنت أبعث بها الى جريدة الجمهورية من هناك ، فقدمت له نسخة من كتابى "شاهد على حرب أفغانستان" الذى سجلت فيه وقائع هذه الحرب كما عشتها على مدى ٦٨ يومًا ، امتدت من ٢٣ سبتمبر عام ٢٠٠١ الى الأول من ديسمبر من العام نفسه . .



سيد فضل الله فاضل

قضيتها تحت القصف فى مدينتى كابول وجلال آباد فى أفغانستان ، أو متنقلا بين مناطق القبائل وبيشاور وروالبندى وإسلام آباد فى باكستان . .

امتد الحوار بيننا طويلا . . كان الرئيس ربانى يتحدث بلغة عربية سليمة . . ثم عرفت منه أنه عاش فى القاهرة فترة من حياته ، عندما حضر عام ١٩٦٦ والتحق بجامعة الأزهر الشريف ، فحصل منها بعد عامين على درجة الماجستير فى الفلسفة الإسلامية ، ثم عاد بعد ذلك الى أفغانستان لتدريس الشريعة الإسلامية بجامعة كابول . .

ربما لهذا السبب كان الرجل حريصا فى نهاية الحوار معى ، على أن يشير الى التغير الكبير الذى لفت نظره فى شكل مدينة القاهرة عما كانت عليه فى سنوات الستينيات من القرن الماضى . . كان معجبا جدا بمدينة القاهرة وبالكبارى العلوية التى شيدت بها . . وصف ذلك بالتطور العمرانى الكبير . .

* * *

تحدث الرئيس برهان الدين ربانى معى بمنطق وشفافية . . كان صريحًا وواضحًا . .وكشف لى عن بعض الأسرار السياسية التى لم تكن قد وصلت بعد الى وسائل الإعلام . . لذلك لابد من الإشارة أولا الى المحطات الرئيسية فى حياة هذا الرجل . . لكى نعرف من هو ؟ . . وأين يقف ؟ . . كما لابد أيضا من تسجيل بعض الملاحظات عن الوضع فى أفغانستان وقت إجراء هذا الحوار . . لكى تكتمل أجزاء الصورة التى أراد الرجل أن يعبر عنها فى حواره معى :

١ - ولد برهان الدين ربانى عام ١٩٤٠ فى مدينة فيض آباد بولاية بدخشان الواقعة شمال شرق أفغانستان ، وهو ينتمى الى قومية الطاجيك . .

٢ - تلقى تعليمه الأولى فى مدارس فيض آباد ، ثم انتقل إلى مدرسة دار العلوم الشرعية (أبو حنيفة) فى كابول حيث أنهى دراسته قبل الجامعية . . بعد ذلك التحق بجامعة كابول ، وتخصص فى دراسة الشريعة الإسلامية . .

٣ - فى عام ١٩٦٦ سافر الى القاهرة والتحق بجامعة الأزهر الشريف ، فحصل بعد عامين على درجة الماجستير فى الفلسفة الإسلامية ، ثم عاد الى جامعة كابول وقام بتدريس الشريعة الإسلامية . .

المؤلف يهدى كتابه «شاهد على حرب أفغانستان» إلى الرئيس ربانى

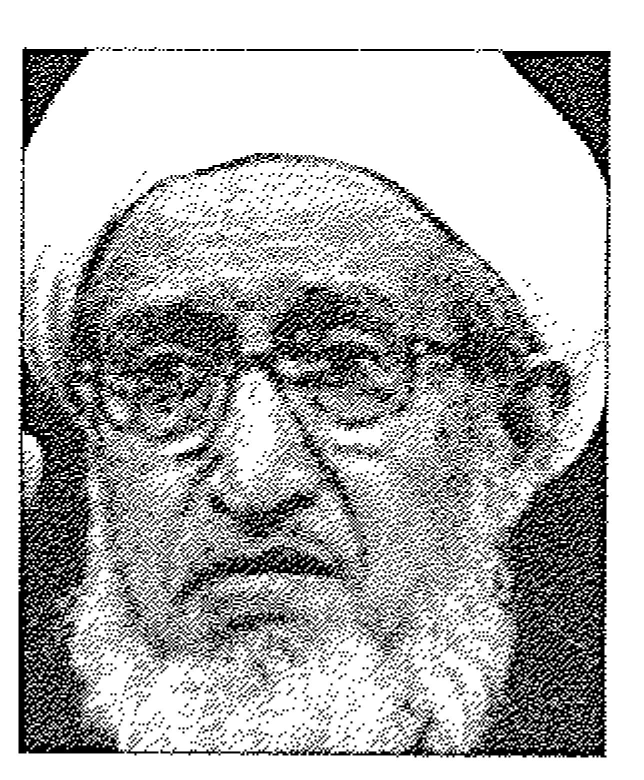
٤- فى تلك الأثناء حقق ربانى شهرة واسعة فى الأوساط الإسلامية بأفغانستان واكتسب شعبية بين الطلاب ، فاختير عام ١٩٧٢ من قبل الجمعية الإسلامية رئيسا لها وكان من بين الذين اختاروه مؤسس الجمعية غلام محمد نيازى .

٥ - فى عام ١٩٧٤ حاولت قوات الشرطة الأفغانية اعتقال ربانى داخل الحرم الجامعى ، لكن الطلاب أحاطوا به ومنعوا الشرطة من اعتقاله . . ثم نجح الطلاب بعد ذلك فى تهريبه إلى خارج كابول . .

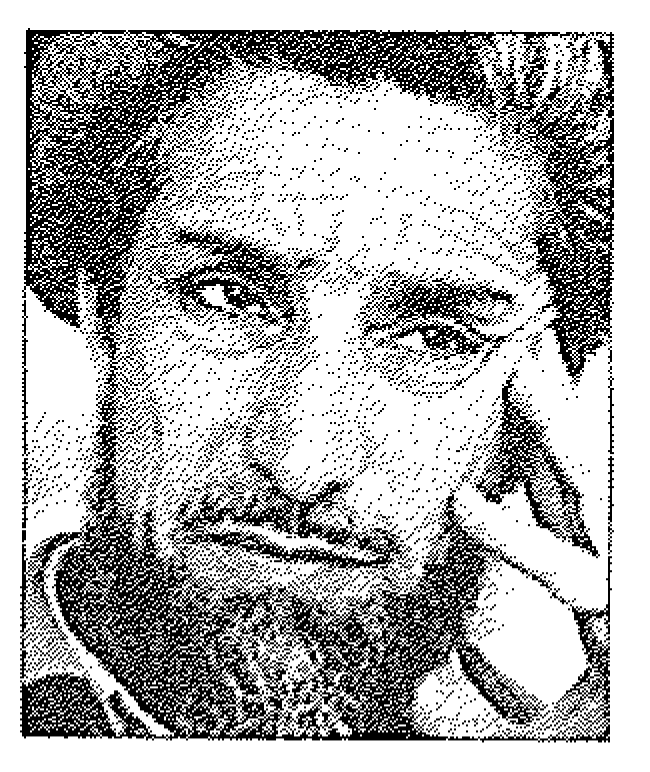
٦ - اشترك برهان الدين ربانى فى الجهاد ضد الغزو السوفييتى لأفغانستان . . كان أحد زعماء المجاهدين . . واستطاعت قواته أن تحقق بعض الانتصارات . . وكانت أولى القوات التى دخلت العاصمة كابول عام ١٩٩٢ بعد هزيمة الشيوعيين بها . .

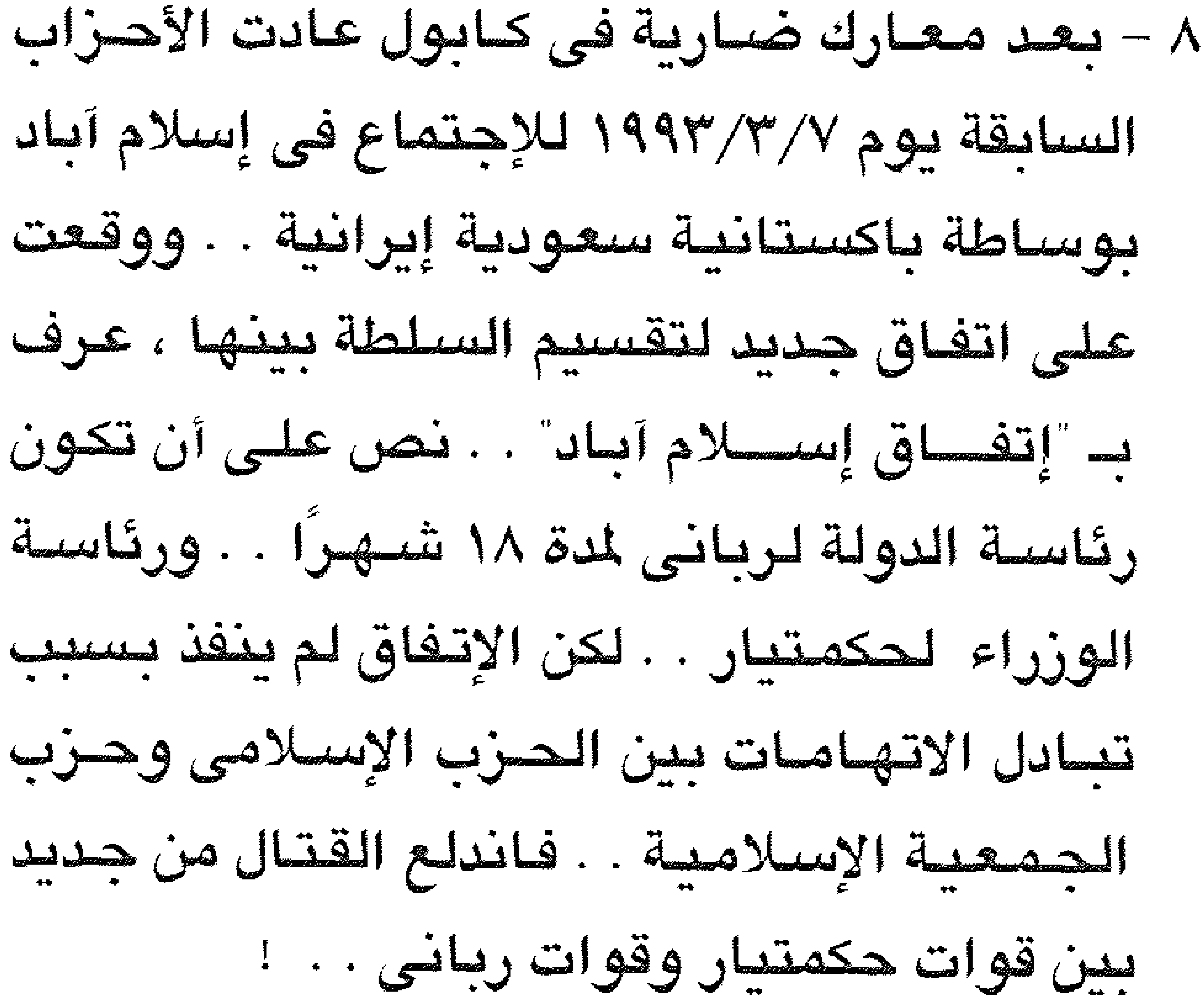
٧ - تولى رئاسة أفغانستان فى ١٩٩٢/٦/٢٨ .. حيث انتقلت السلطة إليه سلميًا من صبغة الله مجددى ، بناء على إتفاق بيشاورالذى وقع يوم ١٩٩٢/٤/٢٤ من قبل الأحزاب السبعة المشتركة فى الاتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان مع حزب الوحدة الشيعى والحركة الإسلامية ، ونص على تشكيل حكومة مؤقتة لمدة شهرين برئاسة صبغة الله مجددى ، ثم أربعة أشهر برئاسة برهان الدين ربانى . . لكن الحزب الإسلامى بزعامة قلب الدين حكمتيار الذى ينتمى الى قومية البشتون التى تشكل أكثر من ٦٠٪ من سكان أفغانستان - لم يلتزم بالاتفاق رغم توقيعه عليه ، وقام بالهجوم على كابول . . فنشب صراع دموى بين حكمتيار يدعمه الجنرال عبد الرشيد دوستم زعيم الحزب الوطنى الإسلامى الذى ينتمى معظم أعضائه الى قومية - الأوزبك حوالى ٥٪ من السكان - . .

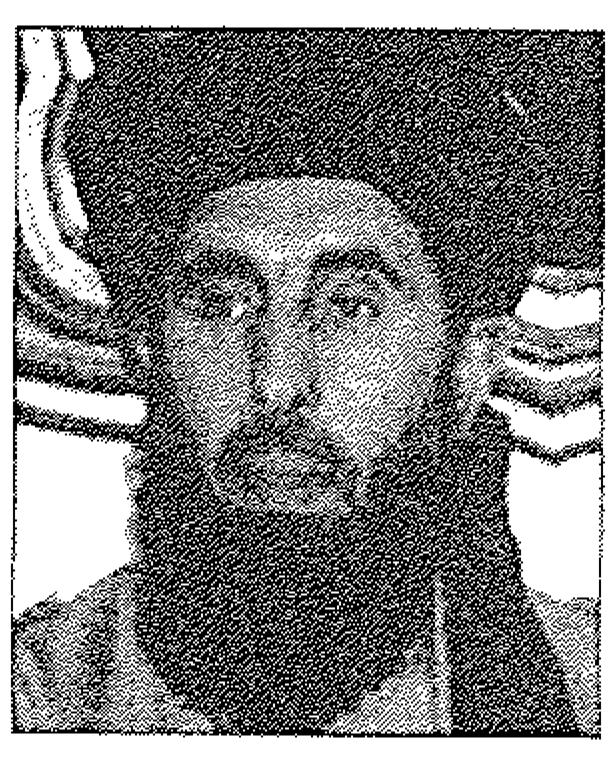
ضـــد الرئيس برهـان الدين ربانـى رئيس حـــزب الجمعية الإسلامية التى ينتمى معظم أعضائها الى قومية الطاجيك التى تشكل حوالى ٢٠٪ من السكان - يدعمه الجنرال أحمد شاه مسعود الذى ينتمى الى الطاجيك أيضا . .


صبغة الله مجددى

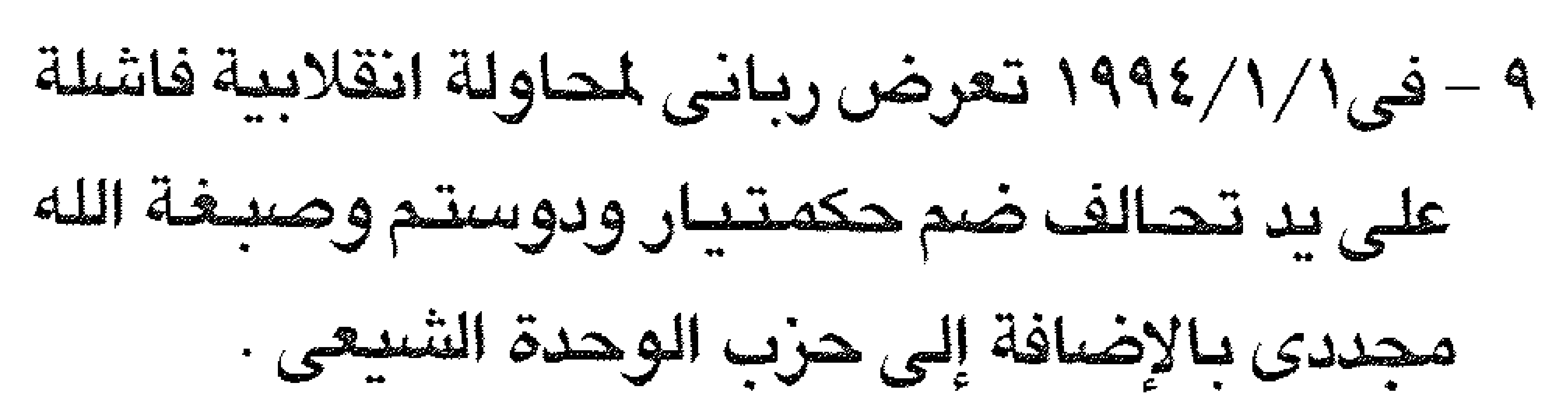
٨ - بعد معارك ضارية فى كابول عادت الأحزاب السابقة يوم ١٩٩٣/٣/٧ للإجتماع فى إسلام آباد بوساطة باكستانية سعودية إيرانية . . ووقعت على اتفاق جديد لتقسيم السلطة بينها ، عرف بـ "إتفـــاق إســـلام آباد" . . نص على أن تكون رئاسة الدولة لربانى لمدة ١٨ شهرًا . . ورئاسة الوزراء لحكمتيار . . لكن الإتفاق لم ينفذ بسبب تبادل الاتهامات بين الحزب الإسلامى وحزب الجمعية الإسلامية . . فاندلع القتال من جديد بين قوات حكمتيار وقوات ربانى . . !


أحمد شاه مسعود

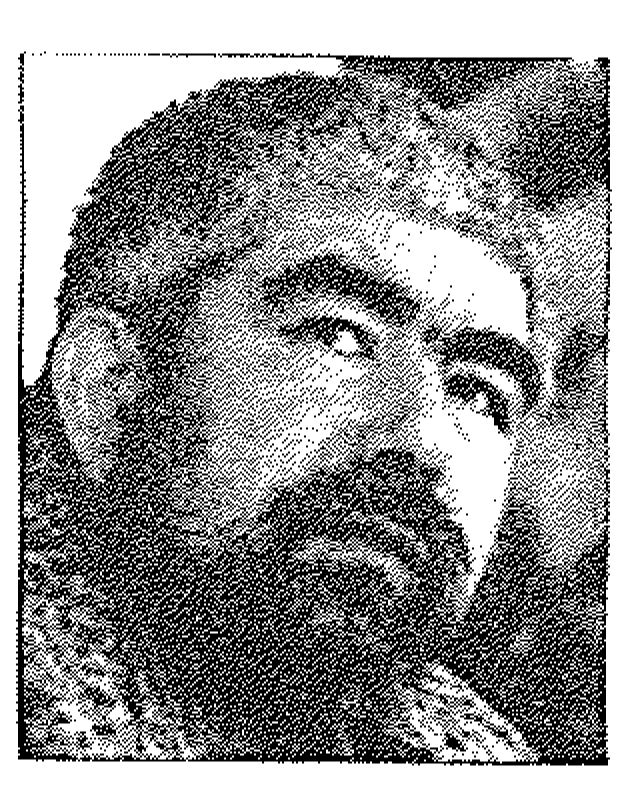



قلب الدين حكمتيار

٩ - فى١٩٩٤/١/١ تعرض ربانى لمحاولة انقلابية فاشلة على يد تحالف ضم حكمتيار ودوستم وصبغة الله مجددى بالإضافة إلى حزب الوحدة الشيعى .



١٠ - فى يوليو ١٩٩٤ جدد مجلس ولاية هرات فترة رئاسة ربانى لمدة عام آخر . وفى نوفمبر من العام نفسه بدأت حركة طالبان فى الظهور ، وفى العام التالى أعلن ربانى أنه على استعداد للتفاوض مع المعارضة ، ووقع بالفعل اتفاقا مع حكمتيار عام


عبد الرشيد دوستم

١٩٩٦ يقضى بالعمل المشترك واقتسام السلطة . . لكن حركة طالبان لم تمهلهما ، حيث استولت على العاصمة الأفغانية كابول فى ١٩٩٦/٩/٢٧ وأعلنت نفسها حكومة شرعية للبلاد .

١١ – فى اليوم السابق على دخول طالبان العاصمة كابول ، فر ربانى الى ولايات الشمال الأفغانى حيث توجد قومية الطاجيك التى ينتمى اليها . . وهناك تزعم تحالفا للمعارضة ضد نظام طالبان ، اشتهر باسم الجبهة المتحدة لإنقاذ أفغانستان . .

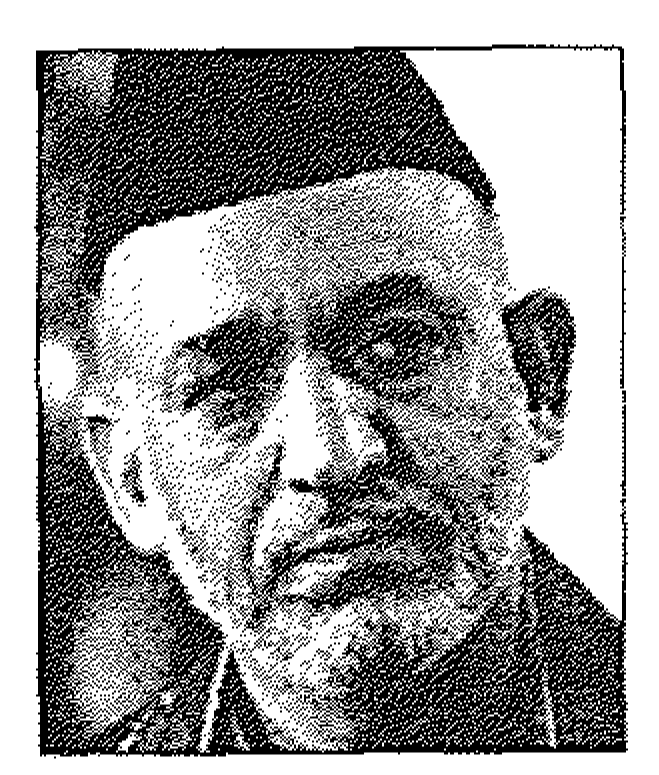
١٢ – رفض المجتمع الدولى الإعتراف بحكومة طالبان ما عدا ٣ دول فقط . . هى : باكستان ، والسعودية ، والامارات العربية . . فظل ربانى معترفا به بصفته الرئيس الشرعى لأفغانستان ، وظل محتفظا بمقعد أفغانستان فى الأمم المتحدة . .

١٣ – كما ظل السفير سيد فضل الله فاضل سفيرًا لنظام ربانى فى القاهرة . .

١٤ – بعد هجمات ١١ سبتمبر . . قامت الولايات المتحدة الأمريكية بغزو أفغانستان . . وساعدت قوات التحالف الشمالى بزعامة ربانى على دخول كابول مساء ١٢ نوفمبر ٢٠٠١ .. فانسحبت منها قوات طالبان ، وسقط حكم طالبان بعد ذلك بأيام . .

بذلك فإن كل من طالبان وربانى تبادلا الإستيلاء على العاصمة كابول وطرد الآخر منها . . فتكونت بينهما حالة من العداء التاريخى . .

١٥ – كان ربانى من أقوى المرشحين لرئاسة أفغانستان بعد سقوط حكم طالبان ، وكانت تدعمه كل من روسيا والهند . . لكن


حامد كرزاى

الولايات المتحدة الأمريكية دفعت بحامد كرزاى الى هذا المنصب بعد أن أعلن ربانى رفضه لتواجد أية قوات أجنبية فى أفغانستان ، وكذلك رفضه أية حلول للأزمة الأفغانية تفرض من الخارج . . كان قد أعلن ذلك من خلال رسالة وجهها الى الأمة الأفغانية ، وبثتها الإذاعة الإيرانية يوم ١٨ نوفمبر ٢٠٠١ .. قال فيها : "لانريد لبلادنا أن تكون عشا للتدخل الخارجى" . . وقال أيضا : "يجب أن يقرر الشعب الأفغانى مصيره بنفسه ، لأن الحلول المفروضة من الخارج لاتجدى» .

١٦ - عندما التقيت بالرئيس برهان الدين ربانى فى ٢ فبراير ٢٠٠٨ .. لم تكن قوات طالبان قد استعادت قوتها بعد بالدرجة الكافية ، فكانت السيطرة على الأرض مازالت للقوات الأمريكية وقوات "إيساف" . . وكانت عمليات قتل المدنيين الأفغان على أيدى القوات الأجنبية تجرى على أشدها . . لعل ذلك يفسر لنا سبب "ميل" طالبان فى ذلك الوقت . . وتحت تلك الظروف ، لدعوة ربانى للجلوس على مائدة الحوار . . بينما كانت الولايات المتحدة مازالت تعتقد أن الحسم العسكرى ممكن ولا تتحمس للحوار . . ! !

١٧ - لكن بعد أن إستعادت طالبان قوتها ، وتمكنت من إنزال خسائر كبيرة بالجيوش الأجنبية فى أفغانستان ، حتى تأكدت الولايات المتحدة أن "القوة العسكرية وحدها لن تنهى الحرب فى أفغانستان" كما قال الرئيس الأمريكى باراك أوباما فى مقابلة تليفزيونية له ، المصدر : قناة الجزيرة فى ٢٠٠٩/٣/٢٣ - . . عندئذ فقط بدأت الولايات المتحدة تبذل

المساعى للحوار مع طالبان . . لكن طالبان لم تستجب . . فأشارت الولايات المتحدة على الرئيس الأفغانى حامد كرزاى بإنشاء "المجلس الأعلى للسلم" لبذل الجهود لدى طالبان لإقناعها بالجلوس على مائدة الحوار . . تم إنشاء هذا المجلس فى عام ٢٠١٠ ، وضم ٧٠عضوا ، واختير الرئيس الأفغانى السابق برهان الدين ربانى رئيسا له . .

١٨ – كان الرئيس ربانى منذ عام ٢٠٠٧ يبذل الجهود مع طالبان لإقناعها بالجلوس على مائدة حوار أفغانى أفغانى . . لكن جهوده لم تكلل بالنجاح لأسباب شرحها لى خلال حوارى معه . . فلما تشكل المجلس الأعلى للسلم واختير الرجل رئيسا له ، بدأ فى استئناف الإتصالات مع طالبان ودعوتها للحوار . .

١٩ – يوم ٢٠ سبتمبر عام ٢٠١١ .. استقبل الرئيس ربانى ضيفين فى منزله بالعاصمة كابول . . كان أحدهما يخبئ عبوة ناسفة فى عمامته ، وعندما أقبل على الرئيس ربانى يعانقه انفجرت العبوة وقتلت الرجلين فى الحال . . كما أصيب الذين كانوا فى المكان ، ومنهم زميل الإنتحارى ، وقد اعتقلته قوات الأمن على الفور . .

٢٠ – شكل الرئيس حامد كرزاى لجنة للتحقيق فى الحادث . . فقالت اللجنة : إن الأدلة واعترافات زميل الإنتحارى كشفت عن أن الإنتحارى كان باكستانيًا ، وأن المخابرات الباكستانية هى التى دبرت عملية الإغتيال . .

٢١ – رفضت باكستان بغضب هذا الإتهام . . وقالت وزارة الخارجية الباكستانية فى بيان لها : "بدلا من الإدلاء بمثل هذه التصريحات غير المسئولة يتعين على أصحاب السلطة فى كابول

أن يفكروا لماذا يبعد كل هؤلاء الأفغان الذين يجنحون إلى السلام عن الساحة ويقتلون . .؟ !"

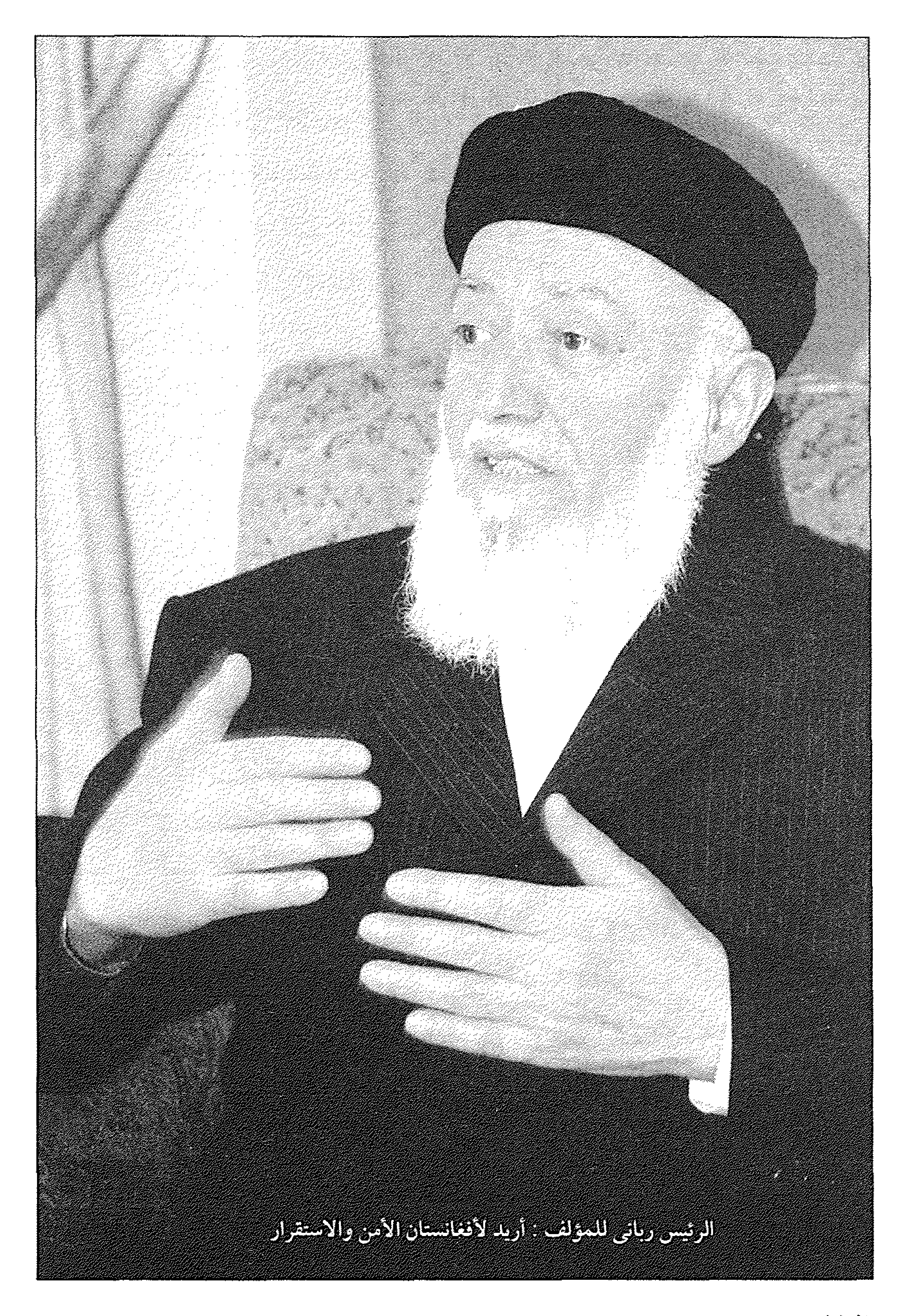
٢٢ - ظلت الروايات متضاربة بشأن كيفية دخول المتفجرات إلى منزل الرئيس ربانى الذى كان يخضع لحراسة مشددة . . ولم تعلق طالبان على الحادث . . . !

٢٣ - عطل قتل ربانى جهود بدء الحوار مع طالبان لإنهاء الحرب فى أفغانستان ، وزادت المخاوف من اتساع الانقسامات العرقية ، كما خرج مئات الأفغان إلى شوارع العاصمة كابول يدينون الحادث . . ! !

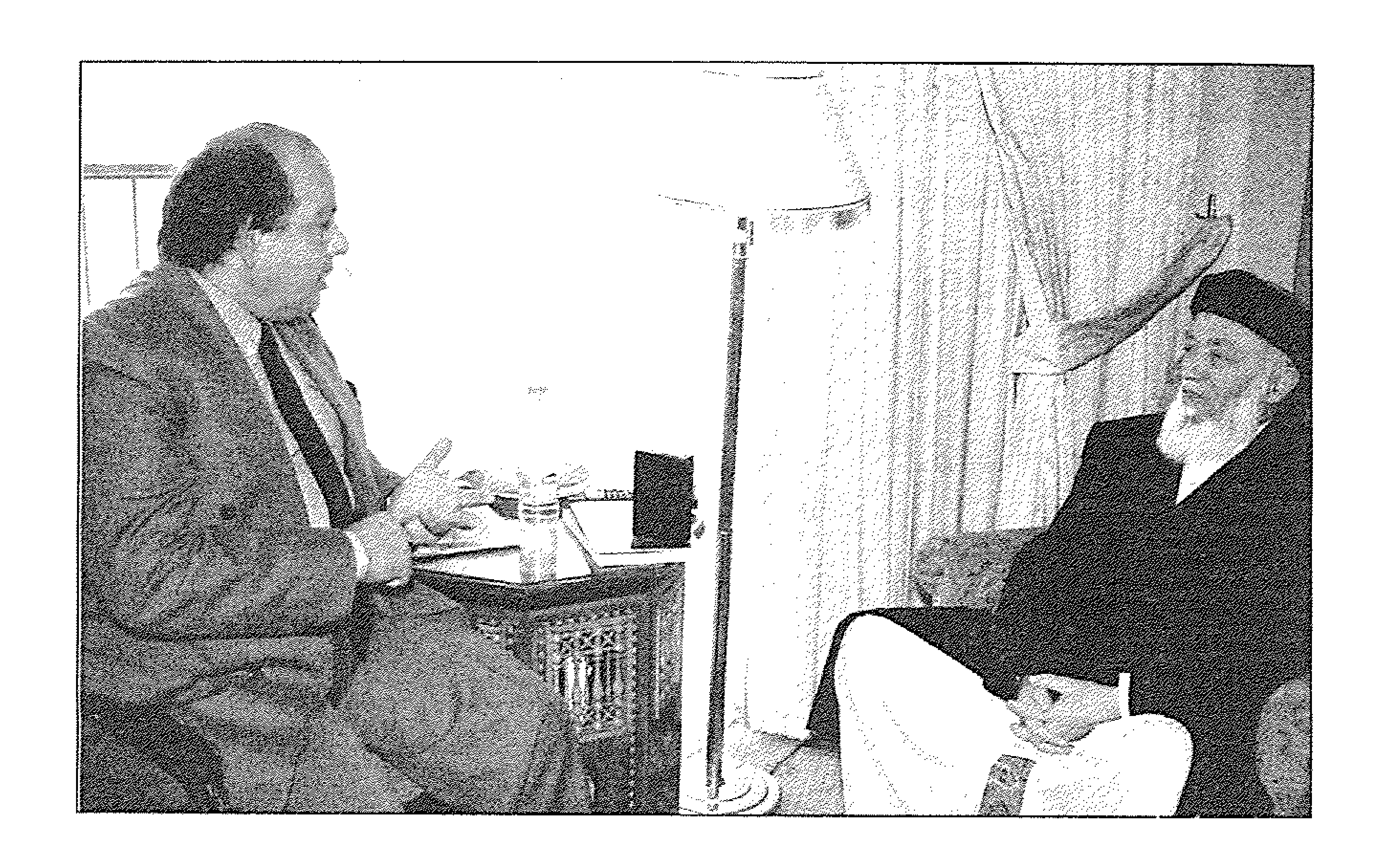
* * *

■ *كنت قد بدأت حوارى مع الرئيس الراحل برهان الدين ربانى بالقول : أريد أن أدخل فى الموضوع مباشرة . . ماهى رؤيتكم لكيفية إعادة الأمن والإستقرار الى أفغانستان مرة أخرى . . ؟*

● قال : أعتقد أن نجاح أية جهود تبذل لإعادة الأمن والإستقرار الى أفغانستان ، يتوقف على مدى ملاءمة هذه الجهود للواقع . . لا يخفى عليك طبعا أن هناك جيلا من المجاهدين الذين خاضوا المعارك ضد الغزو السوفييتى لأفغانستان . . وضحوا من أجل حرية واستقلال هذا البلد . . كما تصدوا بعد ذلك لجماعة طالبان . . وصمدوا سنوات . . ثم حدث ما حدث فى ١١ سبتمبر . . هؤلاء كانوا الأقدر على حفظ الأمن والإستقرار فى أفغانستان . . لكن عندما جاء النظام الجديد ، تم اقصاؤهم عن الساحة السياسية . . فكان ذلك هو أول خطأ . . لأن اقصاءهم أبقى على الساحة السياسية فارغة أمام طالبان لتصول وتجول فيها . .



الرئيس رباني للمؤلف : أريد لأفغانستان الأمن والاستقرار



الرئيس برهان الدين ربانى أثناء الحوار مع المؤلف



أنا أرى أنه لابد على كل شخص أن يعترف بالحقيقة . . ولنسأل أنفسنا : من الذى يستطيع الدفاع عن أمن أفغانستان ؟ . . الذين لهم جذور شعبية ولديهم تجربة تاريخية فى العمل السياسى وفى الجهاد دفاعًا عن أفغانستان ؟ . . أم غيرهم ؟ . . ! !

أنا أرى أن المجاهدين الذين حاربوا وجاهدوا وقاموا بتحرير أفغانستان من الإحتلال السوفييتى ، هم القادرون على إعادة الأمن والإستقرار الى أفغانستان إذا أتيحت لهم الفرصة . .

■ *قلت له : سيادة الرئيس . . إن هؤلاء المجاهدين الذين تعلق عليهم الأمل فى إعادة الأمن والإستقرار الى أفغانستان . . إما تقدموا فى العمر . . أو استشهدوا . . أو تركوا أفغانستان . . فكيف تعلق عليهم الأمل . . ؟ !*

● قال : لابد أن أوضح لك الآتى :

- أولاً : أن الذين تركوا أفغانستان قلة من المجاهدين . .
- ثانيًا : أن المجاهدين الأفغان لاينتمون الى جيل واحد . . وإنما هم عدة أجيال متصلة ببعضها جيلاً بعد جيل . . لذلك عندما أتحدث لك عن المجاهدين ، فأنا لا أقصد شخصيات بعينها . . وإنما أقصد الذين خاضوا تجربة الجهاد من مختلف الأجيال . . لقد كان الجهاد ضد السوفييت تيارًا شعبيًا عارمًا فى أفغانستان . . كان الناس على استعداد للتضحية بأرواحهم من أجل تحرير أفغانستان من الغزو السوفييتى . .
- ثالثًا : كما تعلم أن التجربة والخبرة هما من أهم عناصر النجاح . . لذلك فإن أصحاب التجربة والخبرة هم القادرون على إحلال الأمن والإستقرار فى أفغانستان . .

■ *قلت له : إذن أنت يا سيادة الرئيس تعلق أملا على الحكماء والعقلاء فى . .*

● قال مقاطعًا : ليس الحكماء والعقلاء فقط . . بل والمجاهدين الذين لهم شأن فى أفغانستان . . لأن لديهم من التجربة والخبرة ما يجعلهم يستطيعون تأمين البلاد ، ومواجهة الذين يتدخلون فى شئوننا من الخارج ويتحدثون بإسم طالبان . . الدليل على ذلك أنك إذا نظرت الى أقاليم أفغانستان المختلفة . . تجد حركة الإعمار والبناء والأمن والإستقرار فى الأقاليم التى يترأسها أحد المجاهدين ، بينما العكس فى الأقاليم الأخرى . . انظر مثلاً الى إقليم هرات ، عندما كان يتزعمه محمد اسماعيل خان ، كان واحة للأمن والأمان والبناء والإعمار ، لدرجة أنه تم عقد اجتماع المجلس الإقتصادى فى هرات بدلاً من كابول . . كذلك مزار الشريف أصبحت نموذجًا يحتذى به فى التنمية والإستقرار ، لدرجة أنها حصلت على بعض الميداليات من الإتحاد الأوروبى . .


إسماعيل خان

■ *قلت له : سيادة الرئيس . . هناك مشكلتان أمام عودة الحكماء والعقلاء والمجاهدين الى المواقع القيادية . . المشكلتان هما :*

- وجود طالبان . .
- وجود القوات الأجنبية . .
- فهل ترى أن من مصلحة أفغانستان الآن خروج القوات الأجنبية . .؟

● قال : أرى أن أفغانستان الآن فى حاجة الى وجود القوات الأجنبية بها بسبب غياب الأمن وضعف الدولة . .

■ *قلت له : الى متى تبقى القوات الأجنبية فى أفغانستان . .؟ ! !*

● قال : لمدة قصيرة . .

■ *قلت له : هل يمكن أن تقدرها لى . .؟*

● قال : لا أستطيع أن أقدرها لك . . لأن الأمر يتوقف على قدرة الحكومة على حفظ الأمن وحل مشاكل الناس . .

أما بخصوص طالبان ، فأنا أرى أن استمرار القتال لن يحل المشكلة . . لابد أن نجد حلا تفاوضيا . . لذلك فإن البرلمان الأفغانى قد أقر مشروعا بإسم "مشروع المصالحة الوطنية" . . لدعوة طالبان الى إلقاء السلاح وتقديم مقترحاتها للدخول فى وفاق وطنى . . وكذلك على الحكومة الأفغانية أن تفعل الشئ نفسه . .

■ *قلت له : هل تقبلوا بمشاركة طالبان فى السلطة . . ؟*

● قال : ولما لا . . إذا قبلوا بالدستور الأفغانى ، فأهلا وسهلا بهم . . إنهم من أهل البلد ، ولا نستطيع أن نشطبهم من أفغانستان . . لقد حدث ذلك فى أماكن كثيرة بالعالم . . أنظر مثلا الى أيرلندا ، لقد تقاتل الأيرلنديون سنوات طويلة . . ثم أصبحوا الآن شركاء فى الحكم . .

نحن كذلك . . نرى أن من مصلحة أفغانستان دخول طالبان فى الإدارة الوطنية للبلاد بدلا من الوقوف فى جبهة القتال . .

* * *

■ *قلت له : سيادة الرئيس . . أنت لك شعبية كبيرة جدا فى أفغانستان . . والشعب الأفغانى يحبك ويشيد بحكمتك وحنكتك السياسية . . فلماذا لا ترشح نفسك لرئاسة أفغانستان . . لاسيما أن الرئيس الحالى حامد كرزاى ينظر اليه البعض على أن*

الولايات المتحدة الأمريكية هى التى فرضته على الشعب الأفغانى وجاءت به على ظهور الدبابات . . ؟ !

- قال : أنا أسعى الآن لتوحيد الشعب الأفغانى حول الأهداف الوطنية . . نريد حل المشاكل وتوحيد الصفوف وأن تلقى طالبان السلاح . . بعد ذلك أنا مستعد للقيام بأى عمل لمصلحة البلاد . . أنا لست من عشاق السلطة . . لكننى أريد لأفغانستان الأمن والإستقرار والتنمية . . أريد لأفغانستان أن تقوم بدور إقليمى وعالمى . . أن يكون لها مكانة مرموقة على الساحة الدولية . . أن يستعيد الشعب الأفغانى هيبته وتاريخه المجيد ، ويقوم بدوره فى المنطقة كما كان يقوم به فى الماضى . . كانت أفغانستان مركز علم . . ومركز تقدم . . فلماذا نغرق أنفسنا وبلدنا الآن فى الحروب والصراعات ؟ . . أتمنى أن تنتهى هذه الفترة الصعبة بأسرع ما يمكن . .

- *قلت له : ليست الحروب والصراعات فقط التى تشكل خطرا على أفغانستان . . زراعة المخدرات أيضا . . لقد انتشرت فى السنوات الأخيرة بدرجة كبيرة ، وأصبحت تعانى منها أفغانستان ويعانى منها العالم كله . . أليس كذلك . . ؟*

- قال : نعم . . هذه مشكلة خطيرة . . لقد أصبحت أخطر من أى شئ آخر . . أخطر من طالبان . . لأن المخدرات هى التى تغذى الأخطار المختلفة . . هى التى تغذى الفتن والصراعات . . من أجل ذلك لابد أن نقضى على زراعة المخدرات فى أفغانستان . .

* * *

■ *قلت له : لقد وجه الرئيس حامد كرزاى الدعوة الى طالبان أكثر من مرة للحوار . . وطالبان رفضت وتمسكت واشترطت خروج القوات الأجنبية قبل البدء فى الحوار . . هل هناك من جديد فى هذا الموضوع . .؟*

● قال : الحقيقة أن طالبان لم تشترط الخروج الفورى للقوات الأجنبية من أفغانستان قبل بدء الحوار . . وإنما طلبت وضع خطة لخروج هذه القوات ، تتضمن مواعيد محددة وضمانات كافية لتنفيذها . . كان الكلام منطقى ومعقول جدا . . فطالبان لم تكن متشددة ، ولم تفرض شروطا صعبة . . بل إنها وافقت على الحوار وأعربت عن إستعدادها لإرسال وفد من أعضائها ، بشرط أن نضمن سلامتهم وأمنهم أثناء إقامتهم فى كابول . . وليبدأ الحوار ، ثم يستمر شهرا أو أثنين أو ثلاثة حتى نصل الى إتفاق . . كان هذا موقف طالبان . .

■ *سألته : هل قالت طالبان ذلك . .؟*

● قال : نعم . .

■ متى . . ؟

● منذ حوالى ٥ شهور . . (أى فى أغسطس أو سبتمبر عام ٢٠٠٧) . . حتى أنهم أرسلوا قائمة بأسماء من سيرسلونهم للتفاوض . . وقد أطلعنى الرئيس حامد كرزاى على هذه القائمة وطلب مشورتى . . فنصحته بمواصلة الإتصال بطالبان ، وقلت له إن حضور هؤلاء الأشخاص الى كابول للتفاوض بإسم طالبان سوف يحدث تغييرا كبيرا فى المشهد ، ويضعنا على طريق الخروج من الأزمة . . قلت له إننى أرحب بالحوار مع طالبان من أجل حل المشاكل . .

■ *ولماذا تعطل الحوار . . ؟*

● لا أعرف السبب . . فقد كان هناك دائما من يلعب وراء الستار . . !

■ *هل كان التعطيل من جانب طالبان . . أم من جانب كرزاى . . ؟*

● قلت لك لا أعرف . . فقد كان هناك أناس يشوشون على طالبان . . وأناس يشوشون على كرزاى . .

■ *كيف عرفت ذلك . . ؟*

● فى بعض الأوقات كان كرزاى يقول لى : خلاص . . سندخل فى الحوار . . ثم يهدأ بعد ذلك ولا يتحرك . . طالبان كانت تفعل الشئ نفسه . . لذلك أعتقد أنه كان هناك من يلعبون وراء الستار ولايريدون الخير لأفغانستان . .

■ *هل أنت شخصيا لديك الإستعداد كى تقود عملية الحوار بين طالبان وكرزاى . . ؟*

● أنا أول من دعا الى الحوار مع طالبان . . أعلنت ذلك من بيشاور . . ومن كل مؤتمر شاركت فيه . . وكرزاى قال فى أحد المؤتمرات : "أنا أؤيد ما قاله الأستاذ ربانى ، وأطلب بنفسى الحوار مع طالبان" . . لذلك فأنا على استعداد تام للقيام بهذه المهمة . . فهذا واجب على . . وعلى أهل أفغانستان جميعا أن يتعاونوا معنا . . يجب أن نجلس معًا للحوار كى نضع حلا لمشاكلنا . . لأن القتال وسيل الدماء مستمر فى أفغانستان منذ ثلاثة عقود . . لقد تعب الشعب الأفغانى المسلم من القتال . . وسأم من كثرة الحروب التى حرمته الأمن والسلام والإستقرار . . إلى متى يظل الأفغان تحرق بيوتهم وتقصف مدنهم وقراهم ويقدمون أطفالهم وقودًا

للمعارك . . لقد تعبنا وحان الوقت لكى نجلس معا ونتحاور . . بالكلمة الطيبة . . وليس برصاص البنادق . . ! !

* * *

- بهذه الكلمات انتهى حوارى مع الرئيس الأفغانى السابق برهان الدين ربانى ، الذى أجريته معه يوم ٢ فبراير عام ٢٠٠٨ ..
- يوم ٢٠ سبتمبر ٢٠١١ . . اغتيل الرجل فى منزله بكابول . . ولم تصل التحقيقات الى الجهة التى تقف وراء الإغتيال . . !
- فهل اغتاله الذين يلعبون من وراء الستار ولا يريدون الخير لأفغانستان . . الذين حذر منهم الرئيس ربانى فى حواره معى . . ؟؟ ! ! ! !

الفصل الثامن

الحوار مع طالبان..

" هكذا فشل السيناريو الذى وضعته الولايات المتحدة لشق صفوف طالبان من الداخل .. "

(١)

■ يتابع العالم كله منذ فترة ، المحاولات "المستميتة" التى تبذلها الولايات المتحدة الأمريكية ومعها الدول الأعضاء فى حلف شمال الأطلنطى للدخول فى حوار مع طالبان من أجل إنهاء الحرب الدائرة الآن فى أفغانستان .. وطالبان ترفض .. ! !

- لماذا ترفض ..؟

١ - لأن الولايات المتحدة وحلفاءها لم يطلبوا الحوار مع طالبان ، إلا بعد أن تأكدوا أنهم خسروا الحرب معها .. وأن استمرار هذه الحرب يعنى بالنسبة لهم استمرار خسائرهم البشرية والمالية ، التى أخذت تزداد فى الفترة الأخيرة بمعدلات عالية ..

- بالأرقام : بلغ عدد القتلى من الجنود الأجانب فى أفغانستان خلال هذا العام فقط (عام ٢٠١٠) - حتى ٢٠١٠/٨/٩ - ٤٢٥ جندياً ، منهم ١٠٣جنود فى شهر يونيو ٢٠١٠ و ٩٦ جندياً فى شهر يوليو ٢٠١٠ ، وهو أعلى معدل لسقوط قتلى من الجنود الأجانب فى أفغانستان منذ بدأت الحرب عام ٢٠٠١ . . والتى قتل فيها من الجنود الأجانب أكثر من ٢٠٠٠ جندى ، منهم حوالى ١٣٠٠ جندى أمريكى ..

- بالأرقام أيضًا : بلغت تكلفة هذه الحرب حوالى تريليون دولار .. حيث تنفق الولايات المتحدة على الحرب فى أفغانستان ٦,٧ مليار دولار شهرياً (المصدر : مقال بجريدة واشنطن بوست عدد ٢٦-٥-٢٠١٠) .. وعندما نعرف أن قيمة العجز فى الموازنة الأمريكية بلغ هذا العام ١,٦ تريليون دولار ، يتضح لنا بسهولة أن الولايات المتحدة أصبحت غير قادرة على الاستمرار فى تحمل نفقات هذه الحرب ..

* * *

٢ - ولأن قبول طالبان بالدخول فى حوار مع الولايات المتحدة وحلفائها ، يعنى أن تلقى طالبان السلاح .. فتوفر بذلك الأمن للقوات الأمريكية والأجنبية .. وبالتالى لن يفكروا فى الخروج من أفغانستان .. !

* * *

٣ - ولأن جلوس طالبان على مائدة للحوار .. يعنى أنه سيطلب منها تقديم تنازلات للطرف الآخر .. أبسط هذه التنازلات هو الاعتراف بكرزاى .. وهو رجل خائن من وجهة نظر طالبان ..

* * *

٤ - أما أهم الأسباب التى جعلت طالبان ترفض الحوار مع الولايات المتحدة وحلفائها .. فهو "سوء نية" الإدارة الأمريكية من وراء طلب هذا الحوار ..

الدليل على ذلك أنه عندما بدأ كرزاى يتحدث عن استعداده للدخول فى حوار مع طالبان .. لم يكن يذكر طالبان وحدها ، وإنما كان دائما يجمع معهم الحزب الإسلامى الذى كان يتزعمه قلب الدين حكمتيار .. على الرغم من أن قصة هذا الحزب انتهت منذ ١٤ عاما ، وانتهى دوره

على الساحة الأفغانية تماما بوصول طالبان إلى السلطة عام ١٩٩٦ .. لكن لأن قلب الدين حكمتيار معروف عنه قوته وجبروته ، وله تاريخ دموى فى الصراع على السلطة مع الرئيس الأفغانى السابق برهان الدين ربانى فى الفترة من ١٩٩٣ إلى ١٩٩٦ ، فقد أراد الأمريكيون على لسان كرزاى أن يوقظوا فى حكمتيار حب السلطة ، ويبعثوا الحياة من جديد فى حزبه القديم .. لكى يتقاسم مع طالبان النفوذ ويشاركها الأدوار .. بذلك تكون الولايات المتحدة قد نجحت فى خلق نموذج " فتح وحماس " جديد فى أفغانستان .. وتبدأ فى اللعب بهما ، تارة بدعوى الحوار والبحث عن فرص للسلام ، وتارة أخرى تمدهما بالمال والسلاح لكى يفتكا ببعضهما البعض . . !

أى أن الولايات المتحدة فى الحقيقة لا تريد الحوار مع طالبان ، ولاتريد السلام لأفغانستان .. وإنما تريد غرز بذور الفتنة والاقتتال بين أبناء الشعب الأفغانى .. تريد خلق أجنحة وفصائل تتقاتل مع بعضها البعض لكى يسقط هذا البلد فى دوامة جديدة من الصراع لاتنتهى .. دوامة يغذيها ما سيتبقى من أسلحة وذخائر تتركها القوات الأمريكية وقوات حلف الأطلنطى بعد أن تنسحب من أفغانستان . .

لكن المشكلة التى واجهت الولايات المتحدة وحالت دون تنفيذ مخططها .. أن قلب الدين حكمتيار رفض الاشتراك فى هذه اللعبة وأعلن أكثر من مرة تأييده لطالبان . . !

* * *

لذلك بدأت الولايات المتحدة فى وضع سيناريو جديد .. تقوم فكرته على شق صفوف طالبان نفسها من الداخل ، وتقسيمها إلى من تسميهم

بـ "معتدلين " و"متشددين " .. وأعلنت أنها سوف تتحاور مع "المعتدلين" .. ثم بدأت فى تقديم الإغراءات لهم للقبول بالدخول فى حوار معها .. هذه الإغراءات كانت عبارة عن تعيينهم وزراء فى الحكومة ومنحهم امتيازات وأموالاً .. بل وصل الأمر إلى درجة أن الكونجرس الأمريكى وافق على مشروع قرار تقدمت به لجنة القوات المسلحة لرصد مليار دولار لاجتذاب عناصر من طالبان عن طريق تقديم الأموال لهم ، ظناً من الأمريكيين أن كثيرا من الذين يقاتلون فى صفوف طالبان ، لا يقاتلون لأسباب أيديولوجية ، وإنما يقاتلون بسبب حاجتهم للمال ..

طالبان علقت على هذا القرار بأنه ليس فى صفوفها "مرتزقة" كما هو الحال فى القوات الأجنبية التى غزت أفغانستان .. !

هكذا فشل السيناريو الذى وضعته الولايات المتحدة لشق صفوف طالبان من الداخل ..

* * *

لذلك لجأ الأمريكيون إلى حيلة أخرى ، وهى الضغط على السعودية للتوسط لدى قادة طالبان ، من أجل إقناعهم بإلقاء السلاح والجلوس على مائدة الحوار ، بدعوى حقن دماء المسلمين فى أفغانستان .. تم اختيار السعودية بالذات للقيام بهذه المهمة ، لأنها تحظى بثقة واحترام زعماء طالبان .. حيث كانت واحدة من ٣ دول فقط فى العالم أعترفت بحكومة طالبان كحكومة شرعية لأفغانستان .. لكن المشكلة أن السعودية قالت إنها لا تريد الدخول فى هذه الوساطة إلا بعد أن تتأكد من تقارب المواقف ..

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ١١/٨/ ٢٠١٠

(٢)

■ الآن . . أصبح لايكاد يمر يوم واحد لا يسقط فيه عدد من الجنود الأمريكيين قتلى فى أفغانستان على أيدى طالبان . . !

ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية حرصت منذ البداية على ألا تذهب إلى هناك وحدها ، فاصطحبت معها جيوش حلف شمال الأطلنطى (٢٦ دولة) وجيوش الدول المتحالفة معها (٢٠ دولة) . . حتى أصبح عدد الدول المشتركة فى الحرب على طالبان ٤٦ دولة . . إلا أنهم فشلوا جميعًا فى إحراز النصر على طالبان باعتراف جميع القادة العسكريين الذين اشتركوا فى هذه الحرب . .

لعلها إذن آية من آيات الله سبحانه وتعالى القائل فى كتابه الكريم :

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

سورة البقرة الآية ٢٤٩

الدليل على ذلك أن جيوش الـ ٤٦ دولة التى تحارب طالبان ، مسلحة بأحدث أنواع الأسلحة ، ولديها أحدث ما توصل إليه العلم من أجهزة المراقبة والاستطلاع . . بدءاً من الأقمار الصناعية فى السماء حتى نظارات الرؤية الليلية مع الجنود . . وهى تطلق قذائفها بواسطة أشعة الليزر لكى تصيب أهدافها بدقة . . ولا تتوانى عن قتل الأبرياء والمدنيين لمجرد الاشتباه فيهم . . وهدم البيوت والمساجد

بحجة البحث عن أعضاء بطالبان من المحتمل أن يكونوا مختبئين بداخلها . . وهى تحصل على كل المؤن اللازمة لها ، وتقيم فى قواعد عسكرية تتوفر بها كل الاحتياطيات الأمنية الممكنة . . وتتحرك على الأرض داخل سيارات مصفحة مضادة للرصاص ، تسبقها كاسحات ألغام . .

فى المقابل . . فإن مقاتلى طالبان يسكنون كهوف الجبال . . ويتحركون على الأرض فوق "موتوسيكلات" مكشوفة ، أوسيارات نصف نقل . . ومعظم أسلحتهم عبارة عن بنادق كلاشينكوف روسية قديمة من مخلفات الحرب مع الاتحاد السوفييتى فى ثمانينيات القرن الماضى ، أو قنابل وألغام بدائية صنعوها بأيديهم . . وبالطبع ليس لهم أى علاقة بالأقمار الصناعية ، سوى أنهم مكشوفون لها . . ! !

* * *

لقد استطاع مقاتلو طالبان أن يثبتوا عملياً من جديد صحة المقولة التى أطلقها أجدادهم . . وهى أن "أفغانستان مقبرة الغزاة " . . !

لقد غزا البريطانيون شبه القارة الهندية واحتلوها أكثر من مائة عام . . لكنهم فشلوا ثلاث مرات فى احتلال أفغانسنان . . لقد خاضت الإمبراطورية البريطانية ثلاث حروب ضد أفغانستان ، وانتصر الأفغان على البريطانيين فى الحروب الثلاث . . !

- كانت الحرب الأولى من عام ١٨٣٩ إلى عام ١٨٤٢ .. انتصر فيها الأفغان على الجيش البريطانى وقتلوا قائده ، وسحلوه فى السوق أمام الناس . .

- وكانت الحرب الثانية من عام ١٨٧٨ إلى عام ١٨٨٠ .. انتصر فيها الأفغان أيضاً على الجيش البريطانى ، فانسحب من أفغانستان . .

- وكانت الحرب الثالثة عام ١٩١٩ .. انتهت بهزيمة قاسية للجيش البريطانى على أيدى الأفغان ، فوقعت بريطانيا معاهدة روالبندى فى ١٩ أغسطس ١٩١٩ ، اعترفت فيها باستقلال أفغانستان داخليًا وخارجيًا ، وأصبح هذا التاريخ عيدا لاستقلال أفغانستان . .

كذلك فعل الأفغان أيضاً مع السوفييت فى الثمانينيات من القرن الماضى . . هزموهم وأجبروهم على الانسحاب بعد حرب استمرت ١٠ سنوات من عام ١٩٧٩إلى عام ١٩٨٩ . . لعل الخسائر التى تكبدها السوفييت فى هذه الحرب ، كانت أحد الأسباب التى أدت إلى تفكك الاتحاد السوفييتى . . !

* * *

والحقيقة أن طالبان حاولت بكل الوسائل تجنب الغزو الأمريكى لأفغانستان عام ٢٠٠١ . . حتى أنه عندما طلب الأمريكيون منها تسليم أسامة بن لادن باعتباره المسئول عن هجمات ١١سبتمبر . . لم تقل طالبان " لا " . . وإنما وضعت ٤ شروط لتسليمه :

١ - تقديم الأدلة التى تثبت مسئوليته عن هذه الهجمات . .

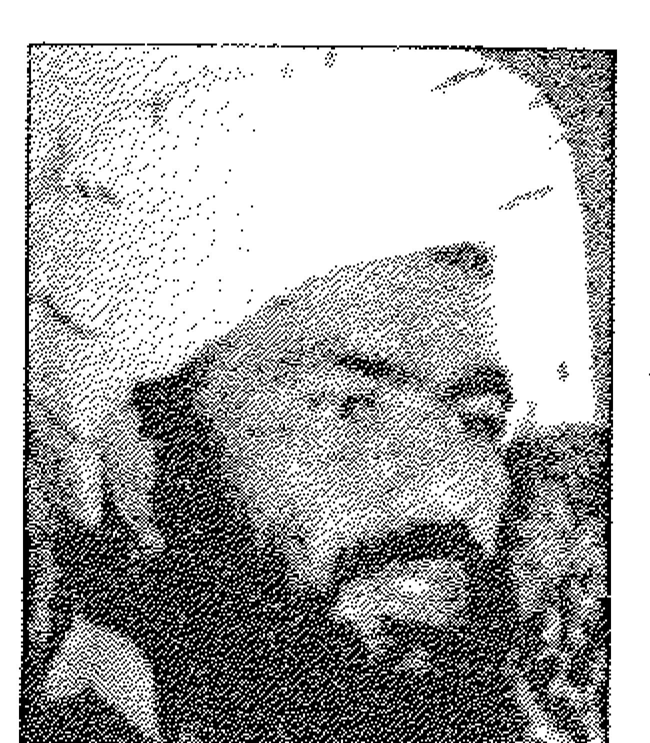
٢ - محاكمته فى دولة إسلامية محايدة . .

٣ - رفع العقوبات الدولية المفروضة على طالبان . .

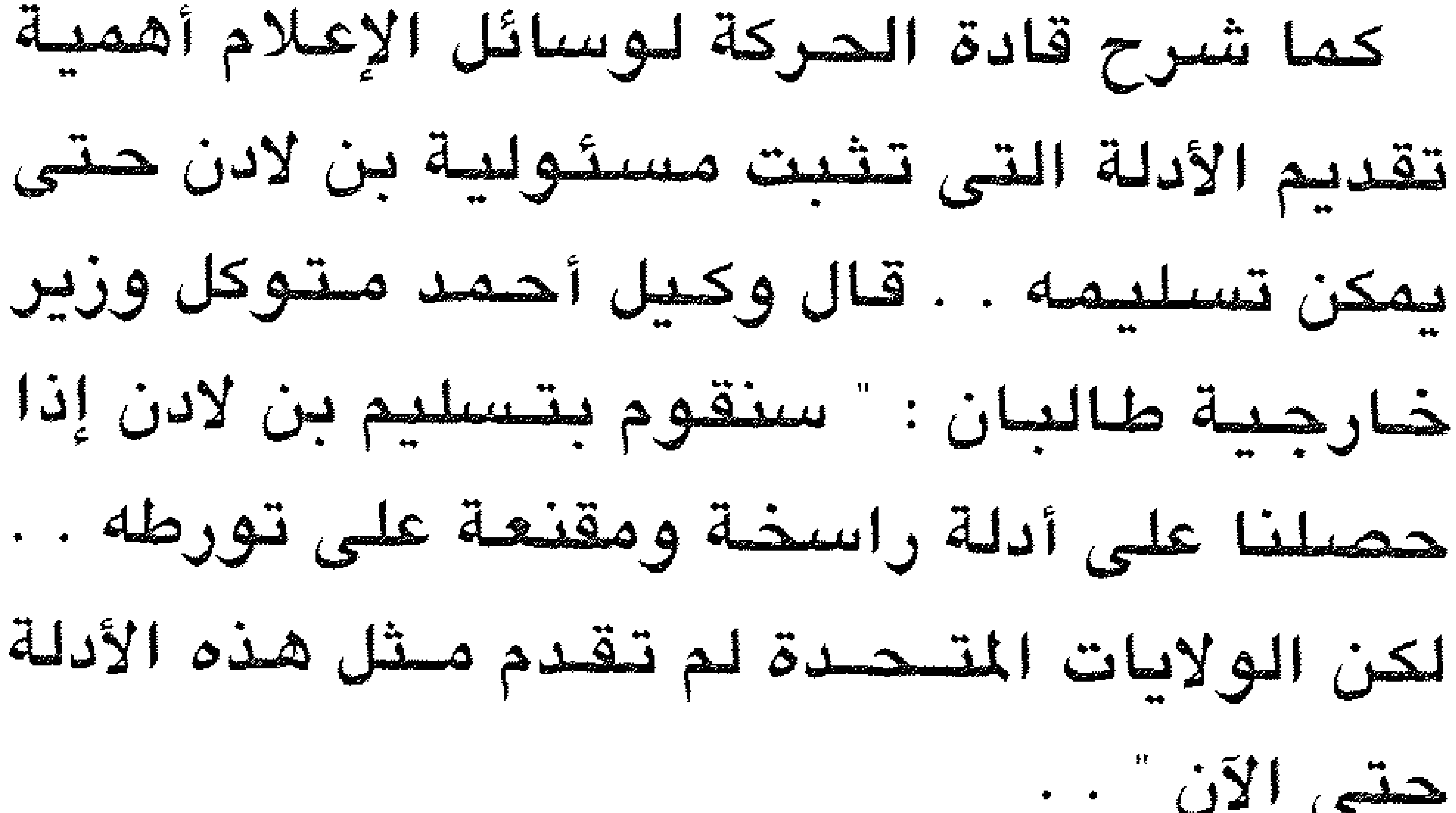
٤ - وقف المساعدات العسكرية التى تمنح للمعارضة الأفغانية فى الشمال . .

هذه الشروط الأربعة سلمتها طالبان إلى الجنرال محمود أحمد رئيس المخابرات الباكستانية ، عندما ذهب إلى قندهار على رأس

وفد بتكليف من الرئيس الباكستانى السابق بيرفيز مشرف ، لإقناع قادة طالبان بضرورة تسليم أسامة بن لادن إلى الولايات المتحدة تجنبًا لضربة انتقامية . . إلا أن ذلك تم التعتيم عليه إعلاميًا ، واختصرت وسائل الإعلام الغربية رد طالبان على الوفد الباكستانى فى أن طالبان رفضت تسليم أسامة بن لادن . . بل وأضافت إليه : إنها أعلنت الجهاد ضد أمريكا ! . . عندئذ سارعت طالبان بنفى ذلك بشدة على ألسنة المسئولين بها . . وقالت إنها لم تعلن الجهاد بعد، لكنها سوف تعلنه عند بدء العدوان الأمريكى على أفغانستان . .



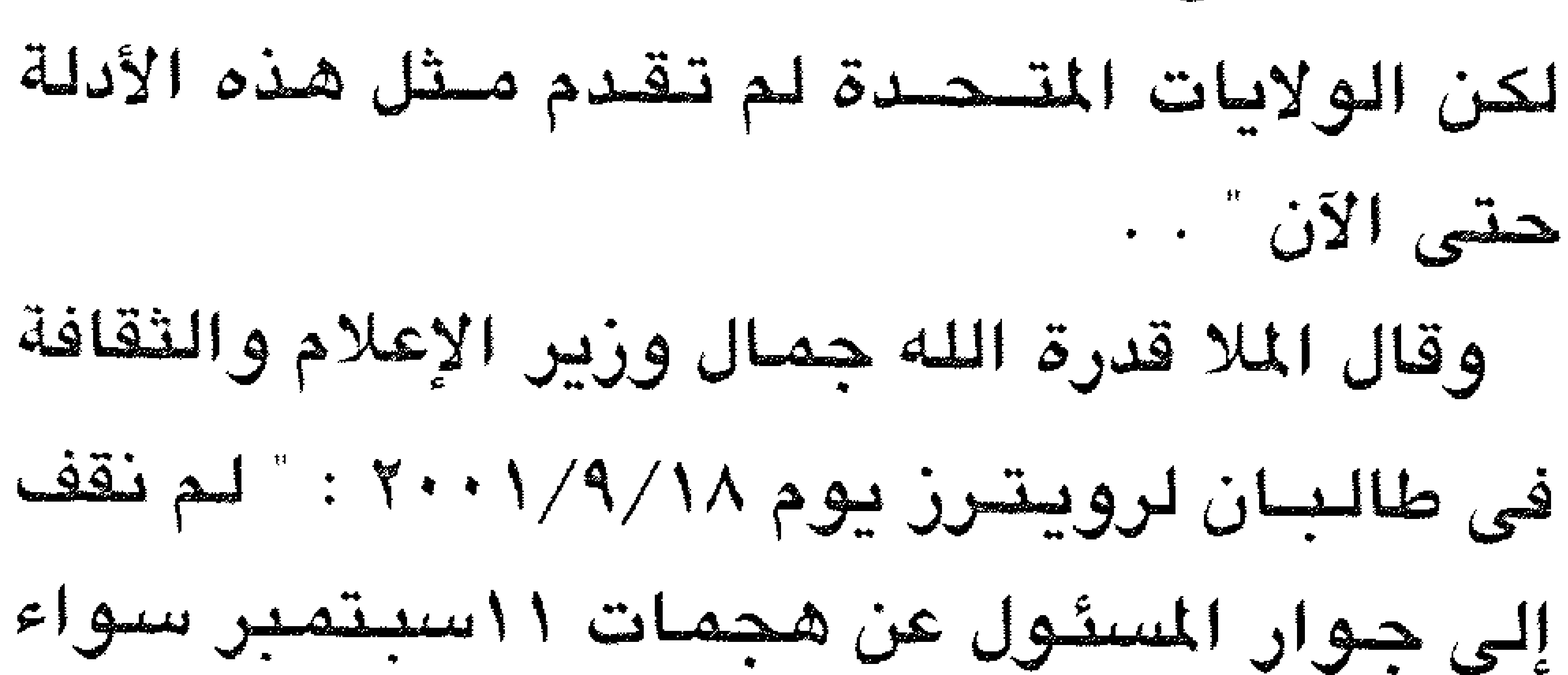
قدرة الله جمال



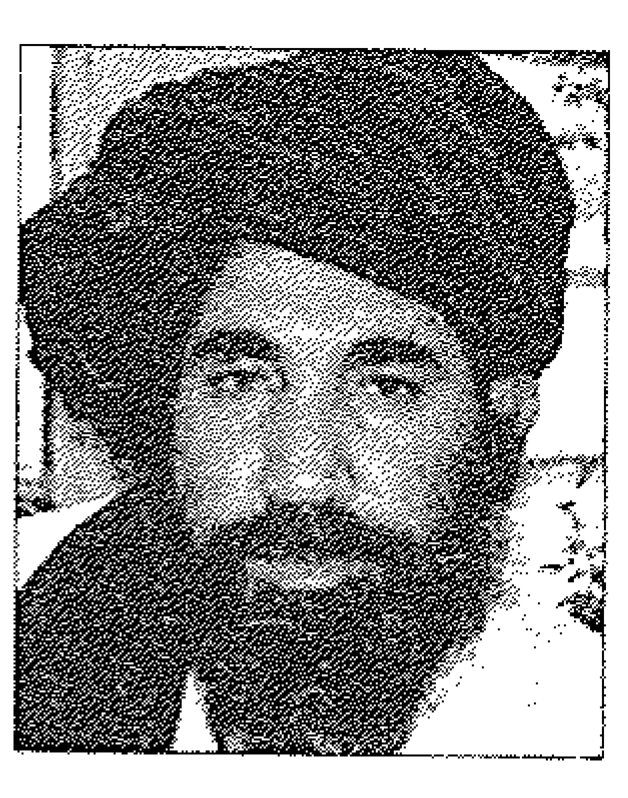
كما شرح قادة الحركة لوسائل الإعلام أهمية تقديم الأدلة التى تثبت مسئولية بن لادن حتى يمكن تسليمه . . قال وكيل أحمد متوكل وزير خارجية طالبان : " سنقوم بتسليم بن لادن إذا حصلنا على أدلة راسخة ومقنعة على تورطه . . لكن الولايات المتحدة لم تقدم مثل هذه الأدلة حتى الآن " . .



وكيل أحمد متوكل



وقال الملا قدرة الله جمال وزير الإعلام والثقافة فى طالبان لرويترز يوم ٢٠٠١/٩/١٨ : " لم نقف إلى جوار المسئول عن هجمات ١١سبتمبر سواء كان بن لادن أو غيره " . .



عبد السلام ضعيف

بل ذهب الملا عبد السلام ضعيف سفير طالبان فى إسلام أباد إلى القول : " إن طالبان مستعدة

للتعاون مع الولايات المتحدة في التحقيقات لمعرفة المسئول عن الهجمات " . .[1]

وقال عبد الحى مطمئن المتحدث باسم طالبان لوكالة رويترز يوم ٢٠٠١/٩/١٣ : "إن الحادث الراهن فى أمريكا مأساة إنسانية ونحن نشعر بالحزن له . . نحن ندينه بشدة ونعارض الإرهاب " . . وأكد على أن بن لادن ليس ضالعاً فى هجمات ١١سبتمبر . . قال : "كما هى العادة طوال السنتين الماضيتين - يقصد منذ وقوع الهجوم على سفارتى الولايات المتحدة فى نيروبى ودار السلام - ليست لابن لادن صلات خارجية . . فالحظر الذى فرضناه عليه مازال سارياً . . ليست لديه إمكانية للوصول إلى فاكس أو تليفون أو أى وسيلة اتصال أخرى " . . وناشد مطمئن الولايات المتحدة التحلى بالصبر فى تحقيقاتها وعدم القفز إلى استنتاجات . . أضاف : " فى أمريكا ملابسات مثل هذا الحادث . . لايتعين أن تنسب بعيون مغلقة وبتفكير غير منطقى إلى أى شخص ، ولا أن يوجه الإتهام إلى أمة بريئة " . .[2]

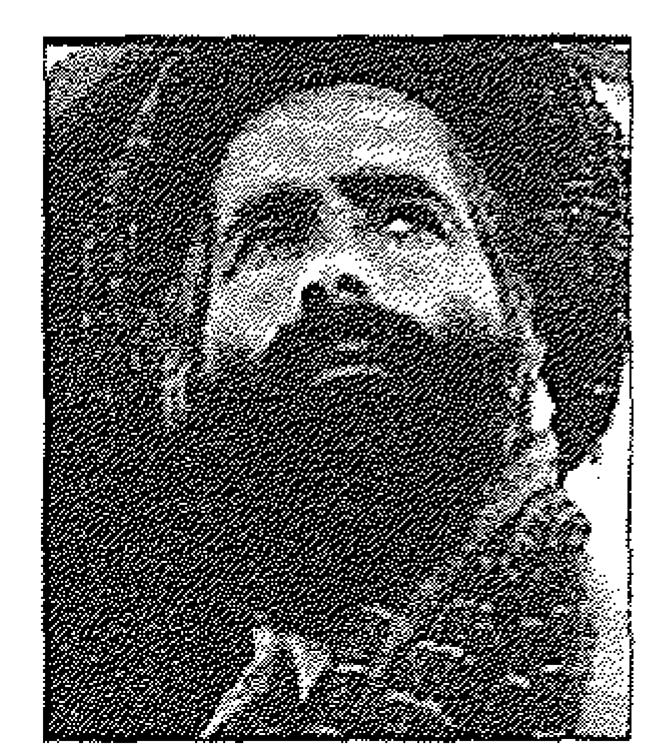
* * *

هكذا حاولت طالبان بكل الوسائل دفع الإتهام عن نفسها . . وفى نفس الوقت عدم الرضوخ للتهديدات الأمريكية وتسليم بن لادن دون الحصول على أدلة تدينه . . لاسيما أن بن لادن هو الذى وقف إلى جوار طالبان وقدم اليها ملايين الدولارات ، فى وقت رفضت فيه

---

(١) ، (٢) كتاب « شاهد على حرب أفغانستان » - ص ٣٣ - المؤلف : السيد هانى . .

الولايات المتحدة الاعتراف بها ، بل وحملت المجتمع الدولى إلى فرض عقوبات عليها . .


الملا محمد عمر

لذلك فإن موقف طالبان كان ينطوى على شق أخلاقى كبير . . ولعل هذا ما دفع العلماء الأفغان الذين جمعهم الملا محمد عمر لتقديم النصح له - أكثر من ألف عالم قدموا من ٣٢ ولاية واجتمعوا لمدة يومين فى كابول - إلى التأكيد على : "عدم تسليم بن لادن دون تقديم أدلة ملموسة حول تورطه فى الإرهاب ، حتى لو دمرت أفغانستان بالكامل" . .

* * *

لقد كانت طالبان تريد البحث عن الحقيقة وفتح حوار مع الولايات المتحدة . . لكن الولايات المتحدة كانت تريد الحرب . . فذهبت إلى هناك وقتلت وشردت ودمرت وخربت . . لكنها لم تنتصر . . وهاهى تواجه فى أفغانستان الآن نفس المصير الذى واجهه من قبل كل من البريطانيين والسوفييت . . ! !

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ١٨/ ٨/ ٢٠١٠

الفصل التاسع

موجز تاريخ أفغانستان

" قفز الابن من مكانه إلى حيث
سقط والده محاولاً إنقاذه .. لكن
الملك مات فى الحال بين ذراعى ابنه .. "

■ يرجع المؤرخون نشأة الدولة الحديثة فى أفغانستان إلى عام ١٧٤٧ ، عندما تولى "أحمد شاه دورانى" الحكم فى قندهار بعد وفاة "نادر أفشار" الحاكم الإيرانى الذى كان يحكم الجزء الغربى والجنوبى من أفغانستان إلى جانب إيران . .

- كان "أحمد شاه" ضابطا فى الجيش ، واستطاع خلال فترة قصيرة بسط سيطرته غربًا وجنوبًا ، فامتد حكمه من "كشمير" فى الشرق إلى "مشهد" فى الغرب ، ومن نهر "أموداريا" فى الشمال إلى الهند فى الجنوب . . واتخذ من "قندهار" عاصمة للدولة . .

- خلال القرن التاسع عشر . . وقعت أفغانستان فريسة للصراع البريطانى - الروسى ، فخاضت بسبب ذلك ثلاث حروب مع بريطانيا وانتصرت فيها . .

- الحرب الأولى من عام ١٨٣٩ إلى عام ١٨٤٢ . .

- الحرب الثانية من عام ١٨٧٨ إلى عام ١٨٨٠ . .

- الحرب الثالثة عام ١٩١٩ . .

- فى عام ١٩٢٩ أطاح بطل الطاجيك "باتشاى سقاو" بـ"أمان الله خان" - من البشتون - الذى كان يعتلى العرش الأفغانى فى تلك

الفترة . . بذلك أصبح حاكم أفغانستان الجديد لأول مرة منذ تأسيس الدولة من خارج قبيلة الدورانى البشتونية . . ولما كان البشتون يشكلون أكثر من ٦٠٪ من سكان الدولة تقريبا ، بينما يشكل الطاجيك حوالى ٢٠٪ ، والأوزبك والهزارة والتركمان والعرب والنورستان حوالى ٢٠٪ . . فقد أغضب ذلك الجنرال "نادر شاه" الذى ينتمى إلى قبيلة الدورانى البشتونية ، وكان فى ذلك الوقت وزيرًا مفوضًا لأفغانستان فى فرنسا . . فعاد على الفور بأسرته من باريس ، وقام بتوحيد قبائل البشتون فى شرق أفغانستان ، ثم قاد هجومًا على "باتشاى سقاو" بعد ٩ شهور فقط من توليه السلطة فأطاح به وقتله ، ونصب نفسه ملكا على أفغانستان . . بعد عامين من ذلك عين ابنه "محمد ظاهر شاه" مساعدا لوزير الدفاع عندما بلغ من العمر ١٨ عامًا . .

- لكن فى سبتمبر عام ١٩٣٣ اغتيل الملك "نادر شاه" بإطلاق النار عليه فى ساحة القصر الملكى بكابول ، أثناء حفل لتوزيع الجوائز على المتفوقين من تلاميذ المدارس ، نظمه ابنه "ظاهر شاه" الذى كان فى ذلك الوقت يشغل منصب القائم بأعمال وزير التعليم . . وقد قفز الابن من مكانه إلى حيث سقط والده محاولا إنقاذه . . لكن الملك مات فى الحال بين ذراعى ابنه . .

- يوم ٨ نوفمبر عام ١٩٣٣ تم تنصيب "ظاهر شاه" ملكا على أفغانستان خلفا لوالده ، وكان عمره فى ذلك الوقت ١٩ عامًا و٢٤ يوماً . . فأصبح ملكًا بلا سلطات بسبب صغر سنه ، وبسبب الظروف المأساوية لمصرع والده . . أما السلطات الفعلية فى الدولة فقد انتقلت إلى عميه الأميرين "هاشم" و"محمود" اللذين تعاقبا

الوصاية على العرش . . بينما ظل "ظاهر شاه" مجرد واجهة للحكم حتى عام ١٩٤٦ عندما بدأ فى ممارسة سلطاته كملك . .

- انتهج ظاهر شاه فى حكمه سياسة معتدلة قامت على الحياد بين الشرق والغرب . . مما ساعده على تلقى مساعدات من الجانبين ، إستخدمها فى بناء بنية تحتية للبلاد فى مجالات الطرق والرى والزراعة وتحسين الخدمات . .

- بعد عام واحد من بدء مباشرته سلطاته بنفسه . . جرى تقسيم شبه القارة الهندية وأعلن قيام دولة باكستان المستقلة . . لكنه رفض الاعتراف بها وعارض إنضمامها إلى الأمم المتحدة ، لأنها رفضت إعادة مناطق البشتون الحدودية إلى أفغانستان . . والتى تعرف باسم "بشتونستان" . . وكان ذلك أكبر خطأ فى حياته . . لأن العداء بين الدولتين استمر وتصاعد حتى أوشكتا الدخول فى حرب شاملة عام ١٩٦٩ ، لولا تدخل شاه إيران رضا بهلوى . . وقد ظل الباكستانيون يتعاملون مع الملك ظاهر شاه كعدو خطير يطمع فى إحتلال جزء من بلادهم ، وساعد على تعزيز هذه الشكوك علاقته الوثيقة مع الهند . . لذلك عندما خرج الاتحاد السوفييتى من أفغانستان عام ١٩٨٩ .. كان من أولويات الباكستانيين منع ظاهر شاه من العودة للعب أى دور فى أفغانستان . .

- على الرغم من انتهاء الوصاية على العرش . . إلا أن عائلة " ظاهر شاه " ظل لها دور كبير فى الحكم ، وعانى كثيرًا من الخلافات بين أعمامه . . فقرر فى عام ١٩٥٣ الاستعانة بإبن عمه وزوج شقيقته الجنرال محمد داود خان ، فعينه رئيسًا للوزراء ، غير أن داود كانت له ميول يسارية


الملك ظاهر شاه

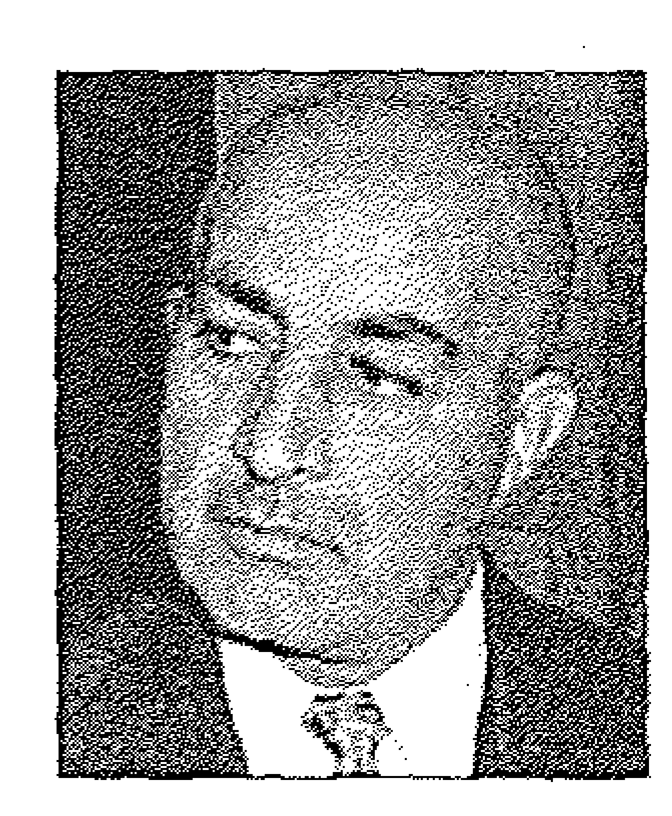
فانفتح على الاتحاد السوفييتى واستعان باليساريين فى إدارة شئون البلاد ، فاستشعر الملك "ظاهر شاه" بالخطر على عرشه من سيطرة اليساريين . . فأقال داود من رئاسة الحكومة عام ١٩٦٣ ، وبدأ فى تنفيذ خطة خمسية لتحويل أفغانستان إلى دولة عصرية . . حيث أعلن قيام الملكية الدستورية ، وأجرى سلسلة من الإصلاحات الديمقراطية ، كإجراء انتخابات لتشكيل أول برلمان أفغانى عام ١٩٦٤ .. والفصل بين السلطات . . والسماح بتكوين أحزاب سياسية . . ومنح الصحافة حريتها . . وسن قوانين أكثر تساهلا مع النساء . . وحظر تولى المناصب السياسية على أفراد العائلة المالكة . . وإنشاء أول جامعة أفغانية . . والتوسع فى إنشاء المرافق والخدمات . . فبرز الملك كبطل إصلاحى ، واتسمت هذه السنوات بالهدوء والاستقرار والانفتاح . . وازدهار الحريات الشخصية والدينية ، ووسائل التعبير عن الرأى حتى وصل عدد الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية التى كانت تصدر فى أفغانستان فى تلك الفترة إلى ٧٠ صحيفة ومجلة . .

* * *

لكن هذا الزمن الجميل لم يدم طويلاً فى تاريخ أفغانستان . . ففى ١٧ يوليو عام ١٩٧٣ ، وبينما كان الملك ظاهر شاه يتلقى العلاج فى إيطاليا . . قاد ابن عمه الجنرال محمد داود انقلابا عسكريا عليه ، استولى به على الحكم وأعلن قيام الجمهورية . . وبعد شهر من وقوع الانقلاب تخلى ظاهر شاه رسمياً عن العرش وأقام مع زوجته وأولاده السبعة فى ضاحية سكنية شمال مدينة روما . . وظل فى إيطاليا

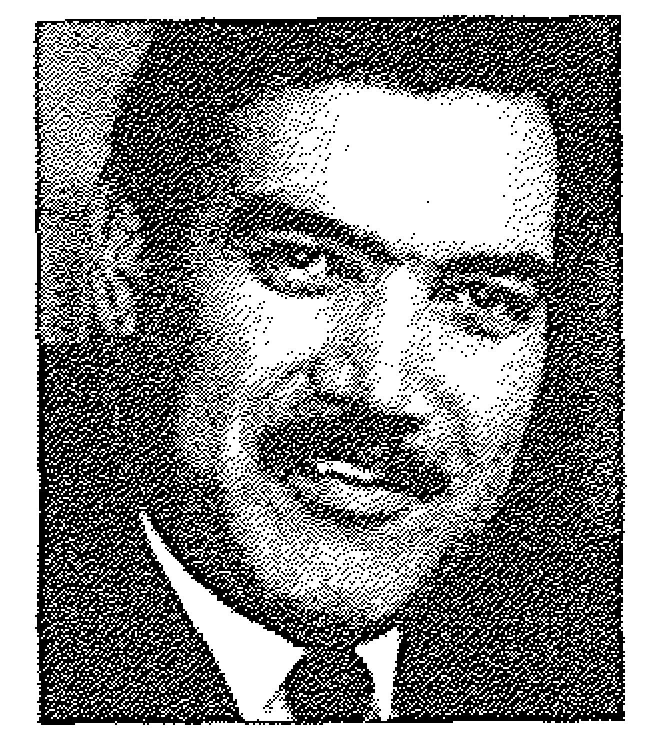
حتى عام ٢٠٠٢ ، حيث عاد مرة أخرى إلى أفغانستان بعد الغزو الأمريكى . . ومات فى أفغانستان عام ٢٠٠٧ عن عمر ناهز ٩٣ عامًا . .

* * *


محمد داود

- اتبع داود فى حكم أفغانستان نظامًا ديكتاتوريًا ، وكان يميل إلى الغرب والولايات المتحدة تارة ، والى الشرق والاتحاد السوفييتى تارة أخرى . . فانقلب عليه "نور محمد تراقى" زعيم حزب الشعب الشيوعى الديمقراطى فى ٢٧ أبريل ١٩٧٨ بدعم من الاتحاد السوفييتى . .
- فى ١٦ سبتمبر ١٩٧٩ .. انقلب رئيس الحكومة الأفغانية حفيظ الله أمين على نور محمد تراقى وحدد إقامته ، ثم قتله فى الأول من أكتوبر ١٩٧٩ ودفنه فى سرية تامة . .
- يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٧٩ .. بدأت القوات السوفييتية عبور الحدود إلى أفغانستان فى الساعة ١٥,٣٠ بتوقيت موسكو . . ومساء يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ شنت هجومًا على القصر الرئاسى فى كابول ، فقتلت حفيظ الله أمين ، وسلمت السلطة إلى بابرك كارمل . .
- فى ٤ مايو عام ١٩٨٦ .. تم إقصاء كارمل بطريقة سلمية ، حيث أجبرته موسكو على تقديم استقالته . . وتولى السلطة رئيس جهاز استخباراته د . محمد نجيب الله ، الذى انتخب بعد ذلك فى نوفمبر من العام نفسه رئيسا لجمهورية أفغانستان الديمقراطية . .
- خرج السوفييت من أفغانستان فى ١٤ فبراير ١٩٨٩ .. لكن الحرب استمرت بين فصائل المجاهدين وحكومة نجيب الله ، حتى سقط نظام

نجيب الله فى ١٦ أبريل عام ١٩٩٢ .. فتولى صبغة الله مجددى رئاسة الدولة لمدة شهرين فقط بصفته رئيس مجلس الجهاد الإسلامى ، بينما لجأ د . محمد نجيب الله وشقيقه أحمد وحراسه الشخصيين إلى مقر الأمم المتحدة فى كابول ، وغادرت زوجته وبناته الثلاث إلى نيودلهى وأقاموا بها . .


د . محمد نجيب الله

- فى ٢٨ يونيو ١٩٩٢ تم نقل السلطة سلميًا من صبغة الله مجددى إلى برهان الدين ربانى رئيس حزب الجمعية الإسلامية بناء على إتفاق بيشاور . . لكن صراعًا مسلحًا نشب بين قوات الرئيس ربانى وقوات قلب الدين حكمتيار رئيس الحزب الإسلامى . . فانتشرت الفوضى والفساد والنهب والسلب فى جميع أنحاء الدولة ، وشهدت العاصمة كابول معارك شرسة ، أدت إلى تدمير معظم المساكن والمؤسسات الحكومية . .
- فى النصف الأول من عام ١٩٩٤ بدأت حركة طالبان فى الظهور على يد الملا محمد عمر . . ثم أخذت فى الانتشار والسيطرة على الولايات الجنوبية من أفغانستان . . فى تلك الآثناء شعر د . محمد نجيب الله بالخطر على حياته ، فطلب الخروج مع شقيقه وحراسه الشخصيين من أفغانستان ، لكن الرئيس ربانى لم يسمح له بذلك . . كما لم يقبض عليه . . فظل نجيب الله ومن معه محتجزين فى مقر الأمم المتحدة بكابول . . وعندما اقتربت طالبان من كابول فى صيف ١٩٩٦ ، بعث نجيب الله باستغاثة إلى مكتب الأمم المتحدة فى إسلام آباد يطلب توفير ملاذ آمن له ولشقيقه ولحراسه الشخصيين . . لكن الأمم المتحدة رفضت تلبية طلبه !! . . (السبب طبعًا أن نجيب الله كان رجل الاتحاد السوفييتى فى

أفغانستان ، بينما الأمم المتحدة فى ١٩٩٦ كانت تحت السيطرة الكاملة للولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القوة العظمى الوحيدة فى العالم . . وكان الاتحاد السوفيتى قد انهار . . لذلك قرر الأمريكيون عدم الاستجابة لإستغاثة الرجل) . .!

- يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٩٦ .. دخلت قوات طالبان العاصمة كابول وسيطرت عليها . . كان الرئيس برهان الدين ربانى فى اليوم السابق قد فر من كابول إلى ولايات الشمال الأفغانى حيث توجد قومية الطاجيك التى ينتمى اليها . . كما خرج د .نجيب الله ومن معه من مكتب الأمم المتحدة فى كابول ولجأوا إلى السفارة الهندية . . فاقتحمت قوات طالبان السفارة الهندية فى كابول ، وأخرجت نجيب الله وشقيقه وأعدمتهما شنقًا . . وعلقت جثتيهما ثلاثة أيام على أعمدة الإنارة فى ميدان "إريانا" بوسط كابول . . وقد ذكرت بعض المصادر أن نجيب الله تلقى عدة رصاصات بعد شنقه للتأكد من موته . . أما الحراس الشخصيين فتم إعدامهم فى اليوم التالى . .
- أقامت طالبان إمارة إسلامية على حوالى ٨٠٪ من أراضى أفغانستان التى كانت تحت سيطرتها . . واعترفت بها كحكومة شرعية ثلاث دول فقط ، هى باكستان والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة . . أما بقية دول العالم فلم تعترف بحكومة طالبان ، وظلت تعترف بالرئيس برهان الدين ربانى كرئيس شرعى لأفغانستان . .
- عقب أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ .. قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتشكيل تحالف دولى ، وغزو أفغانستان يوم ٧ أكتوبر ٢٠٠١ . . وبعد هزيمة طالبان ، تم تسليم السلطة إلى حامد كرزاى يوم ٢٢ ديسمبر عام ٢٠٠١ . . !

الفصـــل العاشــر

مذكرات رئيس المخابرات السوفييتية فى أفغانســـتان ..

" أمـا الطـريـقـة التــى قـتـل بـهـا تـراقـى.. فقـد بدأت بحقنه بعـقـار مـهـدئ.. ثـم دخل علـيـه ثلاثـة أشـخـاص لـتـنـفـيـذ الحـكـم.. فـــهـــم تراقـى كـل شـئ.. فــأعـطـاهـم ســاعــة يده وبـعـض متعلقاته الشخصية لتسليمها إلى عائلته.. بعد ذلك وضعوه على السرير. وقام اثنان منهم بالجلوس فوق ساقيه بينما خنقه الثالث بالوسادة . .!! "

(١)

■ هذا واحد من أهم الكتب التى صدرت عن أفغانستان . . إنه يحكى قصة تدخل الجيش السوفييتى فى هذه الدولة عام ١٩٧٩ . . التى كانت أول مرة يتدخل فيها السوفييت عسكريا بشكل مباشر وعلى نطاق واسع فى دولة غير شيوعية ، تقع خارج نطاق نفوذهم التقليدى الذى كان يتمركز فى أوروبا الشرقية . . !

أهمية الكتاب لا تعود فقط إلى أنه يرصد بدقة بالغة الأسباب التى دفعت السوفييت إلى اتخاذ هذا القرار . . بل تعود أيضا الى شخصية مؤلف الكتاب . . وهو الجنرال ليونيد بافلوفيتش بجدانوف رئيس فرع جهاز المخابرات السوفييتية "كى . جى . بى " بأفغانستان فى الفترة من عام ١٩٧٨ إلى عام ١٩٨٠ ، وهى الفترة التى شهدت دخول القوات السوفييتية إلى هذا البلد . .

لم يكن الرجل ينوى الإدلاء بشهادته للتاريخ التى سجلها فى هذا الكتاب . . ربما لأن أحدا لن يصدق حقيقة ما حدث . . أو أن البعض سيعتقد أنها قصة بوليسية . . كما يقول فى مقدمة الكتاب . .!

لكن لفت نظره أن بعض الكتب التى تناولت هذا الموضوع ، قد عرضت الأحداث بطريقة مشوهة ومنقوصة . . لذلك قرر أن يدلى

بشهادته . . يقول : "خاصة أن القدر جعلنى متداخلاً فى دوامة تلك الأحداث ، كما أننى شاركت مباشرة فى صنع بعضها" . . !

اسم الكتاب : (الكراسة الأفغانية) قام بترجمته إلى اللغة العربية : د . على فهمى عبد السلام . . وراجعه : أوليج إيفانوفيتش فومين ، وصدر فى مصر عام ٢٠٠٨ ضمن مشروع المركز القومى للترجمة التابع لوزارة الثقافة ، الذى يهدف الى ترجمة أهم الكتب العالمية ، وتقديمها الى القارئ العربى . .

* * *

يبدأ المؤلف شهادته للتاريخ بالإشارة الى أن الذى اختاره للقيام بهذه المهمة هو رئيس الإتحاد السوفييتى السابق يورى أندروبوف ، الذى كان فى ذلك الوقت (١٩٧٨) رئيسًا لجهاز المخابرات السوفييتية . . وذلك لأن الجنرال بجدانوف كان من أبرز رجال المخابرات السوفييتية . . المتخصصين فى منطقة جنوب وجنوب شرق آسيا ، وسبق له أن قام بمهام كبيرة فى كل من الهند وإندونيسيا وإيران . .

يورى أندروبوف

أما الوضع فى أفغانستان ذلك الوقت ، فقد كانت البلاد تعيش فى أعقاب إنقلاب ٢٧ أبريل ١٩٧٨ ، الذى قام به نور محمد تراقى زعيم حزب الشعب الشيوعى الديمقراطى مطيحا برئيس الجمهورية محمد داود . . فتوثقت العلاقات بدرجة كبيرة بين موسكو وكابول ، وتم فى ديسمبر من نفس العام توقيع معاهدة الصداقة السوفييتية - الأفغانية الثانية ، التى وقعها كل من بريجنيف وتراقى ، وبموجبها دخل الجيش

السوفييتي أفغانستان في نفس الشهر من العام التالي . . لكن بعد خروج تراقي من السلطة ، وقتله على يد خليفته حفيظ الله أمين . .

يقول الجنرال بجدانوف إنه عاد من إيران في يناير ١٩٧٧ بعد مهمة صعبة وطويلة نسبيا ، وعاش في موسكو حياة هادئة كمستشار برئاسة جهاز المخابرات السوفييتية "كي . جي . بي" . . حتى وصلت برقية من السفير السوفييتي في أفغانستان بوزانوف في يوليو ١٩٧٨ ، تقول إن الرئيس الأفغاني نور تراقي يطلب من موسكو إرسال مستشارين من ال "كي . جي . بي" لمساعدته في تأسيس هيئات لأمن الدولة في أفغانستان . . ورغم أن الظروف العائلية لبجدانوف لم تكن تسمح له بالسفر - حيث كانت زوجته مريضة - إلا أن يوري أندربوف أصر على أن يكون ضمن الوفد المسافر للقيام بهذه المهمة ، ليكون بعد ذلك رئيس فرع جهاز المخابرات السوفيتية "كي . جي . بي" في أفغانستان ، الذي تم تأسيسه بناء على طلب الرئيس الأفغاني نور تراقي . .

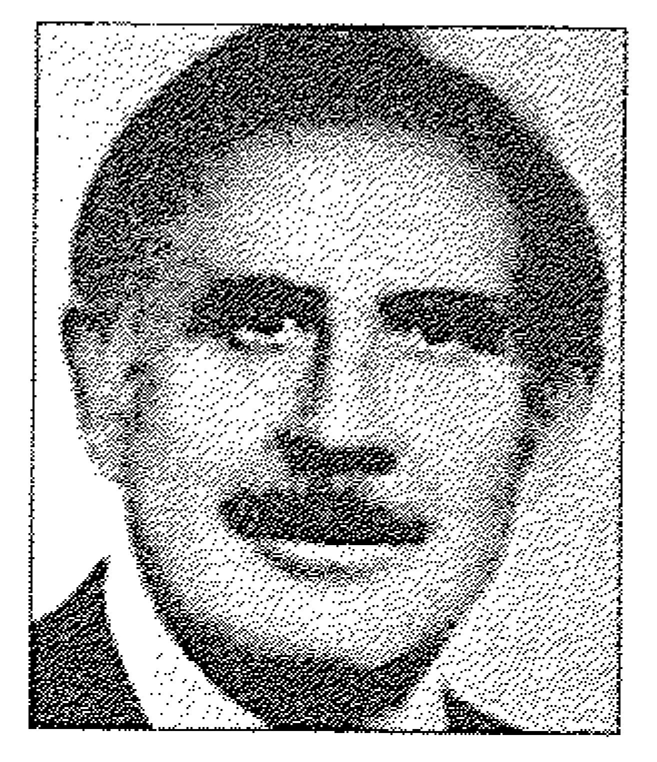
يوم ٢ أغسطس ١٩٧٨ ، غادر بجدانوف إلى كابول على متن طائرة خاصة ، يرافقه خمسة من كبار جنرالات الـ "كي . جي . بي" ، ومعهم مجموعة من الهدايا إلى القادة الأفغان . . كانت عبارة عن : بندقية صيد سوفييتية مصنوعة يدويًا من نسخة واحدة ومعها بطاقة تعارف من الزعيم السوفييتي ليونيد بريجنيف إلى الرئيس الأفغاني نور تراقي . . وبندقية صيد ومسدس من طراز "ماكاروف" إلى حفيظ الله أمين نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية . . وبندقية صيد أيضًا ومسدس من طراز "ستيتشكينا" إلى وزير الدفاع أ . قدير .. وبندقية صيد ومسدس من طراز "ستيتشكينا" أيضًا إلى رئيس جهاز الأمن القومي أسد الله سارفاري . . بالإضافة إلى كمية من المواد الغذائية



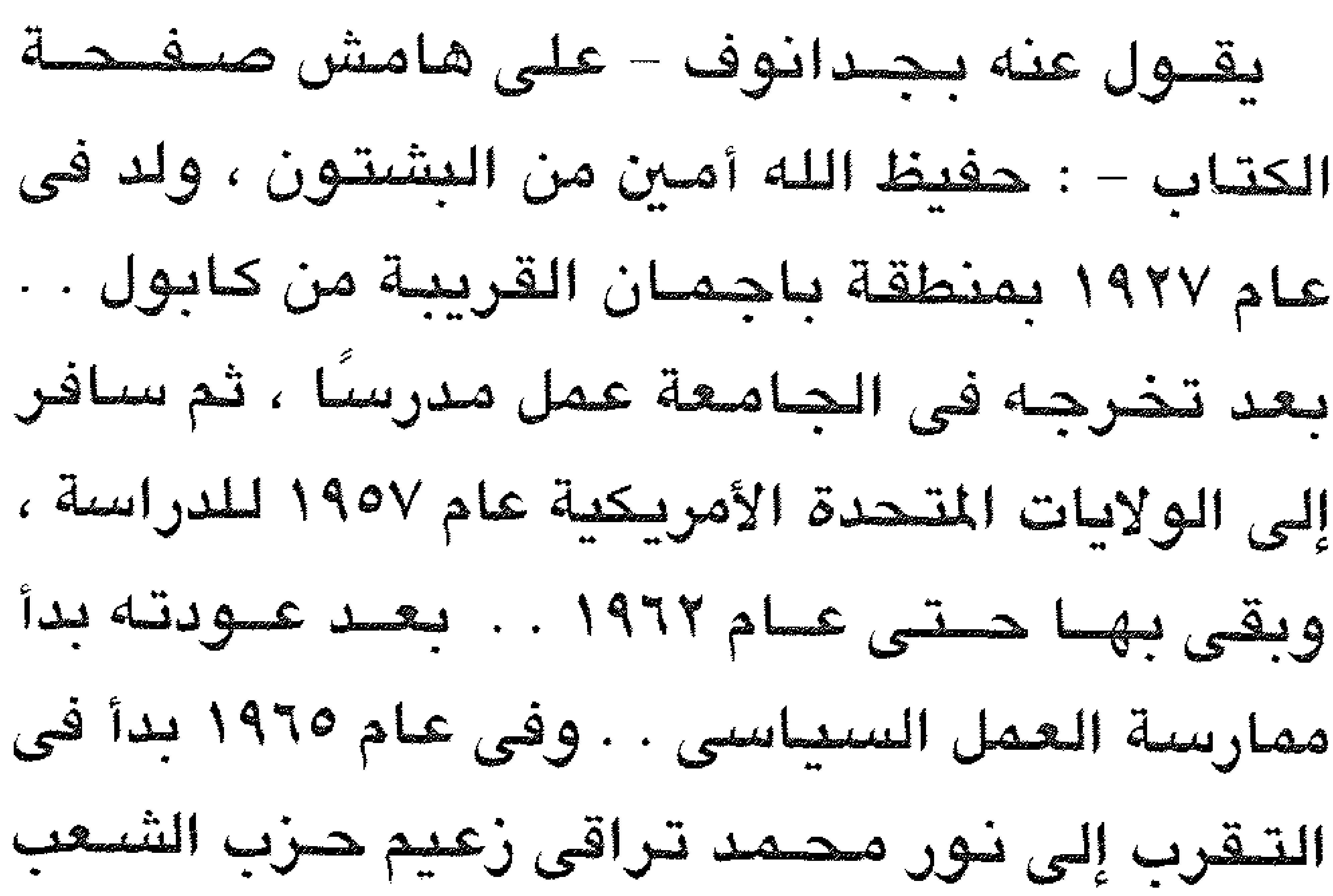
بريجنيف

مـعـبـأة فى صناديـق منفـصلة لإهدائهـا الى نـفس الشخصيات : فودكا ، وكونياك ، وشمبانيا ، وجبن ، وسجق ، ومختلف أنواع المعلبات . . !

مسـاء نفس اليـوم التـقى بجدانوف ورفـاقـه من الجنرالات السـوفـييت مع حـفيظ الله أمين بصـفـتـه المشـرف على هيئـة الأمن القـومى الأفـغـانـى . . لعل شخصية هذا الرجل تلخص لنا الوضع السياسى فى أفغانستان قبل التدخل السوفييتى . .



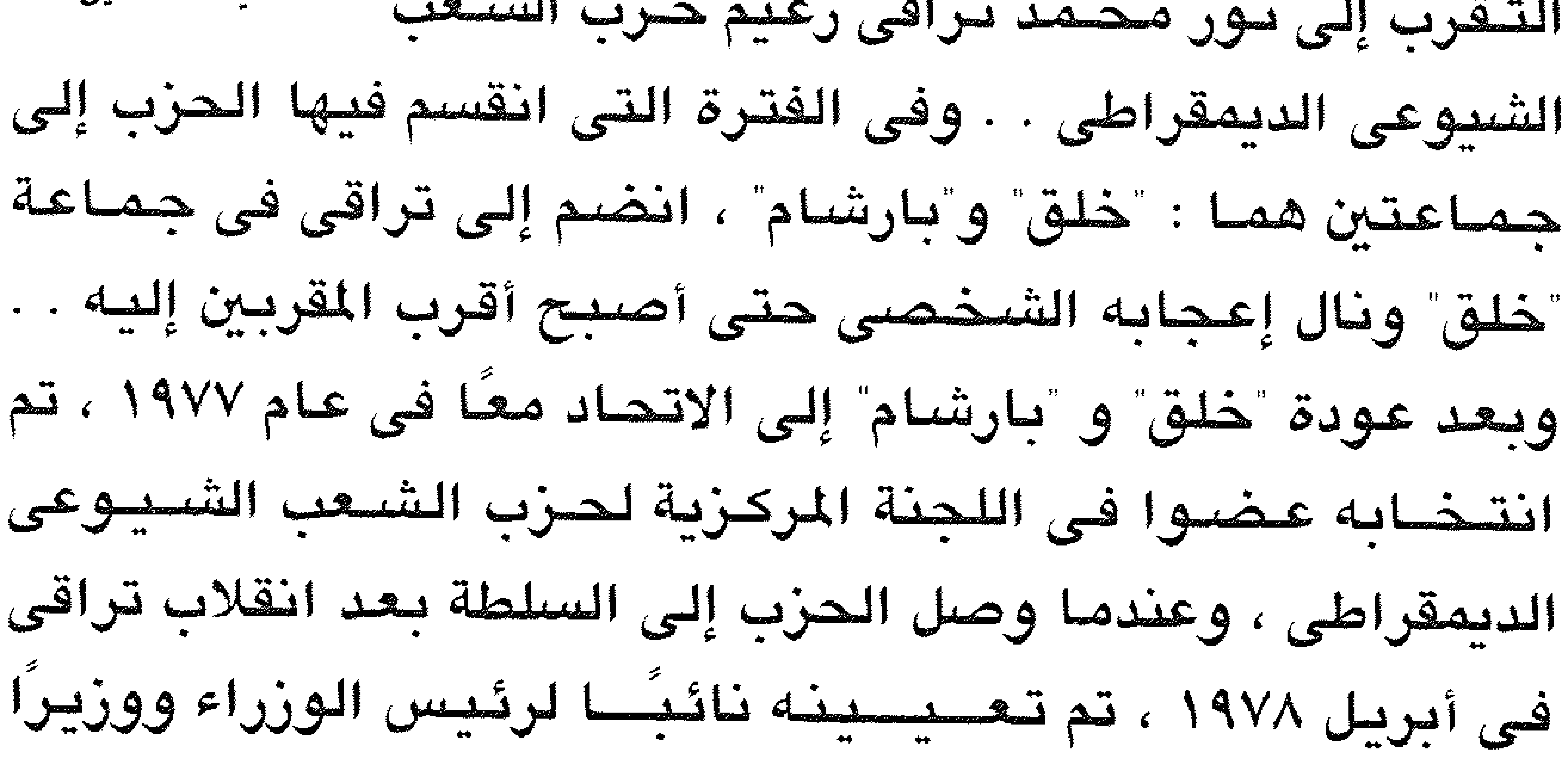
نور تراقى



يقـول عنه بجـدانوف - على هامش صـفـحـة الكتاب - : حفيظ الله أمين من البشتون ، ولد فى عام ١٩٢٧ بمنطقة باجمـان القريبة من كابول . . بعد تخرجه فى الجامعة عمل مدرسًا ، ثم سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٧ للدراسة ، وبقى بهـا حـتـى عـام ١٩٦٢ . . بعـد عـودته بدأ ممارسة العمل السياسى . . وفى عام ١٩٦٥ بدأ فى التقرب إلى نور محـمد تراقى زعيم حـزب الشـعب



حفيظ الله أمين



الشيوعى الديمقراطى . . وفى الفترة التى انقسم فيها الحزب إلى جمـاعـتين همـا : "خلق" و"بارشام" ، انضم إلى تراقى فى جمـاعـة "خلق" ونال إعجابه الشخصى حتى أصبح أقرب المقربين إليه . . وبعد عودة "خلق" و "بارشام" إلى الاتحاد معًا فى عام ١٩٧٧ ، تم انتخابه عضوا فى اللجنة المركزية لحزب الشعب الشيوعى الديمقراطى ، وعندما وصل الحزب إلى السلطة بعد انقلاب تراقى فى أبريل ١٩٧٨ ، تم تعـيـيـنه نائبًـا لرئيس الوزراء ووزيرًا

للخارجية ، وفى سبتمبر ١٩٧٨ تم تعيينه وزيرًا للدفاع ثم رئيسًا للوزراء ، وفى سبتمبر ١٩٧٩ انقلب على تراقى وقتله واستولى على الحكم فى أفغانستان . . !

* * *

نعود مرة أخرى إلى سياق الأحداث منذ وصول بجدانوف إلى أفغانستان ، كما يرويها لنا فى كتابه :

- يوم ٤ أغسطس ١٩٧٨ ، استقبل الرئيس الأفغانى نور تراقى الجنرال بجدانوف ورفاقه . . فقدموا إليه هدية بريجينيف . . وأبلغوه بأن الجانب السوفييتى على استعداد للتوقيع فى اليوم التالى على مشروع الإتفاقية السرية لتأسيس فرع لجهاز المخابرات السوفييتية فى أفغانستان بناء على طلبه ، إذا لم يكن لديه اعتراضات على المشروع . . وقد سره جدا أن بجدانوف سبق له العمل فى إيران . .

فى اليوم التالى تم التوقيع على الاتفاقية . . وبدأ بجدانوف العمل كرئيس لفرع المخابرات السوفييتية فى أفغانستان ، على رأس فريق يضم ١٩ فردًا . .

يقول بجدانوف فى مذكراته : كان أمامى هدفان :

- الأول : مساعدة الجانب الأفغانى على إنشاء جهاز أمنى تابع لجمهورية أفغانستان الديمقراطية وتنظيم عمله . .
- الثانى : تأسيس أول فرع للمخابرات السوفييتية فى أفغانستان ، وتحديد هياكله المختلفة ، ووضع خطة عمل له . .

- يشير الى أنه بدأ العمل على تحقيق هذين الهدفين وسط ظروف داخلية بالغة الصعوبة . .

ثم يتحدث عن وضع المستشارين السوفييت فى أفغانستان ذلك الوقت . . يقول : بدأ المستشارون السوفييت فى مختلف المجالات يطيرون كالغربان الى أفغانستان . . ظهروا فى الطرقات وفى المكاتب . . فى كل الهيئات والوزارات الأفغانية بما فيها وزارة الخارجية . . جاءوا من مختلف أنحاء الإتحاد السوفييتى : من موسكو ولينينجراد وروسيا البيضاء وأوكرانيا وسيبيريا ومن جمهوريات آسيا الوسطى . . وكانوا من ذوى المراكز المهمة : نواب وزراء ووزراء . . وقد اندفعوا جميعا لبناء "الإشتراكية" فى أفغانستان على طريقتهم ، معتمدين على خبرة أقاليمهم دون مراعاة لخصوصية الشعب الأفغانى . . وعندما أقبل خريف ١٩٧٨ كان عدد المستشارين والخبراء السوفييت فى أفغانستان قد وصل إلى أكثر من ٥ آلاف شخص . .

يؤكد بجدانوف أن كل هؤلاء حضروا بناء على طلب القيادة الأفغانية نفسها ، وأن نور تراقى وحفيظ الله أمين كانا يتبعان سياسة "فليبن لنا الرفاق السوفييت الإشتراكية" . . كما يذكر أن حفيظ الله قال له مرتين على الأقل فى لقاءاتهما : "إنه تم بناء الإشتراكية فى الإتحاد السوفييتى فى ٦٠ عامًا ، أما الأفغان فعليهم أن يقطعوا هذا الطريق فى ٦ سنوات" . . !

يقول بجدانوف : لقد استغرق الرفاق السوفييت فى العمل بحماس لبناء الإشتراكية فى أفغانستان . . كان أغلبهم لم يسبق له السفر خارج حدود الإتحاد السوفييتى . . وكانوا غير مدركين أبدًا أنهم موجودون على أرض دولة أخرى ، وأن هذه الدولة توجد بها بعثات دبلوماسية لدول أخرى . . ولم يخطر ببالهم قط أن أجهزة مخابراتية لعدد كبير من الدول تعمل بنشاط على أرض أفغانستان . .!

يشير إلى أنه كان على علم بالإتفاقية السرية التى وقعها الجنرال محمد داود خان (رئيس أفغانستان من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٨) مع المخابرات الهندية ، التى بموجبها قامت الهند بإنشاء محطات للتنصت فى كل من مدينتى "قندهار" و"جلال آباد" على خطوط الإتصال السلكية واللاسلكية الباكستانية . .

لكنه يؤكد أن المخابرات الباكستانية كانت هى الأكثر نشاطًا على الأراضى الأفغانية . . حيث كان لها مقر كبير فى العاصمة "كابول" ، وشبكة واسعة من العملاء المنتشرين فى كل الوزارات والمصالح الأفغانية بما فى ذلك المواقع التى يعمل بها المستشارون السوفييت . . وكانت المعلومات التى يحصلون عليها تصب بالطبع عند المخابرات المركزية الأمريكية بموجب إتفاقية سرية موقعة بين الولايات المتحدة وباكستان . .
كذلك كانت إيران تتابع بدقة مايجرى فى أفغانستان من خلال شبكة عملاء بالتنسيق مع المخابرات الباكستانية . . وكان شاه إيران رضا بهلوى يقلقه دائما الوجود السوفييتى فى هذا البلد ، لإعتقاده أن السوفييت يمكن أن يقوموا بعمليات من أفغانستان للإستيلاء على باكستان . . هذا الإعتقاد كان يستند الى افتراض أمريكى بأن السوفييت يسعون للوصول الى "البحار الدافئة" . . وهو افتراض يؤكد بجدانوف أنه لم يكن موجودًا أبدًا فى الخطط السوفييتية . .

* * *

بطبيعة الحال كانت مهمة بجدانوف تتطلب منه أن يكون وثيق الصلة مع رئيس هيئة الأمن القومى الأفغانى أسد الله سارفارى . . وهو طيار عسكرى برتبة "رائد" . . يصفه بجدانوف بأنه فارع الطول ، ضخم البنية ، لا يقل وزنه عن ١٢٠ كيلو جرامًا ، كان متزوجًا وعنده

طفلان ، وكان يفضل أن يرتدى خفا وبنطلونا وقميصا بدون كرافتة وبلوفر . . كان يتميز بشجاعة غير عادية . . درس الطيران فى أكاديمية الطيران السوفييتية بمدينة "فرونزى" . . فأصبح يجيد الطيران على أنواع مختلفة من الطائرات والمروحيات ، كما كان يجيد اللغة الروسية . . وقد جذبه حفيظ الله للعمل السرى ، ثم بعد ذلك إلى حزب الشعب الشيوعى الديمقراطى . . ويوم الإنقلاب العسكرى الذى قاده نور تراقى على محمد داود ، ارتفع سارفارى بطائرته فى الجو ثم قصف قصر داود . .

ويروى بجدانوف فى كتابه قصتين عن سارفارى ، يقول إنهما بقيا فى ذاكرته دائمًا . .

القصة الأولى حدثت فى عهد الملك محمد ظاهر شاه . . حيث تم تنظيم مناورة جوية فى قاعدة بجرام الجوية القريبة من العاصمة كابول ، وحضرها قائد سلاح الطيران فى الجيش السوفييتى . . فقاد أسد الله سارفارى طائرة مقاتلة فى الظلام بدون خريطة ، وبأجهزة ملاحية مطفأة ، وأنوار مطفأة على ممرات الطيران والهبوط . . فصعد بها ووصل الى المنطقة المحددة ، ونفذ المهام التى كلف بها ، ثم عاد بالطائرة وهبط بها فى نفس المطار . . فقال عنه قائد الطيران السوفييتى إنه بسبب هذا العمل فقط يستحق أن يمنح لقب "بطل الإتحاد السوفييتى" . . !

أما القصة الثانية . . فطبقا لرواية سارفارى : أن نور تراقى حاول أكثر من مرة الإنقلاب على محمد داود . . فوضع سارفارى خطة محكمة لتنفيذ هذا الإنقلاب ، تقوم على أساس أن سارفارى سيذهب فى يوم معين الى مكتب داود . . ويجلس على مقعد بالقرب من المكتب الذى يجلس عليه داود . . ثم يتصنع بعد ذلك أنه يبحث عن شئ ما سقط منه

على الأرض . . بذلك سوف يجعل داود ينحنى وينظر إلى الأرض . . عندئذ سوف ينقض عليه ويضربه بقبضته الضخمة ضربة قوية على رأسه ، ثم يخفى جسده فى دورة المياه الملحقة بالمكتب . . بعد ذلك يقوم سارفارى بالضغط على جرس للنداء على سكرتير داود . . ثم يقف بسرعة بجانب الباب ممسكًا مسدسه فى يده . . وعندما يدخل السكرتير يطلب منه تحت تهديد السلاح استدعاء كل من وزير الدفاع ووزير الداخلية ورئيس هيئة الأمن القومى بالترتيب . . وعند دخولهم المكتب واحد بعد الأخر ، يقوم سارفارى بالتعامل معهم بنفس الطريقة التى تعامل بها مع داود . . بعد ذلك يطلب من السكرتير إعداد قرارات باسم داود بتعيين أشخاص آخرين فى هذه المناصب الهامة ، يكون قد تم الإتفاق عليها مسبقا بين سارفارى وتراقى وحفيظ الله . . وتعلن هذه القرارات من خلال الإذاعة والصحف . . بذلك تنتقل السلطة الى تراقى . . وتنجح الثورة . . !

يقول بجدانوف إن هاتين القصتين تكشفان بعض السمات الشخصية لأسد الله سارفارى . . من حيث شجاعته ، وحبه للمغامرة . . وأيضًا سذاجته . . !

* * *

أما هيئة الأمن القومى الأفغانى . . فيقول عنها بجدانوف : كانت كل مهامها تنفيذ الأوامر الصادرة اليها من تراقى وحفيظ الله . . ومسئوليتها الأساسية هى القضاء على أى معارضة للنظام ، بما فى ذلك المعارضة داخل الحزب الحاكم نفسه . . كانت تلقى القبض على الناس ، وتقوم بالتحقيق معهم ، وتصدر عليهم الأحكام ، وتنفذها بنفسها . . !

ويروى بجدانوف أنه منذ أول زيارة قام بها الى مقر الهيئة ، لاحظ وجود أجهزة هاتف ميدانية عسكرية تحت المكاتب ، بما فى ذلك مكتب

رئيس الهيئة نفسه ، ثم تبين له بعد ذلك أن هذه الأجهزة تستخدم فى تعذيب المقبوض عليهم بالتيار الكهربائى منخفض التردد . .!

يقول أيضًا إنه عندما كان يذهب فى الصباح الى سارفارى . . كثيرًا ما كان يراه هو ومساعده "يوسف" فى حالة إرهاق . . أشعثى الرأس . . ملابسهما وأحذيتهما ملطخة . . وأحيانًا كان يرى قوائم على المكتب مكتوبة بلغة البوشتو ، وأمام الأسماء علامات (صح) و(صلبان) . . ثم اتضح له تدريجيا أن حالة الإرهاق هذه كانت بسبب عمليات الإعدام رميًا بالرصاص التى كانا يقومان بها أثناء الليل بأوامر شخصية من حفيظ الله أمين . . كانت تصفية الناس تحمل اسمًا حركيًا هو : "إرسال إلى باكستان" . . !!

* * *

ثم يتوقف بنا بجدانوف عند حادثة صغيرة يصفها بأنها تكشف كيف كانت أخلاق القيادات الأفغانية فى ذلك الوقت . . يقول إنه ذهب ذات مرة فى رحلة لصيد السمك مع السفير وبعض رفاقة من أعضاء السفارة السوفييتية فى كابول ، وترك ملابسه وساعة يده على المقعد الخلفى بالسيارة . . وضع الساعة أسفل ملابسه ، لكن كان جزءًا من أسورة الساعة ظاهرًا . . كما أنه لم يغلق باب السيارة بالمفتاح . . بعد ذلك حضرت سيارة "جيب" بها ثلاثة من العسكريين ومجموعة من الشباب الأفغانى لحراستهم وتوفير الأمن لهم . . وعند عودته الى السيارة اكتشف اختفاء ساعة يده . . فتعكر مزاجه . . لأنها كانت ساعة ثمينة ماركة "زودياك" . .

فى اليوم التالى ذهب بجدانوف إلى أسد الله سارفارى لبحث الترتيبات الخاصة باستقبال ب . ن . بونوماريوف رئيس القسم الدولى باللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى ، الذى تقرر أن يقوم بزيارة إلى أفغانستان . . وتطرق الحديث بينهما الى رحلة الصيد ، فشكره بجدانوف على اهتمامه بإرسال حراسة أمنية لهم ، وألمح له الى ضياع ساعة يده . .

يذكر بجدانوف إنه عرج بعد لقاء سارفارى إلى لقاء رئيس الحرس الشعبى "يعقوب" . . ففوجئ به يقول له : لقد ضاعت ساعة يدك ! . . ولقد أمر سارفارى بأنه إذا لم يتم العثور على الساعة قبل الصباح ، فسوف يتم إطلاق النار على جميع أفراد كتيبة الدفاع الجوى التى تتكون من ١٢٠ فردًا . . !

يقول بجدانوف : لم يكن عندى شك فى أن الساعة قد سرقت من سيارتى . . لكننى حاولت بحرارة إقناع يعقوب بعكس ذلك ، وأننى قد فقدتها فى مكان ما . . ثم خرجت مسرعا من عند يعقوب الى سارفارى وطلبت منه بإلحاح عدم إتخاذ أى إجراء فى هذا الموضوع . . ! !

يستطرد بجدانوف ويروى حادثة أخرى وقعت فى صيف عام ١٩٧٩ . حيث تم القضاء على تمرد فى فرقة مشاة ، بأن حضر يعقوب إلى مقر الفرقة وطلب من أفرادها الوقوف صفًا واحدًا ، ثم قام بنفسه بإطلاق النار عليهم فردًا فردًا . . كان عددهم حوالى ١٥٠ جنديًا . . وكان الضابط المساعد ليعقوب يناوله خزائن محشوة بالرصاص لمدفع رشاش من طراز كلاشينكوف . . !!

* * *

من الأحداث المهمة التى كتب عنها الجنرال ليونيد بجدانوف فى مذكراته أيضًا . . قصة إلقاء القبض على صبغة الله مجددى ، الذى تولى بعد ذلك رئاسة أفغانستان لمدة شهرين فى عام ١٩٩٢ . .

يقول بجدانوف إن مجددى زعيم دينى كبير كان يعيش فى كابول ، ويمتلك أرضًا واسعة بها مسجد ومدرسة تتسع لحوالى ٢٠٠ تلميذ . . كان يقصده دائمًا كثير من الناس . . كما كان له شقيق يعيش فى المملكة العربية السعودية . .

وذات يوم كان بجدانوف يزور أسد الله سارفارى فى مكتبه بهيئة الأمن القومى . . فقال له سارفارى : "نحن نراقب هذه الأرض التى خلف منزل مجددى ، وقد ظهرت لدينا الكثير من الشكوك عندما لاحظنا أنه تأتى اليه كل يوم حوالى ٦٠ سيارة ، محملة بإناس من جميع أنحاء الدولة . . نحن لانعرف عما يتحدثون . . لكن من الواضح أنهم يعارضون النظام القائم ، لذلك يجب أن نقبض على هذا المجددى" . . فنصحه بجدانوف بعدم الإقدام على هذه الخطوة ، وأن تعمل السلطة الجديدة فى أفغانستان على جذب أكبر عدد ممكن من الشخصيات الدينية وليس القبض عليهم . . كما لفت نظره الى أن القبض على مجددى سيؤدى إلى تأزم الموقف فى كابول وكل أقاليم أفغانستان ، ويمكن أن يؤدى الى فضيحة عالمية لأن اسم مجددى معروف على مستوى العالم الإسلامى ، خاصة فى المملكة العربية السعودية . .

يقول بجدانوف : مر على ذلك بعض الوقت ، قد يكون أسبوعان ، وكالعادة عندما ذهبت الى سارفارى فى حوالى

الساعة العاشرة صباحًا ، وجدته هائجًا وأشعث الرأس . . وفوجئت به يقول لى : إنه تم تنفيذ عملية القبض على مجددى وأسرته فى الصباح . . فى تلك اللحظة دخل علينا عزيز أكبرى رئيس قسم مكافحة التجسس ، فلاحظت أن أصبعًا فى يده اليمنى مضمًدا . . ثم عرفت أن العملية تم تنفيذها بأن قام مجموعة من الجنود بمحاصرة أرض مجددى ، بينما قامت مجموعة أخرى بقيادة عزيز أكبرى بتسلق السور لدخول البيت . . فقابلهم فجأة أحد الخدم وحاول أن يصرخ بصوت عال ، فلم يقتلوه وإنما أجبروه على الصمت ، ثم تسللوا إلى البيت . . كانت الأسرة كلها جالسة فى حجرة كبيرة تشاهد التليفزيون . . وعندما حاول الجنود القبض على مجددى ، تصدى لهم أفراد الأسرة بقوة . . وتناولت إحدى السيدات سكينًا وبترت به طرف أصبع عزيز أكبرى وهو ممسك بمجددى . . لكن الجنود تمكنوا من سحب مجددى وأخرجوه من الحجرة ودفعوا به إلى داخل سيارة . . فأخذ أفراد أسرته يقذفونهم بالحجارة وبأشياء أخرى . . فى تلك الأثناء حضر سارفارى ونائبه الأول يوسف إلى المكان ، فأمروا بإلقاء القبض على عائلة مجددى . . حوالى ١٨ شخصًا . . وبعد يومين أخذوا العائلة إلى خارج المدينة وأعدموهم جميعًا رميًا بالرصاص . . !

نشر المؤلف أجزاء من هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٨/ ٦/ ٢٠١١

(٢)

■ يعتبر كثير من الكتاب والمؤرخين أن مسئولية اتخاذ الإتحاد السوفييتي قراره بالتدخل العسكرى فى أفغانستان تقع على عاتق الجنرال ليونيد بافلوفيتش بجدانوف ، رئيس فرع جهاز المخابرات السوفييتية "كى . جى . بى" فى أفغانستان ذلك الوقت . .

يقولون إن هذا الرجل كان هو "العين" التى ترى بها موسكو الأوضاع فى أفغانستان . . و"الأذن" التى تسمع بها ما يدور هناك . . وكانت التقارير التى يرسلها الى الكرملين هى "الأساس" الذى يبنى عليه القادة السوفييت قراراتهم . . !

لكن الرجل ينفى عن نفسه تمامًا مسئولية اتخاذ هذا القرار . . يقول فى كتابه (الكراسة الأفغانية) : أريد أن أنفى الشائعات وتأكيدات البعض من أن ممثلية جهاز المخابرات السوفييتية (كى . جى . بى) فى أفغانستان ، قد اشتركت فى أية مفاوضات أو أية أمور تتعلق بإدخال الجيش السوفييتى إلى أرض أفغانستان . . يجب أن أقول أن أيا من الرئيس الأفغانى نور محمد تراقى ، أو نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية حفيظ الله أمين لم يتوجها لى أبدًا ، ولا لأى أحد من العاملين معى فى الممثلية بطلب إدخال الجيش السوفييتى . . كما إننى لم أحضر أى لقاء أو مناقشة تم

فيها بحث موضوع دخول الجيش السوفييتى إلى الأراضى الأفغانية . . لم يكن للممثلية أية علاقة بهذا الموضوع . . أما ما يخص أحداث ١٤ مارس ١٩٧٩ التى وقعت فى هرات ، فأنا مقتنع تماما بأنها كانت إشارة واضحة إلى أن حربًا أهلية قد بدأت فى أفغانستان . . لذلك فقد أخطأ تمامًا المؤرخون وممثلو الصحافة وبعض خبراء الشئون العسكرية ، الذين يؤكدون أن الحرب الأهلية فى أفغانستان قد بدأت بعد دخول الجيش السوفييتى إلى أراضيها . . لقد ظهرت الحرب الأهلية بوضوح فى أفغانستان فى مارس ١٩٧٩ ، بينما الجيش السوفييتى وصل إلى هناك فى نهاية ديسمبر من نفس العام . . أى بعد ٩ شهور . . يجب أخذ ذلك فى الإعتبار .

ويكشف الجنرال ليونيد بجدانوف فى كتابه (الكراسة الأفغانية) الذى يسجل فيه مذكراته عن الفترة التى قضاها فى أفغانستان كرئيس لممثلية جهاز المخابرات السوفييتية هناك من ١٩٧٨ إلى ١٩٨٠ ، عن أن فكرة دخول الجيش السوفييتى إلى أفغانستان قد بدأت تظهر عقب أحداث مدينة هرات التى وقعت يوم ١٤ مارس ١٩٧٩ .. يقول: "اجتهدت قيادة أفغانستان فى أيام ١٤ و ١٥ و ١٦ مارس لإحتواء النتائج السلبية لأحداث هرات . . فى ذلك الوقت حدثت لقاءات بين تراقى وحفيظ الله أمين مع السفير السوفييتى فى كابول وكبير المستشارين العسكريين فى السفارة ، وتمت أحاديث مع موسكو عن إمكانية دخول الجيش السوفييتى إلى الأراضى الأفغانية".

* * *

أما ما جرى فى هرات يوم ١٤ مارس ١٩٧٩ ، فيصفه بجدانوف بأنه "كان نقطة تحول أدت الى كل الأحداث التى وقعت بعد ذلك فى أفغانستان" . . !

وهو يمهد للحديث عن وقائع هذا اليوم بالإشارة إلى أن الأشهر الأخيرة من عام ١٩٧٨ كانت هادئة نسبيًا فى أفغانستان . . كانت توجد عصابات لكنها كانت فى الأساس عصابات مجرمين . . كانت تحدث عمليات نهب فى الطرق . . وكانت توقف السيارات . . وكان يقتل بعض الناس . . ثم بدأ الوضع يتوتر بسبب الإصلاحات التى استحدثها تراقى بعد الثورة ، والتى كانت لها نتائج سلبية فى المجتمع ، مثل قرارات الإصلاح الزراعى التى لم تتسبب فقط فى إغضاب الإقطاعيين الذين سلبت منهم أراضيهم ، بل أغضبت أيضا الفلاحين الذين وزعت عليهم هذه الأراضى ، لأنهم طبقا للعقيدة الإسلامية يؤمنون بأنهم لا يحق لهم الحصول على ما يملكه الآخرون . . فضلاً عن أن الإقطاعيين الذين نزعت منهم أراضيهم سافروا الى الخارج . . وقاموا بتشكيل عصابات مسلحة لمهاجمة المناطق الريفية التى تقع بها أراضيهم ، وبعض المؤسسات الحكومية .

كان هناك سبب آخر للسخط الاجتماعى على الحكومة الأفغانية . . هو تحريم ارتداء النقاب ، والسماح للنساء بالمشاركة فى الحياة الإجتماعية . . يروى بجدانوف أنه التقى مع الرئيس نور تراقى يوم ٥ أغسطس عام ١٩٧٨ ، فقال له تراقى "سوف ترون . . بعد عام واحد لن يذهب أحد عندنا إلى المساجد" . . !

* * *

غير أن من أهم الأحداث التى وقعت فى أفغانستان قبل ١٤ مارس ١٩٧٩ هو اختطاف السفير الأمريكى هناك "دابس" يوم ٢ فبراير ١٩٧٩ واغتياله على أيدى مجهولين .

يقول بجدانوف إن "دابس" سبق له العمل مستشارًا للسفارة الأمريكية فى موسكو ، لذلك كان يجيد اللغة الروسية . . وعندما وصلت زوجته إلى كابول فى ديسمبر ١٩٧٨ ، قرر السفير السوفييتى "أ .م . بوزانوف" بوصفه عميد السلك الدبلوماسى فى أفغانستان ، إقامة حفل غداء بهذه المناسبة للسفير الأمريكى وزوجته ، حضره عدد من الدبلوماسيين وزوجاتهم . .

فى هذا الحفل سأل بجدانوف المستشار التجارى الأمريكى وهما يتناولان القهوة : ماهى اهتمامات الولايات المتحدة فى أفغانستان ؟ . . فرد عليه المستشار التجارى : "لا توجد" . . فقال له بجدانوف : وفيم تتلخص علاقاتكما التجارية ؟ . . مالذى تشترونه من هنا ؟ . . قال له : نشترى الفول السودانى والرمان والتوابل . . ونبيع لهم السجائر والبضائع المستعملة .

يضيف بجدانوف فى مذكراته : لقد كان الأمريكيون يتظاهرون دائمًا بأن لهم مصالح تجارية فى أفغانستان ، لكننا كنا نعرف أنهم يعتبرون أفغانستان رأس جسر لهم ، لكى تقوم المخابرات الأمريكية بتجنيد المواطنين السوفييت فى جمهوريات آسيا الوسطى ، خاصة الذين كانوا يتعاملون مع المسئولين فى موسكو أو على اتصال بالمراكز العلمية والصناعية فى الإتحاد السوفييتى .

أما قصة اختطاف السفير الأمريكى وقتله . . فبدأت عندما كان السفير وسائقه فى مكان غير بعيد عن المركز الثقافى الأمريكى بكابول . . فأوقف

سيارتهما شخص يرتدى ملابس الشرطة ، وبينما أنزل السائق الزجاج وأخذ يتحدث إليه . . قام شخصان آخران بفتح الباب الخلفى للسيارة وجلسا خلف السفير ، ثم أمرا السائق بالتوجه إلى فندق كابول فى وسط العاصمة ، بعد أن ركب معهم الشخص الذى أوقف السيارة . . عند وصولهم أخذ أحد الإرهابيين الثلاثة مفاتيح الأبواب الخارجية للفندق وأغلقها ، ثم جلس فى البهو . . بينما اصطحب الإثنان الآخران السفير إلى الطابق الثانى وحبساه فى إحدى الغرف ، وبقيا معه فى الغرفة . . كانت طلباتهم تتلخص فى مقابلة الرئيس الأفغانى نور محمد تراقى وتوفير الإمكانيات لهم للتحدث فى الإذاعة . . فى تلك الأثناء حضر إلى الفندق أسد الله سارفارى وبرفقته مجموعة من المسلحين .

كانت خطة إنقاذ السفير الأمريكى تقوم على التحدث اليه من ثقب باب الغرفة بالإنجليزية التى لايفهمها الخاطفان ، وأن يطلب منه التوجه الى دورة المياه ، قبل أن يبدأ سارفارى ورجاله فى اقتحام الغرفة وقتل الخاطفين .

لكن الخاطفين طلبا التوقف عن التحدث بالإنجليزية وإلا سيقتلان السفير . .

المهم أن سارفارى قرر اقتحام الغرفة . . فأمر بإحضار كتلة خشبية كبيرة ووضعها أمام باب الغرفة . . ثم نادى على أحد الخاطفين ، وعندما رأى من ثقب الباب أنه يقترب . . تم إطلاق النار عليه من الرشاشات عبر الباب المغلق فقتل فورا ، كما تم كسر الباب فى نفس اللحظة بالكتلة الخشبية . . كان الخاطف الثانى يجلس بجوار السفير الأمريكى فأطلق النار على رأس السفير فى الحال ، فرد سارفارى ورجاله بإطلاق النار على الخاطف الثانى وقتلوه . . !

كان الأمريكيون يعرفون أن الذين خطفوا السفير ثلاثة أشخاص . . إثنان منهم بقيا معه فى الغرفة وقتلا معه . . فأين الثالث . . ؟ !

لم يضع سارفارى وقتًا فى التفكير . . أمر بإحضار سجين من سجن "بوليشارخا" من المحكوم عليهم بالسجن المؤبد وقتله ، ثم وضع جثته بجانب الجثث الأخرى بالغرفة فى الفندق . .!

يقول الجنرال بجدانوف : "بالطبع بقيت عدة أسئلة غامضة حول هذا الحادث . . من هم هؤلاء الأرهابيون ؟ . . وماذا كانوا يريدون ؟ . . لم نعرف ذلك أبدا" . . !!

يقول أيضًا إن هذا الحادث أثار أزمة بين واشنطن وموسكو . . حيث أرسل الأمريكيون مذكرة رسمية الى السوفييت يشتكون فيها من أن المستشارين السوفييت فى كابول لم ينجحوا فى إطلاق سراح السفير الأمريكى . . !

الإحساس بخيبة الأمل لدى الأمريكيين من آسيا الوسطى زاد . . لأنه فى نفس الشهر أيضًا . . فبراير ١٩٧٩ قامت الثورة الإسلامية فى إيران ، وتحول موظفو السفارة الأمريكية هناك إلى رهائن . .!

* * *

نعود إلى أحداث ١٤ مارس ١٩٧٩ . . ففى صباح هذا اليوم خرجت مظاهرات ضخمة فى مدينة هرات الأفغانية تهتف : "اضرب الكفار . . فلتسقط السلطة الحالية" . . وقبض المتظاهرون على أحد المواطنين السوفييت العاملين بمكتب التمثيل التجارى السوفييتى بالمدينة وقتلوه ، كما ضربوا زوجته بوحشية وكادوا يقتلونها لولا أن أحد الأفغان من معارف زوجها أخفاها عنده . . !

يقول الجنرال بجدانوف فى مذكراته : كانت الجماهير تندفع من القرى القريبة من هرات على الطرق الأربعة الرئيسية المؤدية الى المدينة . . وينقل عن كبير المستشارين العسكريين السوفييت فى أفغانستان جوريلوف قوله : "إنه أمر بفتح النار على المتظاهرين وتم قصفهم بالمدافع ، كما أمر بإقلاع المقاتلات الموجودة فى قاعدة شنداندى القريبة من هرات وتحليقها بسرعة أكبر من سرعة الصوت على إرتفاع منخفض لمحاولة تفريق الكتل البشرية . . لكن حدثت مفاجأة . . فعندما بدأ إطلاق النار على المواطنين العزل المتجهين إلى هرات . . انضمت قيادات من الفرقة العسكرية الأفغانية وجنودها المسلحين بالبنادق إلى المتظاهرين الذين كانوا يهتفون ضد النظام . . أداروا بنادقهم وبدأوا يطلقون الرصاص على زملائهم الآخرين فى الفرقة . . بذلك فقد انتقل جزء من الفرقة الى جانب المتمردين . . وتواصل الضرب بين الجانبين حتى وصل عدد القتلى إلى أكثر من ٣٥٠٠ شخص" . . !

يؤكد بجدانوف فى مذكراته على أن إطلاق النار بدأ أولاً على المواطنين العزل . . يقول : "وللأسف كانت القيادة بيد مستشارينا العسكريين" . . !

يضيف : بعد ذلك . . بدأ ثلاثة من المستشارين السوفييت الإنصراف من المكان فى سيارتين بإتجاه منطقة تسمى "كوشكا" وهى أخر منطقة مسكونة فى أقصى جنوب الإتحاد السوفييتى على الحدود مع أفغانستان . . لكن إحدى السيارتين تأخرت فى السير عند مضيق جبلى ، وكان بها أحد المستشارين الثلاثة ، فعادا زميلاه بسيارتهما للبحث عنه ، فوجداه مقتولا داخل سيارته بوحشية . . فقد تم بقر بطنه وأدخل فيها وتد ، وتم ملء فمه بالرمال ! . . فوضعا جثمانه على مشمع خيمة وحملاه إلى سيارتهما وواصلا السير إلى "كوشكا" . .

* * *

ويروى بجدانوف أنه فى تلك الأيام التقى مع أسد الله سارفارى رئيس هيئة الأمن القومى فى أفغانستان ، فأخبره بأن الفرقة العسكرية الأفغانية التى كانت تقاتل فى هرات لم يعد لها وجود ! . . وأنه يمكن أن يبدأ رد فعل تسلسلى فى الجيش . . وإذا تطورت الأحداث ، فهو ومن معه سيذهبون إلى الجبال ويحاربون من هناك . . فقال له بجدانوف : أنتم ستذهبون الى الجبال ، ولكن الى أين سنذهب نحن ؟ . . يجب علينا أن نلم بالموقف ونعرف ماذا يمكن عمله . .

بعد هذا اللقاء ، عاد بجدانوف إلى مكتبه وأرسل برقية عاجلة إلى موسكو . . يقول : كان فى أفغانستان ذلك الوقت ٥٥٠٠ مواطن سوفييتى ، كانوا مبعثرين فى كل أنحاء الدولة . . فإذا اتضح أن سارفارى على حق ، وأن رد فعل تسلسليًا سيبدأ فى الجيش ، فإن ذلك سوف يشكل خطرا أكيدا على حياة وأمن مواطنينا ، لذلك رسمت فى البرقية صورة دقيقة للموقف وأشرت الى إمكانية حدوث تطورات غير سارة لنا . . واقترحت أن تكون هناك مجموعات من قواتنا الخاصة فى وضع الإستعداد لإرسالها إلى مناطق كابول وهرات وقندهار وجلال آباد ومزار الشريف ، للعمل على ضمان أمن المواطنين السوفييت أثناء إخلائهم من أفغانستان .

يقول أيضًا : كان من الواضح أن الأفغان مرتبكون بدرجة كبيرة ، وأنهم لم يكونوا يدركون ما الذى يمكن عمله ! . . ثم اتضح بعد ذلك أن الرئيس الأفغانى نور محمد تراقى قد استدعى كبير المستشارين العسكريين السوفييت جوريلوف ، وبدأ يسأله عن الزمن الذى سوف يحتاجه الجيش السوفييتى لكى يدخل أفغانستان ، عندما يعطى تراقى "الإشارة" . .

هكذا أصبح دخول الجيش السوفييتى إلى أفغانستان . . مسألة وقت . .!

نشر المؤلف أجزاء من هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ١٥/٦/٢٠١١

(٣)

■ لم يستمر الرئيس الأفغانى نور محمد تراقى فى منصبه حتى يطلب تدخل القوات السوفيتية فى أفغانستان - كما كان يخطط - لإنهاء الاضطرابات وإنقاذ نظام حكمه . .

انقلب عليه رئيس الوزراء تلميذه حفيظ الله أمين وقتله . . ليس من أجل منع التدخل السوفييتى ، لكن لأن حفيظ الله كان مشتاقا إلى السلطة ويخطط للوصول لها فى أول فرصة تظهر أمامه . .

عملية الانقلاب تم الإعداد لها فى الأيام الأولى من شهر سبتمبر ١٩٧٩ ، أثناء سفر تراقى إلى كوبا للمشاركة فى مؤتمر قمة دول عدم الانحياز . .

كان تراقى يعلم بأن حفيظ الله يخطط للإطاحة به . . فتوقف بطائرته فى موسكو مرتين : أثناء السفر وأثناء العودة من كوبا ، واجتمع مع بريجنيف وعدد من المسئولين السوفييت وأبلغهم مخاوفه . . كان السوفييت على دراية أيضا بخطط حفيظ الله . . وكان موقفهم هو أن على تراقى وحفيظ الله حل خلافاتهم بأنفسهم ، لأن هذه الخلافات شأن داخلى ولا يريد السوفييت التدخل فيها ، المهم هو الإبقاء على وحدة الحزب الشيوعى الديمقراطى الأفغانى . . !

فى نفس الوقت كان حفيظ الله يشيع أن تراقى وضع مؤامرة لقتله . . وبذريعة هذه المؤامرة المزعومة بدأ التضييق على تراقى ،

وإبعاد رجاله عن مراكز السلطة فى الدولة ، وإحاطته بمجموعة من الجواسيس المخلصين لحفيظ الله . .

الصراع بين الرجلين بدأ مبكرًا . . بعد مرور عام واحد على وصول تراقى إلى السلطة . .

فصول هذا الصراع يتحدث عنها الجنرال ليونيد بجدانوف فى كتابه "الكراسة الأفغانية" . .

- يقول بجدانوف : إنه فى الأيام الأولى من شهر مايو ١٩٧٩ ، كان يستعد للسفر إلى موسكو فى مهمة قصيرة ، فذهب مع مترجمه الخاص إلى أسد الله سارفارى فى مكتبه بجهاز الأمن القومى ، ليسأله عن الموضوعات التى يقترح عليه عرضها فى موسكو . . وفى لحظة ما خرج المترجم من الغرفة ، ففوجئ بجدانوف بسارفارى ينهض من مقعده ويقترب منه ليهمس فى أذنه بصوت خافت بهذه الكلمات : "إن حفيظ الله أمين خبيث جدًا وقاس وغادر وخطر ومحب لنفسه ، وعلى استعداد للغدر بأى أحد فى سبيل مصلحته الشخصية" . .
- يصف بجدانوف تأثير هذه الكلمات عليه بأنها كانت مثل الرعد فى سماء صافية ، إلى درجة أنه ظن أن حفيظ الله أمين دفع بسارفارى ليقول له هذه الكلمات كإختبار ليعرف رد فعله . . لا سيما أنه يعرف أن سارفارى يعمل تحت رئاسة حفيظ الله . . وأن حفيظ الله هو الذى جذب سارفارى إلى التنظيم السرى للضباط "خلق" ، وهو الذى رشحه لعضوية الحزب ، وهو الذى وراء تعيينه رئيسًا لأول جهاز للأمن القومى فى أفغانستان . . !!
- يضيف بجدانوف أنه قضى فى موسكو عدة أيام ثم عاد إلى كابول ، ليجد سارفارى تحت العلاج بالمستشفى العسكرى من

كسر فى منطقة "العصعوص" نتيجة سقوطه على الأرض . . فذهب لزيارته . . فى تلك الأثناء نشرت الصحف خبر تعيين حفيظ الله أمين رئيسًا للوزراء . . فعلق سارفارى على هذا الخبر قائلاً لبجدانوف : إن تراقى إنسان ذكى ، لأنه بذلك أخذ من حفيظ الله منصب وزير الدفاع الذى كان يشغله ، وبالتالى خرج جهاز الأمن من تحت إشرافه ، وأصبح سارفارى تابعًا مباشرة لتراقى . .

* * *

فى الوقت الذى كان فيه الصراع على السلطة يشتد بين تراقى وحفيظ الله . . كان الوضع فى أفغانستان يزداد سوءًا يومًا بعد يوم . . حتى أن بعض الأقاليم أصبحت تحت سيطرة الفصائل المسلحة . .

يذكر بجدانوف أن حفيظ الله قال له ذات مرة : إن الجزء الأوسط من أفغانستان لم يكن أبدًا مستقرًا ، كانت هناك دائمًا محاولات فى الأقاليم للانفصال عن السلطة المركزية . . وأن السلطة المركزية لم يكن يهمها سوى جمع الضرائب من الأقاليم عن طريق المحافظين وأجهزتهم . .

أما بجدانوف نفسه فكان مقتنعًا تمامًا بأن حل مشكلة أفغانستان لا يمكن أن يتحقق عن طريق الحرب ، وأن مفتاح حل هذه المشكلة يكمن فى باكستان . . لكن المستشارين العسكريين السوفييت كانوا يواصلون التعاون مع حفيظ الله فى تنفيذ عمليات عسكرية للقضاء على المتمردين فى الأقاليم . . !

- يقول بجدانوف بالنص : "ما أقلقنا هو أنهم حاولوا تحييد القبائل بطريقة عسكرية بحتة . . وبأمر من حفيظ الله أمين شارك

مستشارونا العسكريون فى عمليات حرق قبائل بأكملها بالنابالم . . وتوجيه الضربات إلى المناطق الجبلية ومناطق الغابات بدلا من أن يجذبوا القبائل اليهم . . كل ذلك تسبب فى خلق ظروف مناسبة لانتشار الروح المعارضة للحكومة والتظاهر ضدها" . . !!

- الأخطر من ذلك أن بجدانوف يكشف فى مذكراته عن وجود "مخطط" فى ذلك الوقت لاجتياح باكستان . . يقول بجدانوف بالحرف الواحد فى صفحة ١٠٩ من الترجمة العربية لمذكراته : (فى الوقت الذى كانت تتزايد فيه حركة العصيان فى كل البلد ، كان مستشارونا العسكريون يواصلون العمل فى نفس اتجاه سياسة أمين المتعلقة بإمكانية توسيع أفغانستان ، ووصوله إلى «البحار الدافئة» . مازلت أتذكر الآن أنه بينما كانت الحرب الأهلية قائمة ، كان الجيش الأفغانى يتدرب طبقًا للخطط التى تم الاتفاق عليها مع مستشارينا على : "دخول واختراق لواءات الدبابات أثناء الهجوم على دفاع محصن للعدو بدون استخدام الأسلحة النووية" . هذا الموضوع يفترض بوضوح اختراق خطوط دفاع الجيش الباكستانى وتنظيم الهجوم على أرض باكستان . أقدم ذلك كمثال يبين أن قيادة أفغانستان وعسكريينا ، لم يكونوا فقط يميلون لحل المشكلة الأفغانية الباكستانية عن طريق الحرب ، بل إنهم كانوا يعملون على حلها فقط بهذه الوسيلة) . . !!!!

كما يذكر بجدانوف فى صفحة ٣٨ من الترجمة العربية لمذكراته ، عبارة يصفها بأنها "فلتت" من حفيظ الله أمين عندما قال : "إننا سوف نسبح فى المحيط بالقرب من كراتشى" . . !

ويقول بجدانوف فى صفحة ٣٧ : "كان القادة الأفغان حتى قبل ثورة أبريل (١٩٧٨) يفكرون فى القضاء على باكستان وإنشاء أفغانستان الكبرى" . . !

غير أنه يؤكد على أن "نظرية البحار الدافئة" لم تكن موجودة فى خطط الاتحاد السوفييتى . . وأنها كانت مجرد افتراض أمريكى انتشر فى سنوات الخمسينيات والستينيات والسبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن العشرين ، وأن شاه إيران كان مؤمنا بهذا الافتراض ، لذلك كان يقلقه دائمًا الوجود السوفييتى فى أفغانستان . . !!

* * *

نعود إلى قصة انقلاب حفيظ الله أمين على تراقى وقتله . .

يقول بجدانوف إنه منذ تعيين حفيظ الله رئيسا للوزراء وخروج الجيش من تحت سيطرته ، ظل يحاول من خلال السفير السوفييتى وكبير المستشارين العسكريين السوفييت فى أفغانستان ، استعادة الجيش وجهاز الأمن إلى سيطرته لتقوية موقفه فى الصراع مع تراقى . . كما أحاط تراقى بمجموعة من أقاربه وأشد الناس إخلاصًا له ، لكى ينقلوا إليه كل ما يتعلق بتحركات تراقى وأخباره . .

من هؤلاء مثلاً : "تارون" الذى رافق تراقى فى رحلته إلى كوبا لحضور قمة دول عدم الانحياز ، كما حضر المقابلات التى أجراها تراقى فى موسكو عند الذهاب والعودة بصفته مترجما . .

يروى بجدانوف أنه كان فى موسكو أثناء زيارة تراقى لها . . ففوجئ بأن "عزيز أكبرى" رئيس جهاز مكافحة التجسس الذى كان ضمن الوفد المصاحب لتراقى ، يخبره بأنه تلقى أمرًا من حفيظ الله

قبل السفر بضرورة إبلاغه بالمؤامرة التى يتعرض لها حفيظ الله . . وأوصى بالاستعانة بـ"تارون" كمترجم . . ثم قال لبجدانوف : كل ما سأقوله أمام "تارون" ليس صحيحا . . لذا أرجو أن نتقابل مرة أخرى بدون "تارون" . . !!

- أمام "تارون" قال عزيز أكبرى لبجدانوف : "إن هناك مؤامرة تحاك الآن فى أفغانستان للإطاحة بحفيظ الله . . يشترك فيها كل من الوزراء جولابزوى ، وفاتاندجار ، وموزدوريار ، ورئيس هيئة الأمن القومى أسد الله سارفارى . . وأنه كشيوعى قرر أن ينقل هذه المعلومات بنفسه إلى الرفيق بجدانوف . . لأنه يشعر بالقلق على مصير الثورة " . . !
- بعد ذلك جلس بجدانوف مع "تارون" على إنفراد وسأله عن رأيه الشخصى فى هذا الكلام . . فقال له : إنه يشارك عزيز أكبرى الرأى فيما قاله . . وأن الوزراء الأربعة لا يريدون فقط الإطاحة بحفيظ الله ، بل يريدون تصفيته جسديا . . ثم أخذ فى التنديد بتراقى نفسه ، ووصفه بأنه عجوز فقد عقله . . !
- عندما التقى بجدانوف مرة أخرى مع "عزيز أكبرى" بعيدا عن أنظار "تارون" ، وقام بترجمة الحديث بينهما أحد موظفى الخارجية الروسية . . كان عزيز منفعلا جدا ويتكلم بسرعة . . قال لبجدانوف : لا توجد أية مؤامرة ضد حفيظ الله أمين ، بل على العكس من ذلك . . هو الذى وضع أمامه هدف إزاحة تراقى من رئاسة جمهورية أفغانستان الديمقراطية ورئاسة حزب الشعب الديمقراطى الأفغانى والاستيلاء على السلطة . . ورغم أن حفيظ الله بعد تعيينه رئيسا للوزراء فقد سيطرته على

الجيش وجهاز الأمن . . إلا أنه تمكن أخيرًا من جذب رئيس هيئة أركان الحرب العامة "يعقوب" إلى جانبه ، وكذلك مجموعة كبيرة من أعضاء اللجنة المركزية للحزب . . لكن مازال يقف فى طريق تنفيذ خطته أربعة وزراء ، من بينهم أسد الله سارفارى . . لذلك يريد حفيظ الله أن يتخلص أولا من هؤلاء الوزراء ، ثم بعد ذلك يزيح تراقى نفسه . . !

وقال "عزيز أكبرى" لبجدانوف : إنه واثق من ذلك تمامًا . . وإن هذا الإنقلاب سوف ينفذ قريبًا . . ومن الضرورى أن تعرف رئاسة الاتحاد السوفييتى عن مؤامرة حفيظ الله أمين . .

ثم خرج مسرعًا من الغرفة التى كانا يتحدثان فيها . . محذرًا بجدانوف من خطورة أن يعلم "تارون" بأنه التقى معه ثانية . . !

* * *

هكذا أصبح من الواضح طبقًا للمعلومات التى تجمعت لبجدانوف ، أن حفيظ الله وضع خطة للانقلاب على تراقى . .

- يقول بجدانوف فى مذكراته : لم يكن من الصعب تخمين الآلية والأفراد الذين ينوى حفيظ الله استخدامهم فى تنفيذ خطته . . لكن ما لفت نظرى هو موقف "تارون" الذى كان دائما ما يؤكد لى إخلاصه لتراقى . . فكيف حدث هذا التحول فجأة ؟ ! . . "تارون" عدو لتراقى وحليف لحفيظ الله ! . . ماالذى حدث ؟ ! ! . .

يضيف : لقد توصلت بعد تفكير قصير إلى أن حفيظ الله غالبا قد وعد «تارون» بتعيينه بعد الإنقلاب رئيسا لجهاز الأمن القومى خلفا لأسد الله سارفارى . . وكان هذا حلما كبيرا لـ "تارون" . . !

يقول بجدانوف : لقد كان «تارون» يشغل منصب رئيس جهاز الشرطة فى وزارة الداخلية بعد ثورة أبريل (ثورة ٢٧ أبريل ١٩٧٨ التى أطاح فيها نور محمد تراقى مدعوما من موسكو بمحمد داود) ، وكنت ألتقى معه بصفة دورية ، وأعرف عنه أنه كان قاسيًا جدًا . . ومحبًا للقيام بعمليات إلقاء القبض على الناس وتعذيبهم وإعدامهم رميًا بالرصاص . . لقد روى لى ذات مرة أنه أثناء استجوابه لأحد المقبوض عليهم رفض الرجل طويلاً الإدلاء بالاعتراف . . فقام "تارون" بحرق ذقنه ، فأدلى الرجل بالاعتراف فورًا . . كان "تارون" بهذه الصفات مناسبًا تمامًا لحفيظ الله . . وقد تبين أنه قبل سفر تراقى إلى العاصمة الكوبية "هافانا" لحضور قمة عدم الانحياز ، تم نقل "تارون" من منصب رئيس جهاز الشرطة إلى منصب رئيس المكتب الخاص بتراقى . . وكان يرافقه فى رحلته إلى كوبا بهذه الصفة . . هكذا نجح حفيظ الله فى دس رجله بين أقرب المقربين من تراقى . . !

- أما رئيس هيئة الأركان العامة "يعقوب" الذى اجتذبه حفيظ الله أيضًا إلى صفه . . فقد كان وضعه أصعب . . لأنه بعد ثورة أبريل ١٩٧٨ اختاره تراقى ليكون قائدا للحرس الشخصى له . . وكان يعتبره رجله ويثق فيه ثقة كاملة . . فكيف أصبح فجأة فى صف حفيظ الله أمين ؟ ! ! . .

- لم يستبعد بجدانوف أن يكون حفيظ الله قد وعد "يعقوب" بمنصب وزير الدفاع بعد الإنقلاب على تراقى . . لكنه كان متأكدًا من أن حفيظ الله سوف يجد بعد ذلك حجة للتخلص من "يعقوب" لكى يضع الجيش تحت قيادته . . !

* * *

بدأت خيوط مؤامرة حفيظ الله للإنقلاب على تراقى تظهر بوضوح . .

عاد بجدانوف من موسكو إلى كابول يوم ١٢ سبتمبر ١٩٧٩ ، ليجد أسد الله سارفارى يأتى اليه فى مكتبه دون موعد مسبق ، ويخبره بأن حفيظ الله أمين أعطى تعليمات بالقبض عليه وعلى ثلاثة وزراء آخرين ، هم : فاتاندجار ، وموزدوريار ، وجوليابزوى ، وأن ذلك يعنى أن حفيظ الله قد بدأ فى تنفيذ خطته للإستيلاء على السلطة . . فطلب منه بجدانوف أن يذهب ومعه الوزراء الثلاثة إلى تراقى ويظلوا بجانبه ، بينما توجه بجدانوف إلى السفارة ، وطلب موسكو لإبلاغ هذه التطورات ، وفى نهاية المكالمة اقترح القبض على حفيظ الله أمين فورا ، وإلا سيكون الوقت قد تأخر . . لكن موسكو أرسلت تعليمات تطلب منه ومن سفيرها فى كابول "بوزانوف" وكبير مستشاريها العسكريين الذهاب إلى كل من تراقى وحفيظ الله لنقل رسالة شفهية من الزعيم السوفييتى بريجنيف ، تدعوهما إلى حل خلافاتهما وعدم السماح بحدوث أية انشقاقات داخل الحزب . .

- يوم ١٤ سبتمبر ذهب السفير وثلاثة جنرالات من كبار المستشارين العسكريين لنقل الرسالة . . بينما بقى بجدانوف فى السفارة . . ففوجئ فى الساعة السادسة مساء بقدوم سيارة مرسيدس بها أربعة وزراء أفغان يطلبون مقابلته . . الوزراء هم أسد الله سارفارى الذى كان يجلس على عجلة القيادة ، وبجانبه جوليابزوى ، وفى المقعد الخلفى كان يجلس كل من فاتاندجار وموزدوريار . . طلبوا منه السماح لهم بالاختباء فى السفارة ، لأن حفيظ الله أمر بإلقاء القبض عليهم أو تصفيتهم جسديا بأى طريقة . . !
- استقبلهم بجدانوف فى صالون السفارة وقدم لهم الشاى . .

فسأله سارفارى :

- كيف سيكون موقف الاتحاد السوفييتى إذا قمنا بتصفية أمين . . ؟

- فقال له بجدانوف : كنا دائما وسنقف إلى جانب وحدة الحزب . . لا أستطيع أن أقول لك أى شئ آخر ، فهذا أمر داخلى يخصكم . . !

- اعتبر سارفارى هذه الإجابة موافقة على خطته . . فأمسك رأسه بيديه آسفًا وهو يقول : "كان يجب على القيام بذلك بالأمس ! . . كان يجب أن أخنق أمين بنفسى عند حضوره إلى تراقى" . . !!

* * *

عندما وصل السفير السوفييتى ورفاقه الجنرالات الثلاثة إلى القصر الرئاسى بكابول لنقل رسالة بريجنيف الشفهية إلى تراقى ، سألوه إذا كان من الممكن دعوة حفيظ الله أمين للإنضمام إلى الحديث . . فاتصل تراقى به هاتفيًا وطلب منه الحضور إلى القصر للمشاركة فى هذا اللقاء . . فأجابه حفيظ الله إنه سيحضر وبرفقته حرسه الخاص . . !

- بعد انتهاء المكالمة الهاتفية ، قال كبير المستشارين السوفييت لتراقى : "إن أقاويل كثيرة منتشرة بأن حفيظ الله أمين قد يقتل عندكم فى القصر" . . فضحك تراقى وقال : "هذا هراء . . هذه شائعات إستفزازية" . .

- حضر حفيظ الله إلى القصر الرئاسى وبرفقته حارسه الخاص واثنان من الضباط المساعدين . .

- كان "تارون" ينتظرهم فى بهو الطابق الأول من القصر ، وعلى صدره رشاش صغير من طراز "شنايسر" . . فتقدم مع الحارس الخاص لحفيظ الله وصعدا السلم إلى أعلى . . كان يقف على

"البسطة" العليا للسلم حارسان شخصيان لتراقى ، يحملان مدفعين رشاشين من طراز "كلاشينكوف" . . فأنذر أحدهما "تارون" بأنه ممنوع الدخول إلى تراقى بسلاح . . لكن "تارون" استخف به وأجابه بهذه الكلمات : "هيا ، أمش من هنا" ومضى حاملاً رشاشه . . فأطلق عليه الحارسان الرصاص فسقط قتيلا فى الحال على "بسطة" السلم . .!

كان حفيظ الله مازال فى الطابق الأول لم ير ما يحدث على السلم . . لكنه سمع صوت إطلاق الرصاص . . ورأى إحدى الرصاصات قد ارتطمت بالجدار وارتدت إلى أسفل فأصابت الضابط المرافق له بإصابة بسيطة . .

خرج حفيظ الله من القصر مسرعا وهو ممسك بالضابط المصاب . . وتوجه بعد ذلك إلى رئاسة الأركان العامة للجيش . .

- اتصل به تراقى هاتفيا وحاول إقناعه بأن ما حدث هو نتيجة سوء فهم بين الحراس . . لكن حفيظ الله اعتبر أن ما حدث كان محاولة لإغتياله . . !
- ذهب إليه السفير السوفييتى والجنرالات الثلاثة . . فوجدوه يجلس على المكتب بوجه هادئ . . حاولوا إقناعه بأن ما حدث هو نتيجة سوء فهم . . لكنه أصر على موقفه ، ثم أشار بأصبعه إلى بقعة دم صغيرة وقعت على بذلته من إصابة الضابط المرافق له وقال : " هذا الدم لن يمسحه إلا الدم" ! . . ثم قال للسفير والجنرالات : " إذا رغب الرفاق السوفييت فى لقاء تراقى مرة أخرى ، فعليهم أن يفعلوا ذلك عن طريقى فقط " . . ثم أضاف وهو يضحك ساخراً : "لتفادى سوء الفهم بين الحراس" . . !

* * *

يقول بجدانوف : لقد درسنا طويلا تفاصيل ما حدث . . وخططنا رسومات . . وقمنا بنوع من التحقيق . . وفى النهاية تأكدنا أن إطلاق الرصاص فى القصر الرئاسى كان نتيجة لتصرف "تارون" . . لكن حفيظ الله استغل هذا الحادث بدهاء فى التعجيل بالانقلاب على تراقى . . !

- تم فصل الاتصالات الهاتفية عن تراقى . . ثم الكهرباء . . ثم الماء . . وتحددت إقامته . . وبقيت معه عائلته وحرسه الخاص لبعض الوقت . . لكنه لم ير بعد ذلك أبدا أى أحد من السوفييت . . !
- بعد مرور يومين فقط على أحداث القصر الرئاسى . . وفى يوم ١٦سبتمبر ١٩٧٩ ، قام حفيظ الله أمين بالاستيلاء على السلطة فى أفغانستان ، وحصل على تأييد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الديمقراطى الأفغانى . .

ساعده فى الحصول على هذا التأييد إبن شقيقه الأكبر . . شاب عمره ٣٠ عامًا ، اسمه : أسد الله أمين ، وقد أصبح بعد ذلك رئيسًا لجهاز الأمن القومى بدلاً من أسد الله سارفارى . . أما الطريقة التى اتبعها أسد الله أمين فى حشد التأييد لعمه ، فقد رواها بتفاخر للجنرال بجدانوف بعد الإطاحة بتراقى . . قال إنه فى أثناء وجود تراقى فى كوبا ، قام أسد الله أمين باستدعاء كل أعضاء اللجنة المركزية للحزب فردًا فردًا على حدة . . وضع مسدسه على المكتب وهو يتحدث مع كل منهم . . وبالإقناع تارة ، والتهديد تارة أخرى ، ضمن أن ٦٠٪ منهم على الأقل سيكونون على استعداد لتأييد عمه فى معركته مع تراقى . . !!

* * *

حزن حفيظ الله أمين بشدة على "تارون" . . وأقام له جنازة مهيبة . . ثم طلب من تراقى تسليمه الحارسين اللذين قتلا "تارون" . . فاضطر تراقى إلى تسليمهما ، فتم إعدامهما رميا بالرصاص . . !

بعد ذلك نقل تراقى وأسرته من القصر الرئاسى إلى منزل صغير ، وتم وضعه تحت حراسة مشددة . . . !

- يقول الجنرال بجدانوف في كتابه : إن حفيظ الله مارس على تراقى ضغوطا نفسية شديدة . . فقد جاء وأعوانه إلى تراقى بشقيقه الأصغر ، ومثلوا أمامه استعدادهم لقطع أذنيه . . صائحين بشعار "الدم بالدم" . . كما أرسلوا إلى تراقى طبيبا لحقنه بعقاقير تؤدى إلى انهيار نظامه العصبى تماما . .!

ورغم أن حفيظ الله أكد للسفير السوفييتى فى كابول يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٩ ، أنه يضمن أمن تراقى ولن تمس شعره واحدة فى جسده . . إلا أن السوفييت علموا بعد ذلك أنه تم قتل تراقى فى الأول من أكتوبر ١٩٧٩ ، ودفنه فى سرية تامة الساعة الثانية ليلا بجوار شقيقه فى أحد المقابر القريبة من كابول . . . !

أما الطريقة التى قتل بها تراقى . . فقد بدأت بحقنه بعقار مهدئ . . ثم دخل عليه ثلاثة أشخاص لتنفيذ الحكم . . فهم تراقى كل شئ . . فأعطاهم ساعة يده وبعض متعلقاته الشخصية لتسليمها إلى عائلته . . بعد ذلك وضعوه على السرير ، وقام اثنان منهم بالجلوس فوق ساقيه بينما خنقه الثالث بالوسادة . .!!

أما أسرته فقد وضعت فى سجن يقع على أطراف كابول . .

يقول الجنرال بجدانوف فى كتابه : "لكن كل ذلك لم يهدئ حفيظ الله أمين . . وطبقا للمعلومات التى لدينا ، فقد أرسل فى منتصف أكتوبر ١٥٠سيارة نقل إلى المنطقة التى تعيش فيها قبيلة تراقى ، وتم نقل كل أفراد القبيلة الذين يصل تعدادهم إلى عدة آلاف إلى الصحراء ، وتم قتلهم جميعًا . . هكذا رد التلميذ المتفوق دينه إلى أستاذه الحبيب" . . !

* * *

بالنسبة لأسد الله سارفارى والوزراء الثلاثة الذين اختبأوا معه فى مقر السفارة السوفييتية . . فقد استطاع أحدهم وهو "موزدوريار" الهروب من كابول . . أما الثلاثة الباقون فتم عرض أمرهم على الزعيم السوفييتى ليونيد بريجنيف شخصيًا ، فأمر بإرسالهم إلى موسكو . .

* * *

يقول بجدانوف إن الأوضاع فى أفغانستان لم تتحسن ولم تستقر على الرغم من عمليات التصفية الواسعة التى قام بها حفيظ الله أمين لمؤيدى تراقى فى كل الأجهزة الحكومية . . فقد ازدادت الأوضاع سوءًا . . وبجانب حركات التمرد والعصابات نشطت المعارضة ضد حفيظ الله داخل الحزب نفسه . . !

* * *

قررت القيادة العليا فى موسكو "تغيير القيادة فى كابول" . . واستبدال حفيظ الله أمين بآخر اسمه بابراك كارميل ، الذى كان سفيرًا فوق العادة ومفوضا لأفغانستان فى تشيكوسلوفاكيا ، وكان حفيظ الله قد أرسل إليه مجموعة من الأفراد لتصفيته وفشلوا . . !



بابراك كارميل

لكن طريقة الإطاحة بحفيظ الله لم تكن قد تحددت بعد . . فبدأت موسكو فى إرسال مجموعات من القوات الخاصة إلى أفغانستان لتعزيز القوة السوفييتية هناك . . فى نفس الوقت بدأت فى زرع مواقع استخباراتية لها حول حفيظ الله . .

كان ثلاثة من خبراء التغذية السوفييت يعملون فى قصر حفيظ الله . . إمرأتان ورجل . . أقام بجدانوف وزميل له اسمه بوريس كابانوف علاقات جيدة معهم . . و فى أحد أيام ديسمبر عرفا منهم أن "طباخا" سوفييتيا سوف يحضر من موسكو خلال أيام للعمل فى مطبخ حفيظ الله . . فتقرر استخدام هذا "الطباخ" للتعامل مع حفيظ الله . . لذلك حضر إلى كابول خبيرًا من المخابرات السوفييتية متخصصا فى استخدام العقاقير الخاصة . .

تم التحضير للعملية ، وتقرر تنفيذها يوم ١٤ ديسمبر ١٩٧٩ فإذا سار كل شئ طبقا للسيناريو المرسوم ، يقوم الطباخ بالاتصال بمكتب المستشار الاقتصادى فى السفارة السوفييتية ويسأل عن قطع الأثاث الإضافية التى طلبها لشقته فى كابول . . هذا يعنى أنه أنجز المهمة وفى طريقه إلى السفارة . . ولما كان تأثير العقار يبدأ بعد ٤ إلى ٦ ساعات من تناوله ، فقد تقرر أن يتم خلال هذه الفترة إخفاء الطباخ فى قاعدة باجرام العسكرية أو نقله إلى موسكو إذا احتاج الأمر . . !

لكن مرت الساعات الست ولم يظهر على حفيظ الله أى أثر للمادة التى تناولها . . السبب أن الطباخ وضعها فى الكوكاكولا . . وقد اكتشف الخبراء السوفييت فيما بعد ، أن الكوكاكولا بالذات بها مواد تعادل خواص المادة المضافة . . لذلك لم يتأثر حفيظ الله وكل من كانوا معه على مائدة الطعام وشربوا من إبريق الكوكاكولا . .

لذلك اتجه السوفييت إلى سيناريو آخر تمامًا . . بحيث يتم تنفيذه بلا أى خطأ . .

هذا السيناريو حمل اسم "العاصفة ٣٣٣" . . تقوم فيه قوات سوفييتية بالهجوم على قصر حفيظ الله أمين ، للإطاحة به وتسليم السلطة إلى بابراك كارميل . . وبما أن حفيظ الله كان هو نفسه الذى يطلب تدخل القوات السوفييتية منذ كان تراقى فى الحكم . . فقد تقرر أن تعبر القوات السوفييتية الحدود بين البلدين يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٧٩ فى الساعة ١٥,٣٠ بتوقيت موسكو . . وأن يخطب حفيظ الله فى الإذاعة متوجهًا إلى الشعب الأفغانى لإبلاغه بأن قيادة الاتحاد السوفييتى قد لبت طلب الرئاسة الأفغانية ، وبدأ دخول القوات السوفييتية إلى أراضى أفغانستان . .

- دخلت القوات السوفييتية فى الموعد المقرر . . وخطب حفيظ الله فى الإذاعة . . وتحدد يوم ٢٧ ديسمبر للهجوم على القصر الذى يقيم فيه حفيظ الله . . كانت الخطة أن يضع الطباخ مادة معينة فى الطعام لحفيظ الله لإخراجه من اللعبة قبل بدء الهجوم . . اقترح الطباخ أن يضع هذه المادة فى "البلوف" . . وهو طبق شهير فى دول آسيا الوسطى يتكون من الأرز واللحم والجزر . . أكل منها حفيظ الله ، لكنه لم يتأثر وإنما شعر فقط بتوعك بسيط فى معدته . . !

بدأت القوات السوفييتية الهجوم على القصر بعد تأجيل الموعد بعض الوقت بسبب عدم تأثر حفيظ الله بالشكل المطلوب نتيجة تناوله

المادة التى وضعت له فى الطعام . . أثناء الهجوم قتل حفيظ الله ، وتم نقل السلطة بعد ذلك إلى بابراك كارميل ، كما خططت موسكو . .

هكذا بدأت معركة السوفييت فى أفغانستان ، التى استمرت حوالى ١٠ سنوات . . سقط فيها قرابة ١٥ ألفًا من الجنود السوفييت . . فقررت موسكو سحب قواتها . .

- الجنرال ليونيد بافلوفيتش بجدانوف رئيس ممثلية جهاز المخابرات السوفييتية فى أفغانستان . . أكد أكثر من مرة فى مذكراته أنه لم يستشر ، ولم يحضر ، ولم يشارك فى اتخاذ قرار تدخل القوات السوفييتية فى أفغانستان . . !

* * *

نشر المؤلف أجزاء من هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٢٢/ ٦/ ٢٠١١

الفصل الحادى عشر

شمشون الأمريكى يستعد لهدم المعبد..!

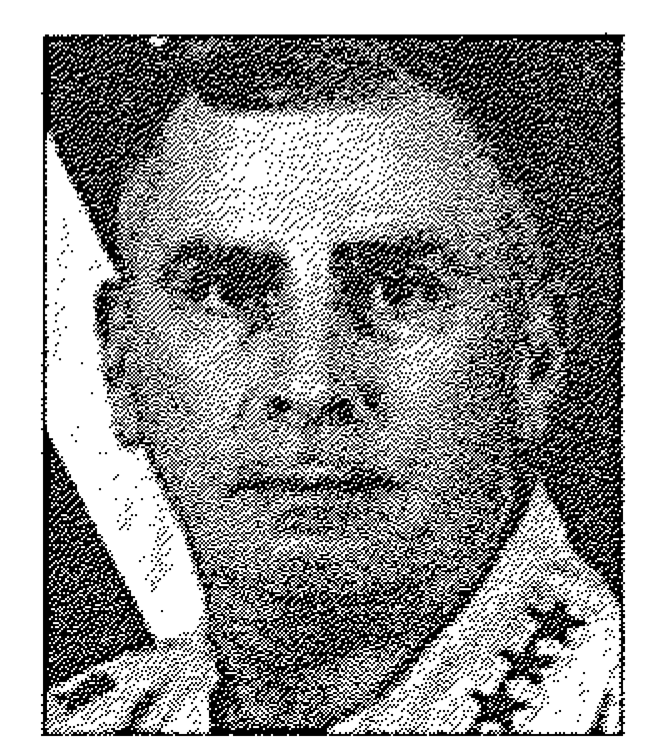
"هى كلمات محسوبة بدقة، جاءت على لسان رجل مهم.. فى توقيت مهم.. لتوصيل رسالة مهمة..!"

(١)

■ لم يكن مـا قـالـه الجنرال الأمـريكى جـون أبى زيد من أن العـالم سيـواجـه حـرباً عـالمـيـة ثالثـة إذا لم يجـد وسيلة لوقف ما سمـاه بـ «التشدد الإسلامى» . . مجرد ذلة لسان خـرجت عن غير قصد . . أو وجـهـة نظر شـخـصـيـة لصـاحـبـهـا . . أو كـلام مرسل جـاء ضمن محـاضرة مفتوحـة . . إنما هى كلمات محـسوبة بدقة ، جاءت على لسان رجل مهم . . فى توقيت مهم . . لتوصيل رسالة مهمة . . !

- أمـا الرجل . . فـهو قـائد القوات الأمريكية بالشرق الأوسط . . أى الرجل الثـالث فى البنتـاجـون بعد وزير الدفـاع ورئيس الأركـان . . ولعل ما قاله كان «مـهـمـة» تم تكليـفـه بـهـا . . ربما لأنه إذا ما قررت الولايات المتحدة بدء الحـرب العالمية الثـالثة ، سيكون هو المكلف ـ بحكم منصبه ـ بإشعال فتيلها . . !

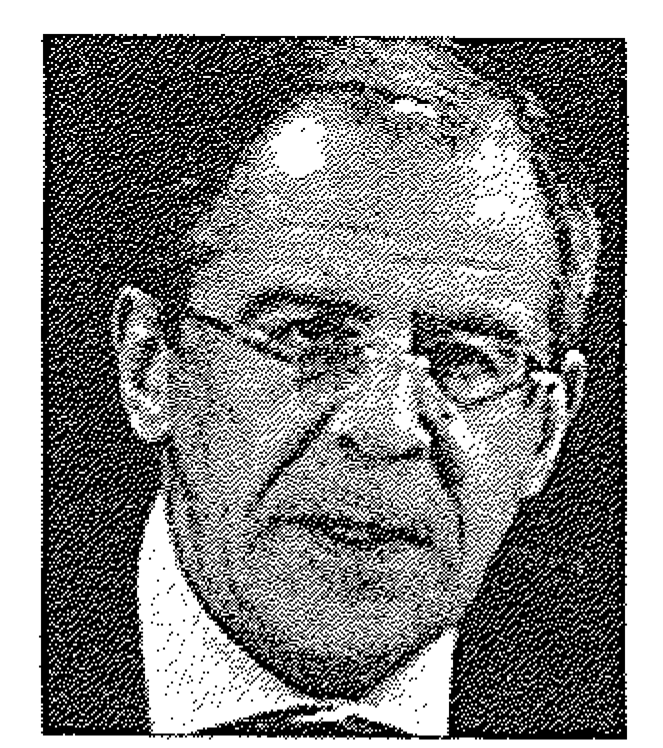
- أمـا التـوقـيت . . فـهـو يأتى بعد فشل الولايات المتحدة فى تشكيل تحـالف دولى يقف إلى جـانبـهـا فى مـواجـهـة كل من إيران وكـوريا الشـمـالية . . حيث فقدت الدولة العظمى مصداقيـتها ، وانصرف عنها العـالم بما فى ذلك الدول الحليفة لهـا . . فضـلاً عن التـحـول الذى حدث فى موقف كل من روسـيا والصين اللتين أصبحـتا حجر عـثـرة أمـام الولايات المتـحـدة فى مـجلس الأمن ، فـبـعـد أن كـانتـا


جون أبى زيد

تساومان واشنطن للحصول منها على مكاسب نظير موافقتيهما على مشروعات القرارات الأمريكية - أو التى تخدم مصالح أمريكا - المقدمة إلى مجلس الأمن . . أصبحتا الآن تتخذان موقفاً «أقرب إلى الاستقلالية» ، على الرغم من الاغراءات الكبيرة التى تقدمها واشنطن لكليهما . . والتى كان آخرها على سبيل المثال موافقة واشنطن فى بداية هذا الشهر (نوفمبر ٢٠٠٦) على انضمام روسيا إلى منظمة التجارة العالمية بعد ١١ عامًا من الرفض الأمريكى المتواصل . . ولم تحصل الولايات المتحدة فى مقابل ذلك إلا على تصريحات من بعض المسئولين الروس يعربون فيها عن شعورهم بالقلق بسبب استمرار كل من إيران وكوريا الشمالية فى تطوير برامجهما النووية . . !

هكذا أصبحت الولايات المتحدة تقدم التنازلات وتعرض الإغراءات ولا تحصل فى المقابل إلا على كلمات مطاطية تقال على سبيل المجاملة لها فقط . . ولا تزيد فى مضمونها علي الإعراب عن القلق . . أما المواقف فقد أخذت تتباعد عنها . . !

- الدليل على ذلك أنه بعد موافقة واشنطن على انضمام روسيا إلى منظمة التجارة العالمية . . ظلت روسيا على موقفها الرافض لتوقيع عقوبات على كل من إيران وكوريا الشمالية . . وآخر تصريحات وزير الخارجية الروسى سيرجى لافروف بهذا الشأن هى أنه لا داعى لتضييق الخناق على إيران وكوريا الشمالية . .


سيرجى لافروف

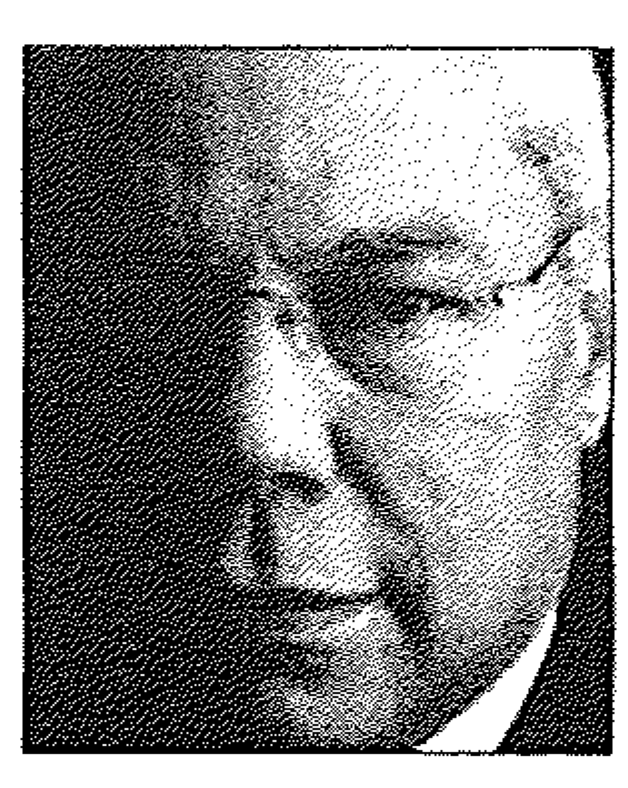
كذلك نفس الموقف تقريبًا اتخذته كل من اليابان وكوريا الجنوبية اللتين تعتبران من أكثر حلفاء الولايات المتحدة فى شرق آسيا . . فقد جاءت التصريحات الصادرة من الدولتين تعرب عن القلق والشجب والاستنكار والتنديد بالتجربة النووية التى أجرتها كوريا الشمالية فى أكتوبر ٢٠٠٦ . . لكنهما أيضًا لا تريدان تضييق الخناق على كوريا الشمالية خوفاً من انتقامها . . وقد فشلت كوندوليزا رايس ومن بعدها الرئيس بوش الابن فى إقناع أى من الدولتين بالمشاركة مع الولايات المتحدة فى اعتراض سفن كوريا الشمالية وتفتيشها كما نص على ذلك قرار مجلس الأمن رقم ١٧١٨ . . !

أى أن الدول الحليفة لواشنطن لم تعد ترغب مشاركتها فى تنفيذ قرارات مجلس الأمن . . وهذا يكشف لنا إلى أى مدى وصل عجز وفشل الدبلوماسية الأمريكية فى الاحتفاظ بالحلفاء والأصدقاء .

ولا نبالغ إذا قلنا إن الإدارة الأمريكية الحالية أصبحت تشعر بعزلة شديدة فى الداخل والخارج .

- فى الداخل . . بسبب سيطرة الديمقراطيين على مجلسى الشيوخ والنواب بعد الانتخابات البرلمانية الأخيرة . . كنتيجة طبيعية لسياسة هذه الإدارة .

- وفى الخارج . . بسبب فقد المصداقية ، وخداع العالم ، والكذب على مجلس الأمن لحمله على إصدار قرارات تجيز استخدام القوة ضد العراق ، كما اعترف بذلك كولين باول شخصيًا بعد خروجه من منصبه كوزير خارجية للولايات المتحدة .


كولين باول

- هذا الفشل فى الاحتفاظ بالحلفاء .
- وهذا الشعور بالعزلة على الصعيدين الداخلى والخارجى .
- وهذا الاحساس بالعجز فى مواجهة أى من إيران وكوريا الشمالية اللتين تواصلان تطوير قدراتهما النووية فى تحد واضح للولايات المتحدة .

لابد أن يجعل شمشون الأمريكى يفكر فى هدم المعبد على رءوس الجميع . . وهذا بالضبط هو ما قاله الجنرال جون أبى زيد : حرب عالمية ثالثة . . !

* * *

- التوقيت لإطلاق هذا التهديد تم اختياره أيضًا بدقة . . حيث تزامن مع بدء اجتماعات قمة منتدى التعاون الاقتصادى لدول آسيا والمحيط الهادى «أبيك» الذى يضم ٢١ دولة ، من بينها روسيا والصين واليابان وكوريا الجنوبية ، بالإضافة طبعا إلى الولايات المتحدة . . لكى يسمع قادة هذه الدول الرسالة الأمريكية جيدًا . . لعلهم يعيدون النظر فى مواقفهم ويقررون الانضمام إلى الولايات المتحدة فى مواجهة كل من إيران وكوريا الشمالية .
- أما الرسالة . . فهى واضحة جداً :

إما أن تكونوا معنا ، أو سندمر العالم على رءوس الجميع . . !

- إنه نفس المنطق الذى تحدث به بوش الابن من قبل عندما قال : من ليس معنا فهو ضدنا . . !

وإذا كانت صياغة الرسالة التى جاءت على لسان أبى زيد قد ربطت بين تدمير العالم وعدم وقف التشدد الإسلامى . . فإن ذلك يعنى أن الولايات المتحدة تريد أن تقول إن إنقاذ العالم سيتحقق

بتدمير إيران . . إذن فلتكن إيران هى المحطة القادمة . . ولنفتدى بها العالم . . ! !

وخطة ضرب إيران جاهزة . . وضعها البنتاجون وسربها إلى مجلة «تايم» الأمريكية فى سبتمبر عام ٢٠٠٦ .

تعتمد الخطة أسلوباً جديداً فى الهجوم على إيران ، ليس من بينه الهجوم البرى كما حدث فى الحالتين الأفغانية والعراقية . . وإنما توجيه ضربات باستخدام أسلحة موجهة بالأقمار الصناعية وأشعة الليزر . . وصواريخ كروز محملة برءوس نووية تنطلق من الغواصات الأمريكية الموجودة فى الخليج العربى وبحر العرب . . تهدف الخطة إلى تدمير ١٥٠٠ هدف داخل إيران من بينها ٣٠ منشأة نووية . . ولما كان معظم هذه المنشآت يعمل تحت مسميات وهمية أو مقام تحت الأرض . . فسوف يتم الاستعانة بعدد كبير من طائرات التجسس بدون طيار لتحديد أماكنها . . كما سيتم الهجوم عليها أكثر من مرة للتأكد من تدميرها ، وذلك بواسطة صواريخ لها قدرة على اختراق الأسقف الأسمنتية وتدميرها .

هذه هى الخطة الأمريكية لتدمير إيران . .

وما تريد أن تقوله الولايات المتحدة لدول العالم الآن : إما أن تشاركوننا فى تدمير دولة واحدة هى إيران . . أو سندمر العالم كله .

هكذا وضعت أمريكا الكرة فى ملعب دول العالم . . !

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٢٠٠٦/١١/٢٢

الفصل الثانى عشر

مأزق بوش..!!

" إن الرئيس جورج بوش الابن هو أغبى رئيس أمريكى منذ أكثر من قرن من الزمان .. ! ! "

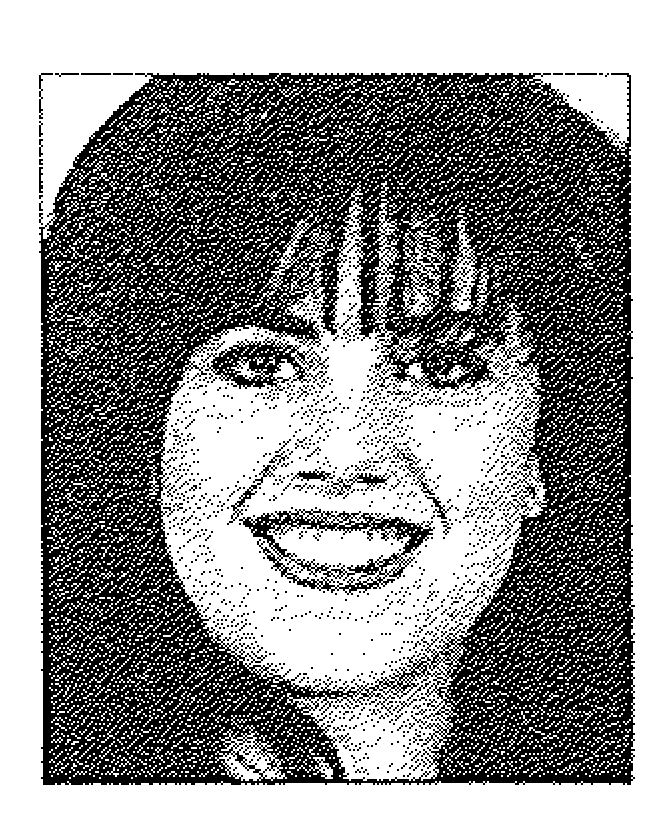
دراسة أمريكية قامت بها

جامعة كاليفورنيا

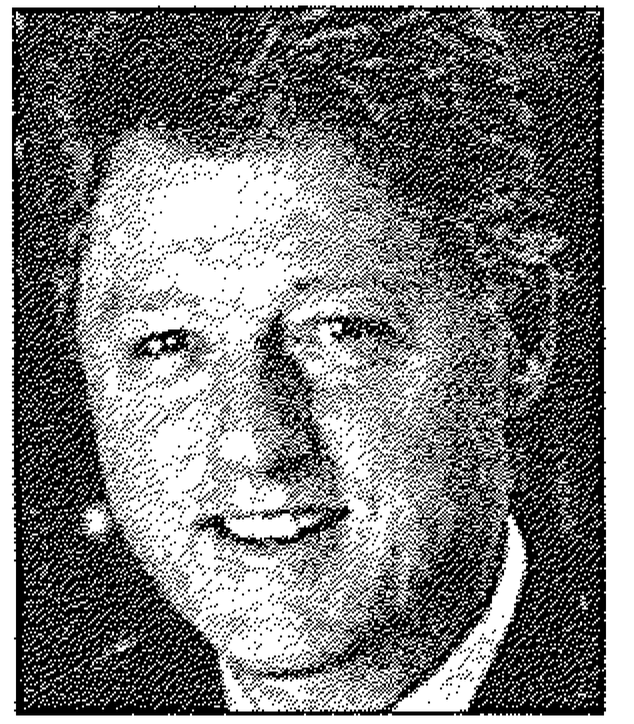
(١)

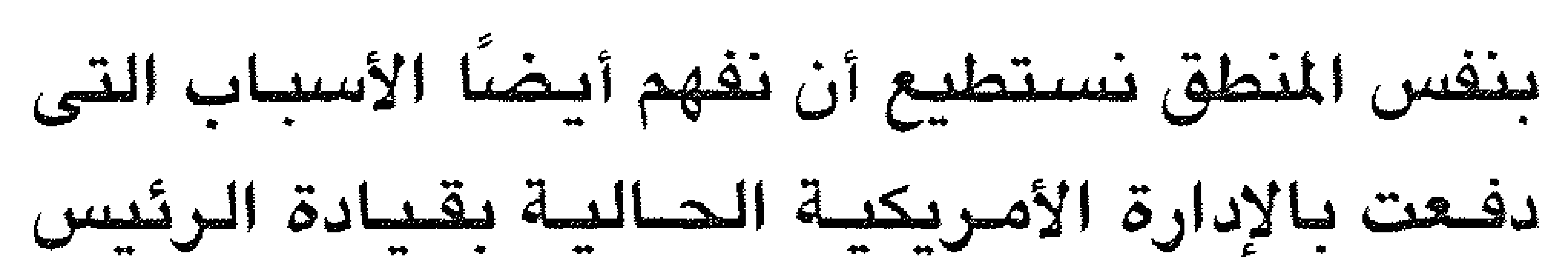
ما الذى يجرى الآن فى أمريكا .. ؟

■ أهمية الإجابة على هذا السؤال تكمن فى أن الداخل الأمريكى ينعكس بقوة على الخارج .. إلى الدرجة التى قد تدفع بالإدارة الأمريكية إلى شن عمليات عسكرية غير مبررة ضد إحدى الدول .. فتدمر المدن وتقتل الأبرياء .. من أجل الخروج من أزمة تواجهها فى الدخل .. !

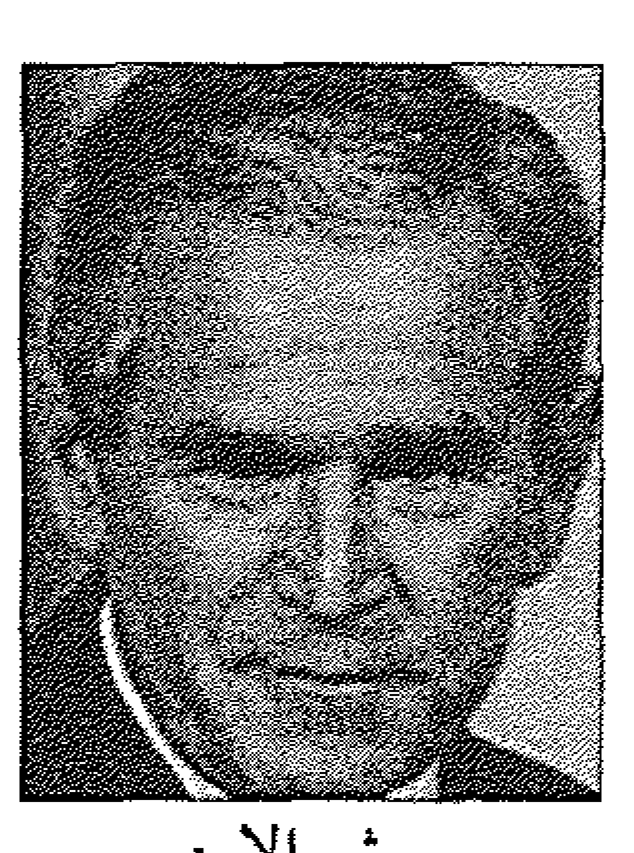

مونيكا

بالضبط كما فعل الرئيس الأمريكى السابق بيل كلينتون عندما أحاطت به فضيحة علاقته الجنسية مع مونيكا لوينسكى ، وكادت تتسبب فى طرده من البيت الأبيض .. فقام بقصف العراق فى ديسمبر عام ١٩٩٨ ، لصرف أنظار الشعب الأمريكى عن الفضيحة الجنسية بالحرب على العراق ، لعل ذلك يخفف من وطأة الضغوط السياسية التى كانت تحاصره فى الداخل وتحاول إخراجه من البيت الأبيض .. !

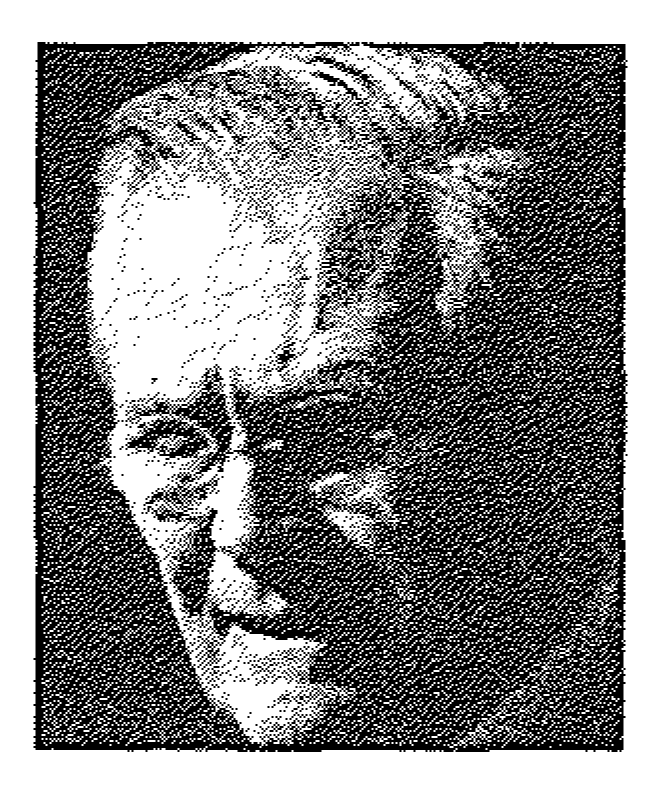

كلينتون



بنفس المنطق نستطيع أن نفهم أيضًا الأسباب التى دفعت بالإدارة الأمريكية الحالية بقيادة الرئيس

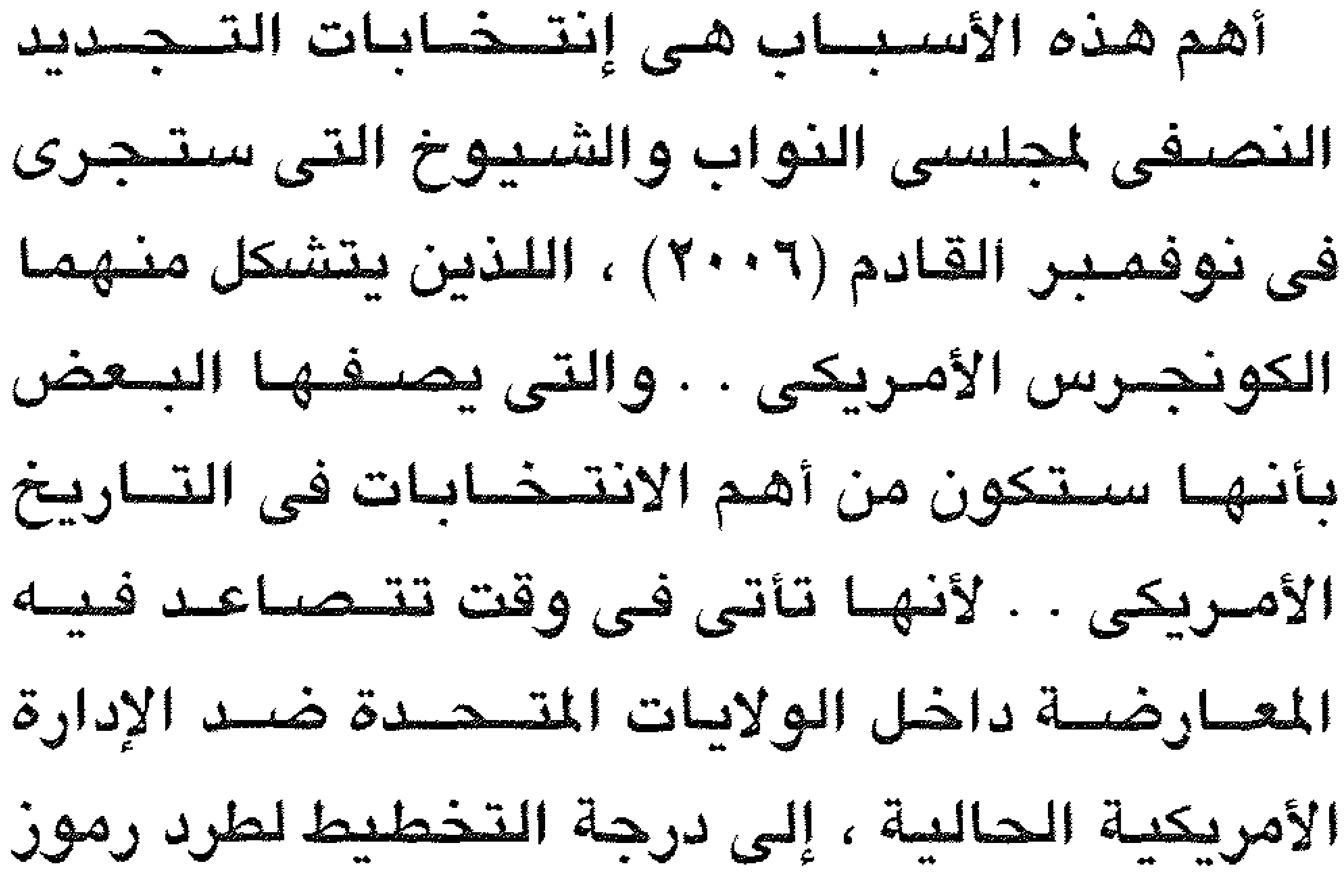


بوش الابن



ورامسفيلد

بوش الابن إلى شن حرب ـ بالوكالة ـ على جنوب لبنان (صيف ٢٠٠٦) . . ثم الاستعداد حالياً لمواجهة مع السودان وفرض عقوبات على إيران .



أهم هذه الأسباب هى إنتخابات التجديد النصفى لمجلسى النواب والشيوخ التى ستجرى فى نوفمبر القادم (٢٠٠٦) ، اللذين يتشكل منهما الكونجرس الأمريكى . . والتى يصفها البعض بأنها ستكون من أهم الانتخابات فى التاريخ الأمريكى . . لأنها تأتى فى وقت تتصاعد فيه المعارضة داخل الولايات المتحدة ضد الإدارة الأمريكية الحالية ، إلى درجة التخطيط لطرد رموز هذه الإدارة : بوش وتشينى ورامسفيلد من الحكم . . قبل انتهاء مدة الولاية الثانية لبوش فى يناير ٢٠٠٩ . .

* * *

من أكثر الأشياء التى تضعف موقف إدارة الرئيس بوش الابن وحزبه الجمهورى وهو مقبل على هذه الانتخابات . . هو ما لحق بصورة الولايات المتحدة الأمريكية فى العالم خلال فترة حكمه . . حيث «أصبحت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم» . . هذا الكلام ليس من عندى ، ولكنه التعبير الذى استخدمه مركز «بيو» الأمريكى للأبحاث ، وهو يعرض نتيجة استطلاع للرأى أجراه فى الفترة ما بين ٣١ مارس و١٤ أبريل ٢٠٠٦ ، وشارك فيه ١٧ ألف شخص من ١٥ دولة هى : مصر وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإسبانيا وروسيا واندونيسيا وباكستان والأردن وتركيا ونيجيريا واليابان والهند والصين والولايات المتحدة . . وهو استطلاع

يجريه المركز سنوياً ، وفى كل عام يقارن الأرقام التى حصل عليها بأرقام العام السابق ، فيجد أن صورة الولايات المتحدة لدى الناس قد ازدادت سوءاً . .

الأرقام على سبيل المثال تقول إن نسبة من أبدى رأياً إيجابياً فى الولايات المتحدة بلغت فى إسبانيا هذا العام (٢٠٠٦) ٢٣٪ مقابل ٤١٪ العام الماضى و٥٠٪ عام ٢٠٠٠ ، وفى فرنسا ٣٩٪ هذا العام (٢٠٠٦) مقابل ٤٣٪ العام الماضى و٦٠٪ عام ٢٠٠٠ ، وفى ألمانيا ٣٧٪ هذا العام (٢٠٠٦) مقابل ٤١٪ العام الماضى و ٧٨٪ عام ٢٠٠٠ . . !

الغريب أن هذا التدهور فى صورة الولايات المتحدة لدى الناس ، يحدث على الرغم من أن إدارة الرئيس بوش الابن رصدت عدة ملايين من الدولارات للإنفاق على تحسين هذه الصورة . . سواء بإرسال بعض مسئوليها إلى عدد من دول العالم للالتقاء بالناس مباشرة والدخول معهم فى مناقشات مفتوحة ، لعلها تفلح فى غسل الوجه الأمريكى من بقع الأكاذيب والاخفاقات والفشل التى لحقت به جراء سياسة الإدارة الحالية . . وهذا ما حاولت أن تفعله كارين هيوز وكيلة وزارة الخارجية الأمريكية للدبلوماسية العامة عندما زارت مصر وعدد من الدول العربية . . أو بدفع رشاوى لبعض الصحفيين مقابل الظهور فى برامج تليفزيونية للدفاع عن سياسة الولايات المتحدة ومهاجمة خصومها . . وهذا ما كشفت عنه الأسبوع الماضى صحيفة «ميامى هيرالد» الأمريكية . . !

أسباب هذا السوء الذى لحق بصورة الولايات المتحدة فى العالم لخصها الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر فى عبارة صغيرة . . قال : «إن إدارة بوش قوضت المعايير الأخلاقية المتبعة فى السياسة الخارجية للولايات المتحدة» . .


آناليند

كولين باول وزير الخارجية الأمريكى السابق قال أيضاً منذ أيام عن الرئيس بوش : «إن العالم بدأ يشك فى مسئوليته الأخلاقية فى الحرب على الإرهاب» . .

وقبل ذلك قالت آناليند وزيرة خارجية السويد : «إن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط حمقاء ومجنونة وخطيرة ، لأنها ستفضى إلى حرب مفتوحة . . وتكافئ شارون» . . . !

وقد دفعت ليند حياتها ثمناً لهذه المقولة . . حيث لم يمض بعد ذلك وقت طويل حتى اغتيلت طعناً بالسكين بينما كانت تتجول فى أحد المتاجر . . !

هكذا بدأت الانتقادات للسياسة الأمريكية تزداد . . خاصة مع إصرار الرئيس بوش على الاستمرار فى سياسته الخارجية المحافظة ، متحدياً الجميع ـ باستثناء اليمين المحافظ ـ سواء داخل الولايات المتحدة أو خارجها . .

أبسط دليل على ذلك هو تمسكه بالإبقاء على السجون السرية التابعة لوكالة المخابرات الأمريكية خارج الولايات المتحدة ، رغم ردة الفعل العنيفة من المجتمع الدولى . . وكذلك اصراره على الاستمرار فى سياسة تعذيب المعتقلين للحصول على اعترافات منهم ، رغم حالة الغضب والاستنكار التى عمت العالم بعد فضائح سجن أبو غريب ومعتقل جوانتانامو . .

هكذا يتصرف رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذى يريد نشر الديمقراطية فى العالم . . !

وهو بذلك يضيف كل يوم سبباً لجعل صورة الولايات المتحدة الأمريكية تزداد سوءًا فى العالم . . وهذا بالضبط ما عبرت عنه صحيفة «الإندبندنت» البريطانية فى مقال بمناسبة الذكرى الخامسة

لهجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ . . قالت : «إن العالم الذى كان متعاطفاً مع الولايات المتحدة بعد هذه الهجمات قد تغير كثيراً الآن» . . وأضافت : «إن الطريق الذى انتهجته إدارة بوش فى التلاعب بالقانون الدولى وتجاهل اتفاقيات جنيف ، أدى إلى تدمير كل مشاعر التعاطف والأخاء التى أحاطت بالأمريكيين» . . !

أما أخطر ما كشفت عنه «الإندبندنت» فى عددها الصادر يوم ١٠ سبتمبر ٢٠٠٦ هو أن الحرب على الإرهاب التى يقودها الرئيس الأمريكى بوش قد أسفرت حتى الآن عن ١٨٠ ألف قتيل فى أفغانستان والعراق ، وحوالى ٥ .٤ مليون مشرد . . وهو رقم يزيد كثيراً على من قتلتهم وشردتهم قنبلتا هيروشيما ونجازاكى النوويتان اللتان ألقتهما الولايات المتحدة على اليابان يومى ٦ و٩ أغسطس عام ١٩٤٥ . .

ألا يستحق كل هؤلاء الذين ماتوا وشردوا أن تصبح صورة الولايات المتحدة فى نظر العالم سيئة . .؟ ! وأن يؤثر ذلك على موقف إدارة الرئيس بوش والحزب الجمهورى فى انتخابات التجديد النصفى للكونجرس فى نوفمبر القادم؟

إن هذا ما يقلق بوش . .

لا سيما أن مشروع الحرب على الارهاب الذى تبنته إدارته قد فشل فشلاً ذريعًا . . رغم أنه كلف الولايات المتحدة مئات المليارات من الدولارات ، وآلاف الشباب الأمريكى الذين سقطوا ما بين قتلى وجرحى فى حربى أفغانستان والعراق ، فضلا عن الحرية المدنية التى فقدها المواطن الأمريكى بسبب الإجراءات الأمنية التى أصبح يخضع لها فى معظم انتقالاته واتصالاته ، والتى وصلت إلى درجة التنصت على هاتفه المحمول والاطلاع على بريده الاليكترونى . . كل

ذلك دون أية فائدة تعود على الشعب الأمريكى . . بل إن طالبان التى ذهب الجيش الأمريكى إلى أفغانستان للقضاء عليها عادت من جديد وأصبحت تسيطر على بعض مناطق الدولة ، كما عادت زراعة الأفيون بأكثر مما كانت عليه . . أما العراق فحدث ولا حرج ، حيث إنها تحولت الآن إلى حمام دماء لتكذب كل إدعاءات بوش من أنه قام بغزوها لتحرير الشعب العراقى من نظام صدام حسين ونشر الحرية والديمقراطية على أرض العراق . . !

ونتيجة كل ذلك . . هل نجحت إدارة بوش بالحرب التى شنتها على ما تسميه الارهاب فى توفير الاحساس بالأمن لدى الأمريكيين . . الإجابة : لا . . هذا ما انتهى إليه استطلاع للرأى نشرته الاسبوع الماضى صحيفة «نيويورك تايمز» وشبكة أنباء «سى بى إس نيوز» الأمريكيتان ، وقالتا فيه أنه رغم مرور ٥ سنوات على هجمات ١١ سبتمبر ، فمازال ٦٩٪ ممن شملهم الاستطلاع قلقون جدا من وقوع هجمات جديدة . . !

* * *

نشر المؤلف أجزاء من هذا المقال بجريدة «الجمهورية» يومى ١٣ و ٢٠/ ٩/ ٢٠٠٦

(٢)

هل يندم بوش على إسقاط صدام حسين . . ؟

■ إذا كان انهيار الاتحاد السوفييتى كقوة عظمى «تم» على يد بوش الأب . . فإن انهيار الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى «بدأ» على يد بوش الابن . . . !

ـ كيف ذلك . . ؟

ـ القصة طويلة . . ملخصها أنه بسقوط طالبان فى أفغانستان وصدام حسين فى العراق على يد بوش الابن . . تخلصت الثورة الإسلامية فى إيران من ألد أعدائها اللذين كانا يحاصرانها من اليمين ومن اليسار ، ويفرضان عليها عزلة جغرافية تضاف إلى العزلة الدولية التى كانت مفروضة عليها من العالم بسبب أفكار الإمام الخومينى قائد هذه الثورة . . . !

الآن أصبحت الساحة مفتوحة أمام الإيرانيين من حدود الصين شرقاً إلى شواطئ لبنان على البحر المتوسط غرباً .

لم يعد لهم عدو بطول هذه الأرض وعرضها ، فالناس فيها صنفان : إما شيعة يأتمرون بأمر إيران ، وإما أصدقاء مخلصون لها مثل

النظام الحاكم فى سوريا . . حتى طالبان عندما بدأت تعود إلى الظهور فى أفغانستان من جديد ، طوت صفحة العداء مع إيران وأصبحت تعتمد عليها كأحد مصادر السلاح فى الحرب ضد عدوهما المشترك : أمريكا .

هكذا بدأ ظهور إيران كقوة اقليمية ذات تأثير ونفوذ فى منطقة واسعة من العالم . . قوة تحمل أجندة وأفكارا مناوئة للولايات المتحدة ، بل وتصفها فى خطابها السياسى الرسمى بأنها «الشيطان الأكبر» !

لم تكن الإدارة الأمريكية برئاسة بوش الابن تدرك بعد حجم هذه القوة . . ربما كانت قد بدأت تحس بوجودها فقط . . !

المهم أن الإدارة الأمريكية تحركت للتصدى لهذه القوة . . وسواء كان هذا التحرك إنطلاقاً من الإحساس بوجود هذه القوة البازغة والرغبة فى تحجيمها . . أو إنطلاقاً من كونها المحطة التالية فى قطار الحرب الأمريكية على ما تسميه الإرهاب باعتبارها من محور الشر فى التصنيف الأمريكى . . فإن الإدارة الأمريكية ظنت أنها يمكنها أن تكرر مع إيران نفس السيناريو الذى نفذته من قبل مع العراق . . لذلك فتحت ملف البرنامج النووى الإيرانى وأخذت تطلق التهديدات باللجوء إلى الخيار العسكرى لقصف المنشآت النووية فى إيران ، إذا لم تجمد إيران هذا البرنامج . . !

لكن إيران رفضت تجميد البرنامج وأعلنت عن استعدادها لمواجهة أى عدوان عسكرى عليها . . الأمر الذى شكل تحديا للإدارة الأمريكية ووضعها فى موقف صعب ، فبدأت تدرس السيناريوهات الممكنة للقيام بعمل عسكرى ضد إيران ، وسربت هذه السيناريوهات إلى وسائل الإعلام لعل إيران تخاف وتتراجع . .

لكن إيران لم تخف ولم تتراجع ، بل طردت مفتشى الوكالة الدولية للطاقة الذرية وشنت هجوماً عنيفاً على الولايات المتحدة وصديقتها إسرائيل التى دعا الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد إلى إزالتها من الوجود وشكك فى محرقة الهولوكست . .

ثم كانت المفاجأة الكبرى عندما أعلن نجاد عن نجاح العلماء الإيرانيين فى تخصيب اليورانيوم وانضمام بلاده إلى عضوية النادى النووى مطالباً العالم بالتعامل مع إيران اعتبارًا من ذلك اليوم بأنها دولة نووية . . ! !

هكذا وجد بوش نفسه فى هذا الموقف :

- بالأمس تحدى إرادة المجتمع الدولى . . وأرسل القوات الأمريكية إلى العراق دون تفويض من الأمم المتحدة لاسقاط صدام حسين بدعاوى كاذبة وملفقة عن امتلاكه برنامجاً نووياً سرياً .

- اليوم . . يعلن أحمدى نجاد رئيس الدولة رقم ٢ فى محور الشر الأمريكى عن امتلاكه برنامجًا نوويًا متطورًا . . بل ويهاجم الولايات المتحدة الأمريكية ويهدد بإزالة إسرائيل من الوجود . . وهو ما لم يفعله من قبل أى رئيس دولة فى العالم . . !

إذن . . لابد على الإدارة الأمريكية أن تصدق مع نفسها وتنفذ ما سبق أن هددت به وهو قصف المنشآت النووية فى إيران .

لكنها اكتشفت أنها إذا دخلت هذه المعركة فسوف تخسرها . .

لماذا؟

١ ـ لأن فكرة تدمير المشروع النووى الإيرانى شبه مستحيلة ! .. ذلك لأنه ينتشر فى أكثر من ٤٠ موقعاً معظمها له أنفاق تحت الأرض فى مناطق جبلية . . فضلاً عن أن هذه المواقع محاطة بدفاعات أرضية متطورة .

٢ ـ لأن القواعد العسكرية الأمريكية المنتشرة فى دول الخليج ستكون تحت مرمى الصواريخ الإيرانية . . وكذلك القوات الأمريكية فى العراق ـ أكثر من ١٣٠ ألف جندى ـ ستصبح تحت حد السكين الإيرانى نظراً لأن إيران لها حضور قوى جداً فى العراق ، سواء من الناحية الاستخباراتية أو المادية أو المعنوية . . جيش بدر جاهز . . ومقتدى الصدر أعلن انتظاره تلقى الاشارة من طهران للهجوم على القوات الأمريكية فى العراق . . !

٣ ـ تستطيع إيران بسهولة إغلاق مضيق هرمز الذى يمر منه ٤٠٪ من حجم الإنتاج العالمى من البترول فترتفع بذلك أسعار البترول إلى أرقام فلكية . . فضلاً عن أن جميع القطع البحرية فى الخليج ستصبح أسيرة لدى إيران . . !

٤ ـ أن إيران تمتلك شبكة متطورة من الصواريخ تغطى كامل أراضى ومدن إسرائيل ، وتستطيع أن تصل إلى كثير من العواصم الأوروبية ، مما سيجعل الدول الأوروبية ترفض الاشتراك مع الولايات المتحدة فى أى عمل عسكرى ضد إيران . . !

هكذا شعرت الولايات المتحدة أنها لهذه الأسباب عاجزة عن الدخول فى مواجهة عسكرية مع إيران . . وكان هذا العجز هو

أول علامات بدء سقوط الولايات المتحدة الأمريكية من عرش القوة العظمى الوحيدة فى العالم . . على يد بوش الابن . . !

فهل كان يمكن أن يحدث هذا للولايات المتحدة ، لو كان صدام حسين مازال فى السلطة . .؟ !

ألم يكن قرار بوش الإطاحة بصدام حسين قراراً غبياً . . على الأقل من الناحية الاستراتيجية . .؟

إن بوش الابن هو أغبى رئيس أمريكى منذ أكثر من قرن . . هذا ما كشفت عنه دراسة أمريكية قام بها أخصائيون فى علم النفس من جامعة كاليفورنيا ، ونشرت بوسائل الإعلام هذا الشهر . . !

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٢٧/ ٩/ ٢٠٠٦

الفصل الثالث عشر

محاولات أمريكية لحفظ ماء الوجه..

"انتهى ذلك الزمن الذى كان فيه الجنود الأمريكيون يكتبون الأحرف الأولى من أسمائهم وأسماء صديقاتهم على الصواريخ التى يطلقونها على المدن فى أفغانستان والعراق . . لأن الجندى الأمريكى أصبح يتقهقر الآن إلى الوراء . . فى معظم مناطق العالم . . إنه الزمن الجديد . . ! "

(١)

عالم جديد .. بدلاً من شرق أوسط جديد

■ يمكن تأريخ قيام كوريا الشمالية بتجربة نووية يوم ٩ أكتوبر ٢٠٠٦ كواحد من أهم الأحداث التى شهدها العالم فى السنوات الأخيرة .. ليس فقط لأنه مؤشر خطير على انتشار الأسلحة النووية ، حيث انها ثالث دولة بعد الهند وباكستان تعلن عن امتلاكها هذا السلاح خارج النادى النووى الذى ظل مغلقاً عدة عقود على الدول الخمس الكبرى دائمة العضوية فى مجلس الأمن .. بالاضافة طبعاً إلى إسرائيل التى تمتلك ترسانة ضخمة من الأسلحة النووية ولم تعلن عنها ..

لكن الأهم من ذلك هو أن إقدام كوريا الشمالية على هذه التجربة ، وإعلانها عن ذلك فى وسائل الإعلام بطريقة تتسم بالتحدى للولايات المتحدة الأمريكية ، بل ومصحوبة بالتهديد باطلاق صاروخ يحمل رأساً نووية اذا لم تقدم الولايات المتحدة تنازلات لها على مائدة المفاوضات .. إنما يدشن لبداية عصر جديد فى تاريخ العالم .. ينهى ما كان يعرف بعصر القوة العظمى الوحيدة الذى انفردت فيه الولايات المتحدة بقيادة العالم بعد انهيار الاتحاد السوفييتى ، والذى اتسم بتعطيل الشرعية الدولية وتوظيف الأمم المتحدة لخدمة المصالح الأمريكية .. ! !

بل وصل الأمر إلى تقسيم العالم على قاعدة : «من ليس معنا فهو ضدنا» إستناداً إلى اختلال ميزان القوة العالمى بشكل صارخ لصالح الولايات المتحدة وحلفائها . . !

الآن . . دخل العالم عصراً جديداً . . لم تعد فيه الولايات المتحدة الأمريكية هى القوة العظمى الوحيدة التى تقود العالم ، بل ظهرت قوى أخرى أخذت تعمل على إعادة التوازن إلى ميزان القوة العالمى ، ليعود كما كان قائماً فى عصر الحرب الباردة وان اختلفت أطرافه هذه المرة . . قد يسميه البعض «التوازن الأمنى» . . أو «توازن الرعب النووى» . . المهم هو أن نعيش فى عالم متوازن لا تستفرد فيه دولة واحدة بالسيطرة على العالم وقيادته وفقًا لمصالحها وأهوائها ، التى قد تتقلص أحياناً إلى مستوى الاعتبارات الشخصية لرئيس هذه الدولة . . بالضبط كما فعل الرئيس الأمريكى السابق بيل كلينتون عندما قصف بغداد بالصواريخ فى ديسمبر عام ١٩٩٨ لمجرد صرف أنظار الشعب الأمريكى عن فضيحته الجنسية مع مونيكا لوينسكى . . !

شهادة ميلاد هذا العصر الجديد الذى دخله العالم بتجربة كوريا الشمالية النووية . . هى قرار مجلس الأمن رقم ١٧١٨ الذى صدر يوم السبت ١٤ أكتوبر ٢٠٠٦ .. والذى أسدل الستار تماماً على عصر زعامة الولايات المتحدة الأمريكية للعالم . .

- كيف . .؟

١ - القرار ١٧١٨ جاء ضعيفاً . . لا يكاد يضيف شيئاً ذا قيمة إلى العقوبات التى نص عليها القرار ١٦٩٥ الذى صدر فى ١٥ يوليو ٢٠٠٦ عقب قيام كوريا الشمالية بتجربة اطلاق صاروخ باليستى . . وكلها تدور حول حظر شراء أو بيع الأسلحة الثقيلة من وإلى كوريا الشمالية ، وعدم

تزويدها بالمواد الكيماوية والبيولوجية ذات الاستخدام المزدوج ، أو تقديم المساعدة الفنية والنصائح المرتبطة بإنتاج المعدات العسكرية . . وهى عقوبات لم تعبأ بها كوريا الشمالية عندما صدرت فى القرار ١٦٩٥ وواصلت أنشطتها النووية حتى انتجت القنبلة .

٢ - لم تلتزم معظم الدول الفاعلة فى العالم . . وعلى رأسها روسيا والصين . . بتطبيق العقوبات التى نص عليها القرار ١٦٩٥ ، وبالتالى فليس من المتوقع ان تلتزم بتطبيق العقوبات التى نص عليها القرار ١٧١٨ .. خاصة أن الصين سجلت تحفظها عند التصويت على القرار ، على مسألة «تفتيش الحمولات المتجهة إلى أو الصادرة من كوريا الشمالية لمنع تهريب الأسلحة النووية والكيميائية أو البيولوجية» - بنص القرار - . . وهذا يعنى أن الصين لن تفتش هذه الحمولات . .

وبما ان الصين تشترك مع كوريا الشمالية فى حدود برية تمتد إلى مئات الكيلو مترات ، وفى مياه إقليمية واسعة عن اليمين وعن الشمال . . وهى الشريك التجارى رقم واحد لكوريا الشمالية ، فضلاً عن مصلحة كل من روسيا والصين فى دعم واستقرار النظام الحاكم حالياً فى كوريا الشمالية لأسباب تتعلق بالتوازن الأمنى فى شرق آسيا . . يصبح القرار ١٧١٨ بلا قيمة تذكر . . حتى تكاد قيمته لا تساوى ثمن الورق الذى طبع عليه . . !

٣ - أن الولايات المتحدة الأمريكية التى أرسلت بالأمس جيشها وأساطيلها لغزو العراق ودمرته بالكامل بذريعة الاشتباه فى وجود برنامج نووى لديه . . أصبحت اليوم عاجزة تماماً عن القيام بأى تحرك عسكرى فى مواجهة دولة انتجت سلاحاً نووياً بالفعل . . بل حتى عاجزة عن التلويح بالتحرك العسكرى ، وتقف فى موقف «الخائف» منها . . !

الدليل على ذلك ما أوردته وكالات الأنبـاء يوم ١١ أكـتوبر ٢٠٠٦ - أى بعد التجربة النووية الكورية بـ ٤٨ ساعة فقط - على لسان كيم يونج نام الرجل الثانى فى كوريا الشمالية من أن إجراء بلاده تجربة نووية ثانية سيعتمد على السياسية الأمريكية . . وقال : «اذا استمرت واشنطن فى اتخاذ موقف عدائى ومارست الضغوط على بيونج يانج ، فلن يكون أمامنا خيار سوى اتخاذ خطوات عملية للتعامل مع الأمر» . . !

- فبماذا ردت واشنطن على ذلك ؟ . .

- جاء الرد فى اليوم نفسه على لسان الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن ، حيث أكد تمسك الولايات المتحدة بالدبلوماسية فى معالجة الملف الكورى وعدم وجود نية لديها لمهاجمة كوريا الشمالية . . ! !

فى اليوم نفسه أيضاً قالت كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية : «لقد أكد الرئيس بوش للكوريين الشماليين أنه لا توجد نية لغزو بلادهم أو اجتياحها ، وبذلك فهم لديهم ضمانات . . لا أعرف ماذا يريدون بعد ذلك . .؟» .

- هكذا أصبحت التصريحات تعكس ميزان القوة بين الدولتين . . مع التسليم طبعاً بأن الولايات المتحدة هى الأقوى اقتصادياً وعسكرياً . . وبفارق كبير . . إلا أنها فى حقيقة الأمر لم تعد تستطيع استخدام قوتها بشكل مطلق كما كان يحدث فى الماضى .

٤ - ان الولايات المتحدة فشلت فى إقناع كل من روسيا والصين بإسناد القرار ١٧١٨ إلى المادة ٤٢ من الفصل السابع التى تجيز استخدام القوة المسلحة لتنفيذ العقوبات المنصوص عليها فى القرار . . وصدر القرار بموجب المادة ٤١ بعد جهود مضنية بذلتها الولايات المتحدة من

أجل أن يرد فى القرار ذكر اسم «الفصل السابع» لمجرد حفظ ماء وجهها. . ولكى تظهر أمام العالم بأنها استطاعت استصدار قرار بالإجماع من مجلس الأمن تحت الفصل السابع بفرض عقوبات على كوريا الشمالية . . لكن فى حقيقة الأمر . . لا العقوبات ستطبق . . ولا المادة ٤١ تجيز العمل العسكرى . . ! !

٥ - ينص القرار ١٧١٨ على إدانة كوريا الشمالية لقيامها بتجربة نووية ، ويطالبها بعدم القيام بتجربة نووية أخرى أو اطلاق صاروخ باليستى . . وفى المقابل ردت كوريا الشمالية على ذلك بإعلان رفضها للقرار الذى وصفته بأنه غير مبرر وغير عادل . . كما وصفت مجلس الأمن الدولى بـ«العصابة» لتبنيه هذا القرار . . جاء ذلك على لسان المندوب الدائم لكوريا الشمالية بالأمم المتحدة فى الكلمة التى ألقاها أثناء اجتماع مجلس الأمن للتصويت على القرار . . !

٦ - فى الكلمة نفسها أيضاً وجه مندوب كوريا الشمالية تهديداً صريحاً إلى الولايات المتحدة بالاسم . . ومن مقر مجلس الأمن . . بأنها اذا واصلت الضغط على بلاده . . فإن كوريا الشمالية ستعتبر ذلك بمثابة إعلان حرب وستتخذ إجراءات مضادة للولايات المتحدة . . وقال : «كلما زادت الضغوط على بيونج يانج ، فإن ردها سيكون أكثر قوة» . . !

* * *

لقد فشلت الولايات المتحدة الأمريكية فى صنع شرق أوسط جديد . . ونجحت كوريا الشمالية فى صنع عالم جديد . . أليس كذلك . . ؟ !

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٦

(٢)

■ أنتجت كوريا الشمالية السلاح النووى بالفعل ، وأصبحت قادرة على تحميله على صواريخ متوسطة وبعيدة المدى يمكن أن تغطى كل مساحة اليابان وكوريا الجنوبية وجزر هاواى الأمريكية فى المحيط الهادى . .

معنى ذلك أن ٣٥ ألف جندى أمريكى فى كوريا الجنوبية ، ومثلهم تقريباً فى اليابان . . وكل القطع البحرية الأمريكية المتواجدة فى منطقة شرق آسيا . . والمواطنين الأمريكيين الذين يعيشون فى جزر هاواى وهونولولو . . كل هؤلاء أصبحوا فى مرمى صواريخ كوريا الشمالية النووية . . !

هذا الوضع الجديد الذى أوجدته التجربة النووية لكوريا الشمالية . . جعل الولايات المتحدة أصبحت فى موقف متراجع كثيراً عن مواقفها السابقة التى كانت تتسم بالغطرسة والغرور .

لم تعد تتحدث عما كانت تسميه بـ«الحروب الإستباقية» . . لأنها تعرف انها ستدفع ثمناً مهولاً إذا دخلت حرباً ضد كوريا الشمالية . . ! حتى كلمة «الخيار العسكرى» لم تعد ترد فى أى تصريح على لسان أى مسئول أمريكى ولو من باب التلويح فقط . . !

- إذن . . ما الذى يمكن أن تفعله الولايات المتحدة الآن . . ؟

- أقصى ما يمكن أن تفعله هو بذل المحاولات لحفظ ماء وجهها الذى أراقه الكوريون الشماليون يوم ٩ أكتوبر ٢٠٠٦ بتجربتهم النووية الأولى . . !

وقد بذلت الولايات المتحدة محاولتين حتى الآن . . لكنهما فشلتا فشلاً ذريعاً . .


كوندوليزا رايس

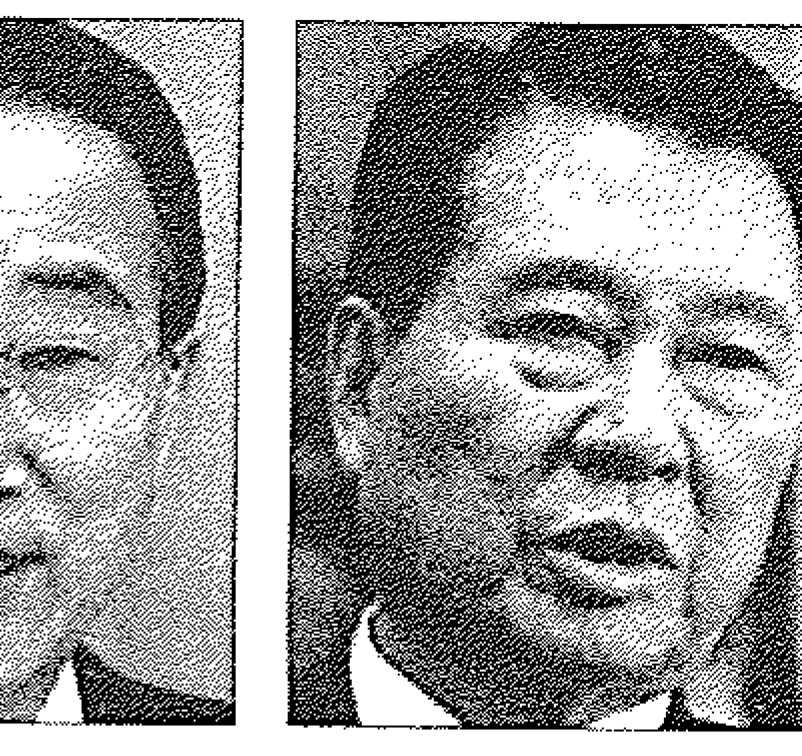
- المحاولة الأولى . . قامت بها وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس فى الفترة من يوم الأربعاء ٢٠٠٦/١٠/١٨ إلى يوم الأحد ٢٠٠٦/١٠/٢٢ . . وهى عبارة عن جولة فى منطقة شرق آسيا شملت اليابان وكوريا الجنوبية والصين ، واختتمتها بزيارة إلى روسيا . . وذلك لحث هذه الدول على تطبيق العقوبات التى فرضها مجلس الأمن على كوريا الشمالية بالقرار ١٧١٨ .. لكنها لم تسمع من هذه الدول ما يمكن أن يطمئنها بأنها سوف تشارك فعلاً فى تطبيق العقوبات . . سمعت عبارات دبلوماسية فقط . . على سبيل المثال ما جاء على لسان وزير خارجية اليابان «تارو آسو» من ان بلاده «على استعداد للتشاور مع دول مجلس الأمن مجدداً وممارسة الضغوط لفرض عقوبات صارمة اذا أصرت كوريا الشمالية على إجراء تجربة نووية جديدة» . . معنى ذلك ان اليابان فى الوقت الحالى لن تشارك فى تطبيق العقوبات على كوريا الشمالية . . !

الأكثر من ذلك أن اليابانيين نقلوا إلى رايس مخاوفهم من رد فعل كوريا الشمالية عليهم اذا ما وقعت ضدها أية عقوبات ، وبدأوا يتحدثون عن حاجتهم لإنتاج السلاح النووى لمواجهة تهديدات كوريا الشمالية . . فلم تجد رايس ما تقوله سوى طمأنتهم بأن

«الولايات المتحدة مستعدة للدفاع عن اليابان فى مواجهة أى تهديد كورى شمالى» . . !

* * *

الكلام نفسه سمعته رايس من الكوريين الجنوبيين ولكن بصيغة أخرى وسيناريو مختلف ، فيما يمكن وصفه بعملية توزيع أدوار . . فقبل أن تهبط طائرتها فى مطار سول ، بثت وكالات الأنباء تصريحاً على لسان رئيس كوريا الجنوبية السابق «كيم داى جونج» قال فيه : «إن فرض عقوبات على كوريا الشمالية سيؤدى إلى مصادمات خطيرة وإلى دفع بيونج يانج إلى بيع التكنولوجيا النووية لإيران» . . كما أكد رفضه لممارسة ضغوط على كوريا الشمالية لأن ذلك قد يدفعها للجوء إلى استخدام القوة فى مواجهة هذه الضغوط ، وكرر موقفه الداعى إلى عقد محادثات مع كوريا الشمالية . .



بان كى مون ― كيم داى جونج

أما وزير خارجية كوريا الجنوبية «بان . كى . مون» الذى ساعدت الولايات المتحدة فى انتخابه سكرتيراً عاماً للأمم المتحدة ويتولى مهام منصبه الجديد خلفاً لكوفى عنان فى الأول من يناير ٢٠٠٧ . . فلم يجد أمامه من خيار سوى اقرار العقوبات الدولية التى نص عليها قرار مجلس الأمن ١٧١٨ .. باعتبار الرجل بدأ يعد نفسه من الآن للجلوس فى مقعد سكرتير عام الأمم المتحدة ، وبالتالى فهو لا يملك سوى التأكيد على شرعية القرار والدعوة إلى تطبيقه . .

إلا أن الرد جاء من بيونج يانج بأسرع مما يتصور «بان . كى . مون» ، حيث قالت صحيفة «رودونج سينمون» الناطقة باسم الحزب الحاكم فى كوريا الشمالية : «ان الخيانة التى ارتكبتها كوريا الجنوبية بإقرارها العقوبات الدولية ضد كوريا الشمالية ستؤدى بالعلاقات بين الدولتين إلى اختبار «القوة والحرب» . . !

هذا الرد دفع الكوريين الجنوبيين إلى التعبير عن مخاوفهم لكونداليزا من تصعيد الأزمة مع جارتهم بسبب العقوبات . . فتقوم الجارة بإعلان الحرب عليهم . . فلم تجد وزيرة الخارجية الأمريكية ما تقوله لهم سوى طمأنتهم بأن الولايات المتحدة ستظل ملتزمة باتفاقية الدفاع المشترك التى وقعتها مع كوريا الجنوبية . .

لكن هذه «الطمأنة» لم تكن كافية بالنسبة للكوريين الجنوبيين . . فقرروا ارسال رسالة إلى جارتهم الشمالية من خلال عملية توزيع الأدوار التى اتقنوها تماماً مع كونداليزا . . الرسالة انطلقت على ألسنة رجال الأعمال فى كوريا الجنوبية الذين أكدوا استمرار العمل فى مشروعاتهم المشتركة مع كوريا الشمالية واعتبار هذه المشروعات خارج نطاق العقوبات التى نص عليها القرار ١٧١٨ .. !

* * *

- فى بكين . . تعرضت كونداليزا رايس لأكبر عملية "استخفاف" يمكن ان يتعرض لها وزير خارجية إحدى الدول . .

لقد أخبرها الصينيون انهم أرسلوا وفداً إلى بيونج يانج لمقابلة الزعيم الكورى الشمالى «كيم جونج إيل» ، وأن الوفد سلمه «رسالة شديدة للغاية حول خطورة ما حدث» . . هكذا قالت رايس بلسانها يوم الجمعة الماضى

عقب اجتماعها مع عدد من القادة الصينيين . . فى الوقت نفسه نشرت صحيفة «شوشون ايلبو» الكورية الجنوبية استناداً لمصادر فى الوفد الصينى الذى زار بيونج يانج ، ان زعيم كوريا الشمالية أعرب للوفد الصينى عن أسفه للتجربة النووية التى أجرتها بلاده يوم ٩ أكتوبر ، وأكد استعداده لتقديم «تنازلات» فى حال قامت الولايات المتحدة بالمثل . .

ورغم أن هذا الكلام غير صحيح . . والدليل على ذلك أن كوريا الشمالية نظمت مسيرة ضمت مائة ألف مواطن وعسكرى احتفالاً بتجربتها النووية . . الا أن رايس صدقت الكلام . . والبيت الأبيض فرح به وأعلن ان هذا الأسف ما هو إلا دليل على أن العقوبات التى فرضها مجلس الأمن على كوريا الشمالية بدأت تؤتى ثمارها . . !

صحيح أن رايس اكتشفت بعد ذلك الحقيقة . . لكن تصريحها بأن الوفد الصينى حمل رسالة شديدة للغاية إلى زعيم كوريا الشمالية . . وكذلك رد فعل البيت الأبيض بهذه السرعة على قصة مختلقة منشورة بإحدى صحف كوريا الجنوبية . . يكشف إلى أى مدى أصبح الأمريكيون فى حاجة إلى ما يساعدهم على حفظ ماء وجوههم . . ولو باختلاق الأكاذيب . . !

- عدا ذلك لم تسمع رايس شيئاً جديداً لا فى بكين . . ولا فى موسكو . . لكنها أدركت ان طريق فرض العقوبات على كوريا الشمالية مغلق تماماً ولا أمل فيه . . فضلاً عن أن كلا من اليابان وكوريا الجنوبية ، وهما أكبر حليفتين للولايات المتحدة فى شرق آسيا . . تعيشان فى قلق بالغ وخوف من تهديدات كوريا الشمالية . . وأن القواعد العسكرية الأمريكية فى هاتين الدولتين لا تقدر على حمايتهما . . لذلك بدأت رايس تتحدث لغة جديدة تدعو فيها إلى التهدئة . . وأنا هنا أنقل تصريحاتها بالنص . . قالت : «ان الطريق أمام كوريا الشمالية

مازال مفتوحاً للتفاوض بشأن برنامجها النووى العسكرى» . . «نريد أن نترك مسار المفاوضات مفتوحاً ، لا نريد للأزمة ان تتصاعد» . . «ان الولايات المتحدة لا تعتزم ولا ترغب ولا تتمنى مهاجمة أو غزو كوريا الشمالية . . ان هدف الولايات المتحدة هو جعل شبه الجزيرة الكورية خالية من الأسلحة النووية» . .

ويبدو أن وزيرة الخارجية الأمريكية قد نسيت أن ما تقول عنه أنه هدف الولايات المتحدة الآن . . سبق ان نادت به كوريا الشمالية كثيراً ولم يسمع نداءاتها أحد . . لكن يبدو أن الولايات المتحدة وهى تحاول إنقاذ ماء وجهها أصبحت تنسى أشياء كثيرة . . !

* * *

أما المحاولة الثانية التى قامت بها الولايات المتحدة لحفظ ماء وجهها أمام العالم . . فهى المناورات المشتركة التى أجرتها هذا الأسبوع مع كوريا الجنوبية . . ورغم أن هذه المناورات عادية جداً ، وتجرى كل عام ، إلا أن كوريا الشمالية وصفتها بأنها تمثل تهديداً لأمنها واعتبرتها «دعوة للحرب» . . فلم تستطع الولايات المتحدة أن ترد على ذلك سوى بلغة التهدئة والدعوة للحوار . . ! !

هكذا أصبح صوت كوريا الشمالية فى العالم أعلى من صوت الولايات المتحدة . . ! !

وانتهى ذلك الزمن الذى كان فيه الجنود الأمريكيون يكتبون الأحرف الأولى من أسمائهم وأسماء صديقاتهم على الصواريخ التى يطلقونها على المدن فى أفغانستان والعراق . . لأن الجندى الأمريكى أصبح يتقهقر الآن إلى الوراء . . فى معظم مناطق العالم . . إنه الزمن الجديد . . ! ! ! !

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٢٥/ ١٠/ ٢٠٠٦

الفصل الرابع عشر

الأزمة الاقتصادية: هل هى مؤامرة أمريكية؟!

"لعله من الصواب أن نفسح مساحة لعلامات الإستفهام، ونحن نناقش الأزمة الاقتصادية العالمية التى ظهرت مؤخراً .."

■ لعله من الصواب أن نفسح مساحة لعلامات الإستفهام ، ونحن نناقش الأزمة الاقتصادية العالمية التى ظهرت مؤخراً . . وهنا أريد أن أسجل عدة نقاط :

١ - عندما تحدث أزمة اقتصادية فى أى دولة بالعالم ، لابدِ أن يصاحبها انهيار لعملة هذه الدولة . . وأقرب مثال على ذلك ما حدث فى صيف عام ١٩٩٧ لعملات دول شرق آسيا . . فعندما حدثت الأزمة الاقتصادية هناك ، والتى عرفت بإسم «مذبحة النمور الآسيوية» ، صاحبها انهيار سريع لعملات هذه الدول . . حيث فقدت بعضها ٩٠٪ من قيمتها خلال أيام قليلة ، حتى تحولت النقود فى أيدى الناس إلى مجرد أوراق ملونة غير قادرة على شراء احتياجاتها . . وانتشرت بسبب ذلك الفوضى والاضطرابات . . وسقطت حكومات . . إلى أخر التداعيات التى ترتبت على هذه الأزمة . . لكن فى حالة الأزمة الاقتصادية العالمية الأخيرة - وهى أمريكية الأصل والمنشأ ثم اكتسبت صفة «العالمية» بعد أن انتقلت تداعياتها إلى أوروبا وآسيا والمنطقة العربية - نجد أن الدولار الأمريكى أخذ يزداد قوة ويرتفع سعره فى مواجهة العملات القوية الأخرى مثل اليورو . . وهذا مخالف لكل القواعد الاقتصادية

المعروفة . . بل حتى مخالف للعقل والمنطق والتوقعات . . فكيف حدث ذلك . . ؟ !

* * *

٢ - صاحب الأزمة الاقتصادية الحالية أيضا انخفاض فى سعر برميل البترول من ١٤٧ دولاراً إلى ٦٣ دولاراً فقط «حتى كتابة هذه السطور» . . وقد حدث هذا الانخفاض خلال فترة وجيزة . . بالطبع سيقولون إن سبب انخفاض أسعار البترول هو حالة الركود التى صاحبت الأزمة الاقتصادية ، والتى أدت بدورها إلى انخفاض الطلب على البترول . . وهذا الكلام يبدو صحيحاً من الناحية النظرية ، لكن لا يجب التسليم به كمبرر كاف لانخفاض أسعار البترول بهذه السرعة ، وإلى هذا المستوى الذى لم يكن أحد يتوقعه . . وذلك لأسباب كثيرة ، منها أن الركود يصاحبه انخفاض فى أسعار معظم السلع بدرجات متقاربة ، وليس انخفاضاً فى سعر سلعة واحدة فقط هى : البترول . . الذى يعد السلعة الاستراتيجية الأولى بالنسبة للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى .

أما المكاسب التى عادت على الولايات المتحدة من إنخفاض سعر البترول ، فيمكن أن نعرفها بعملية حسابية بسيطة :

- حجم الاستهلاك اليومى للولايات المتحدة من البترول ٢٥ مليون برميل × ٨٣ دولاراً قيمة الانخفاض فى سعر البرميل الواحدة

= ٢١٠٠ مليون دولار . . أى أن الخزانة الأمريكية أصبحت توفر كل يوم مليارين و١٠٠ مليون دولار ، بسبب الانخفاض الذى حدث فى أسعار البترول خلال الأزمة الاقتصادية الأخيرة . . !

- حاصل مجموع هذا المبلغ فى العام = ٧٦٦,٥ مليار دولار .
- فإذا علمنا أن الكونجرس الأمريكى وافق على اعتماد ٦١٢ مليار دولار للإنفاق العسكرى الأمريكى فى عام ٢٠٠٩ «طبقًا لما جاء على شريط الأخبار فى قناة الجزيرة يوم ٢٠٠٨/٩/١٨» . . تكون بذلك الولايات المتحدة قد استطاعت تدبير نفقاتها العسكرية للعام القادم . . بل وأكثر بمبلغ «٧٦٦,٥ - ٦١٢» = ١٥٤,٥ مليار دولار . . من بند واحد هو : انخفاض أسعار البترول . . . !
- فهل استفادت الولايات المتحدة من الأزمة الاقتصادية . . أم تضررت ؟ !

* * *

- نأتى بعد ذلك إلى تداعيات الأزمة الاقتصادية على دول الخليج العربى ، باعتبارها أكثر دول العالم ارتباطاً بالإقتصاد الأمريكى . . وأكثر دول العالم تأثراً بإنخفاض أسعار البترول لكونه يشكل أهم صادراتها ومصدر دخلها الرئيسى .
- فمعظم دول الخليج وضعت موازناتها عندما كانت أسعار البترول مرتفعة . . وافترضت أسوأ الاحتمالات على أساس أن سعر برميل البترول لن ينخفض عن ٦٦ دولاراً . . وبالتالى سيتحقق لها دخل سنوى قيمته كذا كذا . . لكنها فوجئت الآن بما هو أسوأ من أسوأ الاحتمالات التى افترضتها ، وهو انخفاض سعر البرميل إلى ما دون الـ ٦٦ دولاراً التى بنت على أساسه حساباتها . . وبالتالى فهذه الدول سوف تشهد العام القادم عجزاً فى موازناتها . . صحيح أنها تستطيع تغطية هذا العجز بسهولة ، لكنها فى النهاية تكون بذلك قد تحملت فى موازناتها جزءاً من عجز الموازنة الأمريكية . . !

بالضبط . . كما أن المواطن الخليجى قد تحمل بخسارته فى بورصات الخليج ، جزءاً من خسائر البورصة الأمريكية . . !

- أما الخطر الأكبر على دول الخليج من الأزمة الاقتصادية . . فهو مصير ودائعها بالبنوك الأمريكية والغربية .

- الأرقام المتاحة فى وسائل الإعلام تقول إن دول الخليج تدخر فى هذه البنوك حوالى ٣ تريليونات دولار «التريليون = ألف مليار» . . وبما أن معظم هذه البنوك على وشك الإفلاس . . إذن فهذه الأموال فى خطر . . !

وعندما نقول فى «خطر» . . فهذا لا يعنى أن هذه الأموال قد تبخرت . . أو ذابت فى ماء البحر . . أو أكلها الذئب . . ولكن يعنى أنه تم انفاقها أو استثمارها داخل الولايات المتحدة . . لكن مسألة عودتها إلى أصحابها الخليجيين تكون «غير مضمونة» إذا ما أعلنت البنوك الأمريكية إفلاسها . . !

بذلك تكون الولايات المتحدة قد حصلت من دول الخليج العربى على آلاف المليارات من الدولارات كودائع . . واستفادت بها . . ثم أصبح مصير هذه المليارات الآن ، مثل مصير أموال المستثمرين فى شركات توظيف الأموال فى مصر . . عندما أفلست ووضعت تحت حراسة المدعى العام الاشتراكى ، فقام بتصفيتها ووزع العائد على المستثمرين . . فكان نصيب بعضهم عبارة عن أكياس مكرونة وقطع صابون وأطباق بلاستيك . . ! !

* * *

٣ - هذا الكلام لابد أن يذكرنا بمقال لوزير الخارجية الأمريكى الأسبق هنرى كيسنجر نشره بجريدة «انترناشيونال هيرالد تريبيون» فى شهر سبتمبر ٢٠٠٩ قبل أيام قليلة من انفجار الأزمة

الاقتصادية بالولايات المتحدة . . فى هذا المقال وصف كسينجر عائدات دول الخليج من ارتفاع أسعار البترول بأنه «يمثل أكبر عملية انتقال للثروة فى تاريخ البشرية» . . وأعرب عن قلقه من أن الأموال الأمريكية تنتقل إلى الخليج كثمن للبترول الذى تستورده الولايات المتحدة من دول الخليج . . ثم ساق مثالاً على ذلك بإمارة أبوظبى ، فقال إن احتياطها من البترول يبلغ ٩٢ مليار برميل ، وثروتها تقدر بأكثر من تريليون دولار . . بينما تعداد سكانها ٤٠٠ ألف نسمة فقط . . !

- لقد آثار كسينجر بهذا المقال علامة استفهام كبيرة حول طبيعة الأزمة الإقتصادية التى نشأت مؤخراً فى الولايات المتحدة . . فهل هى مؤامرة أمريكية لإستعادة الثروة التى انتقلت إلى دول الخليج . . ؟

- ربما . . ! !

* * *

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٨

الفصل الخامس عشر

حقوق الهنود الحمر.. في رقبة البرلمانات العربية

"إن ملف الهنود الحمر مازال مفتوحًا في الولايات المتحدة..!!"

■ مادام الكونجرس الأمريكى مهتمًا بالأوضاع فى الشرق الأوسط إلى هذه الدرجة . . ويصدر بين وقت وآخر قرارات بشأنها ، من قبيل نقل السفارة الأمريكية فى إسرائيل إلى القدس والإعتراف بها عاصمة لإسرائيل ، واعتبار اليهود الذين تركوا البلاد العربية وهاجروا إلى إسرائيل «لاجئين» . . الخ . .

- لماذا لا نقابل هذا الإهتمام الأمريكى بقضايانا ، بإهتمام عربى بالقضايا الأمريكية . . ؟ !

- لماذا لا يصدر اتحاد البرلمانات العربية قراراً بإعتبار الهنود الحمر «لاجئين» ويجب تعويضهم ، بإعتبارهم السكان الأصليين لأرض الولايات المتحدة الأمريكية ، واجبروا بالقوة على ترك بيوتهم وحقولهم ومناطقهم التى كانوا يعيشون فيها ، عندما هاجمها أجداد السكان الحاليين للولايات المتحدة الذين قدموا إليها من أوروبا ، واستولوا بالقتل والارهاب على أراضى وممتلكات الهنود الحمر وطردوهم منها . . ؟ !

إن ملف الهنود الحمر مازال مفتوحاً فى الولايات المتحدة . . فمازالت هذه القبائل موجودة لم تندثر . . ومازالت تطالب بحقوقها أمام المحاكم . . وفى عام ١٩٨٠ حكمت المحكمة العليا هناك لثمانية

من قبائل الهنود الحمر بالحصول على تعويض قدره ١٢٢ مليون دولار ، بسبب استيلاء الحكومة بصورة غير قانونية على أراضيهم فى عام ١٨٧٧ . . !

إن الهنود الحمر هم أخوة لنا فى الإنسانية ، ويجب أن نهتم بقضاياهم بنفس القدر الذى يهتم به الكونجرس بقضايا منطقتنا . . إن الكرة الآن فى ملعب اتحاد البرلمانات العربية ، ويجب عليه أن يتحرك لدعمهم بنفس السرعة التى يتحرك بها الكونجرس الأمريكى ، عندما يكون الأمر متعلقاً بالوضع فى العراق أو لبنان أو السودان أو فلسطين . . !

* * *

- نفس الشئ بالنسبة للأمريكيين السود ، لقد عانوا كثيرًا . . ومازالوا يعانون . . من الاضطهاد والتمييز والفصل العنصرى بسبب لون بشرتهم . . وهو ما يتعارض تماماً مع الميثاق العالمى لحقوق الإنسان . . وإذا كان البعض يرى أن فى وصول كوندوليزا رايس لمنصب وزير خارجية الولايات المتحدة ، وترشح باراك أوباما للرئاسة الأمريكية نهاية لحقبة التمييز ضد السود ، فإن رايس وأوباما ليسا إلا «قشرة لامعة» فقط لسياسة فصل عنصرى مازالت تضرب بجذورها فى المجتمع الأمريكى . . الدليل على ذلك ماقاله منذ أسابيع قليلة أحد القساوسة السود فى الولايات المتحدة ، وحاول أوباما أن يتصدى له . .

وبالتالى . . فإذا كانت الولايات المتحدة تهتم بأوضاع حقوق الإنسان وأحوال الأقليات فى الدول العربية . . فيجب على الدول العربية أن تبادلها الإهتمام بالمثل . . تماما كما فعلت الصين . . !

- وزارة الخارجية الأمريكية تصدر كل عام تقريراً عن أوضاع حقوق الإنسان فى العالم ، يتهم الصين وعددا من الدول العربية ، بإرتكاب إنتهاكات لحقوق الإنسان . . فبدأت الصين منذ عدة أعوام تفعل نفس الشئ ، حيث تصدر وزارة الخارجية الصينية كل عام تقريراً عن أوضاع حقوق الإنسان فى العالم ، يشيد بها فى الصين والدول الصديقة لها . . ويتهم الولايات المتحدة بإرتكاب إنتهاكات فظيعة لحقوق الإنسان . . خاصة فى جوانتانامو . .
- لماذا لا تفعل الدول العربية نفس الشئ مع الولايات المتحدة . . ؟
- وإذا كان الرئيس الأمريكى بوش مهتم جداً بأوضاع الناس فى دار فور ، ويرسل كل فترة مبعوثًا شخصيًا له للإطلاع على أحوالهم ، وإتهام حكومة السودان باضطهادهم ، والتهديد بفرض عقوبات دولية عليها . . !
- لماذا لا يفعل الرئيس السودانى عمر حسن البشير نفس الشئ . . فيرسل مبعوثاً شخصيًا له إلى الولايات المتحدة للإطلاع على أحوال الهنود الحمر والأمريكيين السود على الطبيعة ، ويكتب تقريراً عن ذلك إلى الرئيس البشير . . ثم يعقد مؤتمرًا صحفيًا يدعو فيه المجتمع الدولى إلى فرض عقوبات على الولايات المتحدة ، بسبب اضطهادها للأقليات التى تعيش على أراضيها . . !


عمر حسن البشير

- لماذا لا يعامل السودان الولايات المتحدة بالمثل . . ؟ !
- لماذا يقبل السودان أن تتدخل الولايات المتحدة فى شئونه ، وهو لا يتدخل فى شئونها . . ؟ !

- إننى اقترح على الرئيس البشير أن يربط بين منح مبعوث الرئيس بوش تأشيرة دخول السودان . . ومنح تأشيرة دخول الولايات المتحدة لمبعوث الرئيس البشير . . وأن يقوم المبعوثان بنفس المهمة ، كل فى بلد الآخر . . وإذا استقبل الرئيس البشير مبعوث الرئيس بوش . . فيجب على الرئيس بوش أن يستقبل مبعوث الرئيس البشير . . والعكس بالعكس . .

* * *

- أنظروا كيف تعاملت كوريا الشمالية . . الأضعف اقتصادياً من السودان ومن كثير من الدول العربية والأقل سكاناً . . مع الولايات المتحدة . . !

- لقد أهدرت ماء وجه الولايات المتحدة أمام العالم كله . . وهددت بقصف المدن الأمريكية بالصواريخ النووية . . وأنزلت الرعب فى قلوب حلفاء الولايات المتحدة من اليابانيين والكوريين الجنوبيين . . وسخرت من كوندوليزا رايس عندما ذهبت لزيارة المنطقة . . بأن سربت إلى الصحف خبراً يقول : إن كوريا الشمالية قررت التخلى عن برنامجها النووى . . فصدقت رايس الكلام ، وقالت للصحفيين إن ذلك دليل على نجاح سياسة الولايات المتحدة فى التعامل مع هذا الملف . . !

فضحك الكوريون الشماليون طويلاً ، وقالوا لها فى اليوم التالى : إن ما نشرته الصحف عن ذلك كان مجرد دعابة أطلقوها بمناسبة زيارة رايس للمنطقة . . والنتيجة النهائية الآن ، هى أن كوريا الشمالية أجبرت الولايات المتحدة على التفاوض معها . . وخلال المفاوضات استطاعت أن تحصل على كل أموالها التى كانت الولايات المتحدة قد جمدتها . . بينما البرنامج النووى لكوريا

الشمالية مازال يعمل بكفاءة . . ومازالت صواريخها النووية مصوبة باتجاه المدن الأمريكية واليابانية . . !

- فهل الدول العربية أضعف من كوريا الشمالية . . ؟
- إننى لا أدعو الدولة العربية إلى محاربة الولايات المتحدة . . لكننى أدوعها فقط إلى التعامل معها بالمثل . .
- فإذا عجزت الحكومات العربية عن ذلك . . فلتكن هذه هى مهمة البرلمانات العربية ومؤسسات المجتمع المدنى . . بمعنى : انه اذا جاء وفد من الكونجرس الأمريكى وأخذ يطوف بالدولة العربية للإطمئنان على أوضاع الأقليات بها . . فليكن ذلك مقابل قيام وفد من اتحاد البرلمانات العربية بجولة فى الولايات الأمريكية للإطمئنان على أوضاع الأقليات بها أيضاً . .
- وإذا عملت الولايات المتحدة على تنفيذ مخططات لتجزئة العراق وتقسيم السودان واليمن . . فيجب أن نرد عليها بالمثل . . بتشجيع الإنفصاليين فى ولاية تكساس الأمريكية بالإنفصال عن الولايات المتحدة ، وإقامة جمهورية تكساس المستقلة . .
- بذلك يستطيع العرب أن يعيشوا بين الأمم . .

* * *

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ١٦/ ٤/ ٢٠٠٨

الفصل السادس عشر

قذف بوش بالحذاء.. حدث تاريخى

"كانت فردتا حذاء منتظر الزيدى ــ من الناحية العملية ــ خاويتين.. إلا أنهما كانتا ــ من الناحية السياسية ــ مفخختين بدلالات قوية.. سواء من حيث التوقيت، أو من حيث المغزى" .

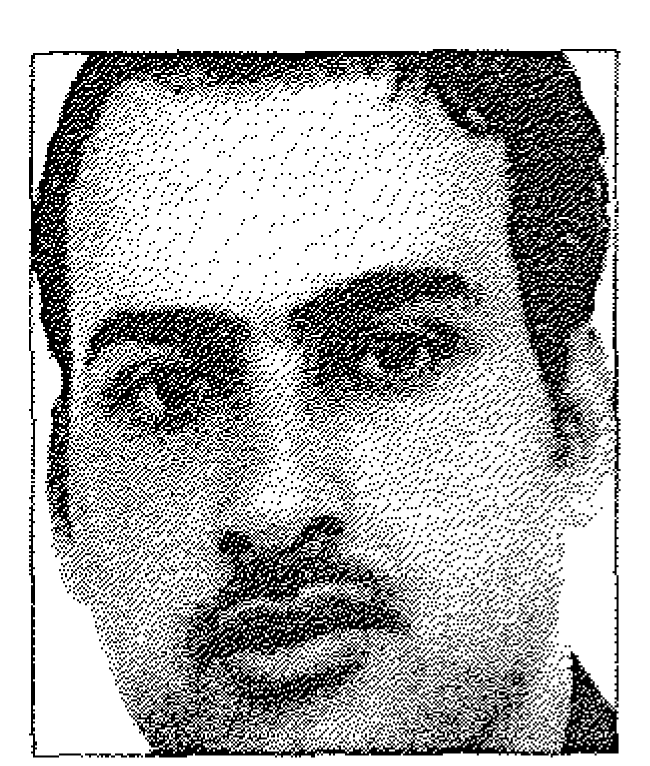
■ سطر الصحفى العراقى منتظر الزيدى بفردتى حذائه صفحة فى التاريخ .. ستظل ماثلة فى أذهان الكثيرين ، مقرونة بصورة الرئيس الأمريكى بوش وهو يخفض رأسه وينحنى إلى أسفل ليتفادى إصابته بإحدى فردتى حذاء الصحفى العراقى . . !

مساحة هذه الصفحة نستطيع أن نتبينها من حجم ردود الأفعال العالمية التى توالت فى وسائل الإعلام بكافة أنواعها ، عقب وقوع الحدث . . حيث لا توجد صحيفة واحدة فى العالم ، أو محطة تليفزيونية واحدة ، لم تنقل الحدث إلى القراء والمشاهدين .

بل إن وسائل الإعلام - فى كافة أنحاء العالم - لم تكتف بنقل الحدث .. وإنما تبعته بتغطية واسعة من البرامج واللقاءات مع المواطنين للتعليق عليه . .

ذلك لأن قذف رئيس أقوى دولة فى العالم بالحذاء.. من هذه المسافة القريبة . . وعلى هذا النحو الذى رأيناه . . ليس أمراً هيناً . . لذلك يستحق المتابعة والتعليق والوقوف عنده.

- بداية . . لعلنا نتفق على أن سلاح الصحفى هو قلمه وليس حذاءه . . وبالتالى فإن ما حدث يعد أمراً خارقاً للقواعد المهنية والأخلاقية . . لكن إذا أخذنا فى الاعتبار الظروف التى أصبح الشعب العراقى يعيشها


منتظر الزيدى

بسبب الغزو الأمريكى الغاشم لبلاده . . الذى أدى إلى تدمير الدولة ، وقتل ما يزيد على مليون شخص من أبنائه ، فضلاً عن تشريد الملايين . . والأخطر من ذلك تعمد جنود الاحتلال إذلال العراقيين واهانتهم وانتهاك حرماتهم وكرامتهم . . عندئذ نستطيع أن نتفهم الأسباب التى دفعت منتظر الزيدى إلى الإقدام على هذه الخطوة ، التى أحسبها خرقاً للقواعد المهنية والأخلاقية . . !

لقد كانت فردتا حذاء منتظر الزيدى ـ من الناحية العملية ـ خاويتين .. إلا أنهما كانتا ـ من الناحية السياسية ـ مفخختين بدلالات قوية . . سواء من حيث التوقيت ، أو من حيث المغزى .

- من حيث التوقيت . . جاء قذف الرئيس بوش بالحذاء فى زيارته الوداعية للعراق . . فبدا الأمر كأنه يقطف ثمار سنوات الحرب التى شنها على هذا البلد كما قالت قناة «الجزيرة» . . أو «توديعه بالحذاء» كما قالت قناة «العربية».. أو «حذاء الوداع» كما قالت قناة «روسيا اليوم» . . أو كما قال له قاذف الحذاء نفسه: «هذه قبلة الوداع يا كلب» . . . !!
- من حيث المغزى . . أثبت الحدث أن العراقيين قادرون على الثأر لكرامتهم . . ورد الإهانة إلى من وجهها لهم.. وهنا يجب أن نتذكر الصور التى حفلت بها وسائل الإعلام طوال السنوات الست الماضية لعراقيين فى أوضاع غير إنسانية.. أياديهم مكبلة ، أو وجوههم للحائط ، أو منبطحون على وجوههم فى الأرض . . بينما الجنود الأمريكيون يمارسون معهم أبشع أنواع الإذلال والقهر . . فجاء قذف منتظر الزيدى للرئيس الأمريكى بفردتى الحذاء فى

وجهه رداً على هذه الممارسات ، وثأراً من الرجل الذى ألحق كل هذا الدمار بالعراق .

* * *

- ثم إن هناك دلالة أخرى حملها حذاء منتظر الزيدى ، وأصاب بها جانباً شخصياً فى الرئيس بوش الابن . . هذه الدلالة تتصل بالدور الذى لعبته الأحذية فى الأزمة العراقية . . قصة هذا الدور تعود إلى بداية التسعينيات من القرن الماضى . . فبعد حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١ التى أعد لها وقادها الرئيس الأمريكى الأسبق بوش الأب ، وانتهت بخسائر كبيرة للجيش العراقى فى القوات والمعدات ، ثم عزلة دولية وحصار اقتصادى وعقوبات على العراق . . شنت وسائل الإعلام العراقية حملة شديدة على بوش الأب . . فى إطار هذه الحملة قامت إحدى الفنانات العراقيات برسم صورة له على البلاط فى مدخل فندق الرشيد ، الذى يعد أفخم فنادق بغداد على الإطلاق ، وينزل به معظم الزائرين الأجانب للعراق . . المكان الذى وضعت به الصورة جعل جميع الداخلين إلى فندق الرشيد أو الخارجين منه يسيرون فوقها . . أى يدوسون بأحذيتهم على صورة الرئيس الأمريكى بوش الأب . . بالطبع استرعى ذلك انتباه المراسلين الأجانب فى بغداد ولاحظوا الهدف من وضع الصورة فى هذا المكان ، فقاموا بتصويرها وإبرازها فى وسائلهم الإعلامية . . فظهرت بذلك صورة بوش الأب فى الصحف العالمية والناس يدوسون بأحذيتهم على وجهه .

ورغم أن المسألة كلها لا تعدو كونها مجرد شىء رمزى للتعبير عن رفض العراقيين لما فعله بهم الرئيس الأمريكى الأسبق . . إلا أن الأمريكيين لم يتقبلوا هذه الطريقة فى التعبير عن الرفض ، وقاموا بقصف منزل الفنانة العراقية وتدميره . . ! !

لم ينس بوش الإبن صورة والده والناس يدوسون عليها بالأحذية كلما دخلوا أو خرجوا من فندق الرشيد.

لم ينس أيضًا أن والده خسر الانتخابات وخرج من السلطة . . بينما بقى صدام حسين كما هو على رأس السلطة فى العراق ، وكأنه لم يخسر الحرب . . . !

فى تلك الأثناء قام بوش الأب - بعد تقاعده - بزيارة إلى الكويت وتعرض هناك لمحاولة اغتيال ، اتهم بتدبيرها الرئيس صدام حسين . . عندئذ بدأ البعض يتساءل : لماذا لم يواصل بوش الأب حربه على العراق حتى يدخل بغداد ويسقط صدام حسين ؟ !

لعل هذا السؤال كان يتردد أيضاً فى ذهن بوش الابن . . . !

ولعل ذلك جعله عند وصوله إلى السلطة فى يناير ٢٠٠١ ، يضع على رأس أولوياته غزو العراق وقتل صدام حسين.. حتى إنه حاول أن يلصق به تهمة هجمات ١١ سبتمبر ، إلا أنه لم يعثر على أى دليل يمكن أن يساعده على ذلك . . كما فشل فى إثبات وجود علاقة بين صدام حسين وتنظيم القاعدة .

لذلك لم يجد بوسعه سوى اختلاق أكذوبة امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل وقام بغزوه واحتلاله ، ليكمل بذلك الحرب التى بدأها والده . . ثم ألقى القبض على صدام حسين وأجريت له محاكمة شكلية وتم إعدامه .

لكن احتلال العراق . . وإعدام صدام حسين لم ينقذ بوش الابن من التعرض لمحاولة ضربه على رأسه بالحذاء من أحد العراقيين . . صحيح أن حذاء منتظر الزيدى لم يصبه . . لكن الدوس على صورة بوش الأب بالحذاء فى بغداد ، وقذف بوش الابن بالحذاء فى بغداد أيضا.. أصبح قرينة لا تغيب عن كل من يقرأ تاريخ الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط .

* * *

لقد صنع الصحفى العراقى منتظر الزيدى بحذائه حدثاً مدوياً.. أدخل به البهجة والفرح على العراقيين ، بل وعلى كل الشعوب التى عانت من ظلم وجبروت الولايات المتحدة . . لقد وصفت هيئة علماء المسلمين بالعراق ما فعله «منتظر» بأنه : «موقف وطنى مشرف» . . وقال عنه أحد أعضاء البرلمان العراقى إنه: «اختزل مشاعر العراقيين فى هذا التصرف» . . وقال مواطن عراقى آخر: «منتظر رفع رءوسنا» . . أما إذا كان هناك أكثر من مائة محامى عربى وأجنبى - بينهم أمريكيون - قد أعلنوا تطوعهم للدفاع عن منتظر الزيدى . . فإن البعض يتساءل الآن عن مصير فردتى حذائه اللتين قذف بهما بوش . .؟

ربما يريد هؤلاء البعض وضع فردتى الحذاء فى متحف . . ! !

* * *

نشر المؤلف هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٨

الفصل السابع عشر

كفى صمتاً

مواجهة تصورات أمريكا الخاطئة عن الإسلام..

"إن التحيز المعادى للإسلام فى الولايات المتحدة يتدفق مثل طوفان مدمر . . إنطلاقًا من بعض المكاتب على الأرض . . حتى المحادثات التى تجرى على متن الطائرات فى السماء" . . !

"من المؤسف لدرجة محرجة أن عملية إظهار المسلمين فى صور نمطية تسئ إليهم . هى عملية يتم صنعها فى الولايات المتحدة الأمريكية" . . !!

بول فيندلى

نائب فى الكونجرس الأمريكى

لمدة ٢٢ عامًا من ١٩٦٠ إلى ١٩٨٢

(١)

■ العنوان ليس من عندى . . لكنه عنوان كتاب رائع للنائب الأمريكى السابق "بول فيندلى" ، صدر فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠١ . . تحدث فيه عن تجربته الشخصية فى التعرف على الإسلام ، والدور الذى تقوم به بعض الجهات الأمريكية ومنها وسائل الإعلام فى تشويه صورة المسلمين ، ثم قدم نصائحه للمسلمين بكيفية التصدى لمحاولات الإساءة إلى دينهم . .

هذا الكتاب صدرت له ترجمة عربية من الهيئة العامة للاستعلامات المصرية عام ٢٠٠٥ ، قام بها الأستاذ عادل خليفة ، وأشرف عليها الأستاذ سليمان عبد القادر . .

مؤلف الكتاب "بول فيندلى" ولد عام ١٩٢١ ، وانتخب عضوا فى الكونجرس الأمريكى عدة دورات متتالية لمدة ٢٢ عاما من ١٩٦٠ إلى ١٩٨٢ .. له عدد من المؤلفات عن الشرق الأوسط ، أهمها كتاب : "إنهم يجرؤون على الإفصاح عن آرائهم" الذى تحدث فيه عن نفوذ اللوبى اليهودى فى الولايات المتحدة ومصير كل من يقف ضده . . كما يعد كتابه "كفى صمتا" من أهم الكتب التى صدرت فى الغرب لدحض الصورة المشوهة عن الإسلام . .



بول فيندلى

فى هذا الكتـاب يروى فـيندلى فى الفـصل الأول بداية تعرفه على الإسلام، ويصفها بأنها كانت "بداية سيئة" . .

يقـول إنه فى الـسـادسـة من عـمـره كـان تـلمـيـذا بمدرسة الأحد البروتستانتية فى جاكسونفيل بولاية إلينويز الأمريكيـة ، وتـعـرض للتـضليل من مـعلمتـه التى قدمت لهم مـعلومـات خاطئـة عن المسلمين وديانتـهم . . وأن هذه المعلومات الخـاطئة ظلت ثابتة فى ذهنه حتـى بلغ منتصف العمر . .

يقـول إن المعلمـة قـصت عليـهم أن أناسـا قسـاة ، بدائـيين ، غيـر متعلمين ، يعيشون فى المناطق الصحـراوية ويعبدون "إلـهـا غريبا" . . يدعون ب "المحمديين" . .

ومازال يتـذكـر – من بين ذكريات الطفولة المبكرة – صـوت المعلمة وهى تقول وتكرر : "إن هؤلاء ليسوا مثلنا" ! . .

يعـرب فـيـندلى عن اعـتـقـاده بأن المعلمـة لم تكن تـغـرس فـيـهم هذه المعلومات المضللة عن قصد ، وإنمـا كانت تردد ببراءة المعلومات التى حصلت عليـهـا من أناس آخـرين لا تتوفـر لديهم الحـقـائق ، فظل مـا كـانت تردده المعلمـة عـالقـا بذاكرتـه سنوات طويلة . . وظل ينظر إلى المسلمين على أنهم أناس أغراب ، وجهلة ، ومصدر خطر . . !

* * *

ثم شاءت الظروف أن يقوم فيندلى برحلة غير متوقعة إلى مدينة عـدن باليـمن عـام ١٩٧٤ ، للتـوسط فى الإفـراج عن أحـد المواطنين الأمـريكيـين من أبنـاء دائرته الإنتـخـابيـة ، كـان قـد صـدر ضـده حكم بالحبس ٥ سنوات بتهمة التجسس . .

يقول : كان تصورى عن الشرق الأوسط - شأن معظم الأمريكيين فى ذلك الوقت - يتسم بالكآبة والتشاؤم ، حتى أننى سألت أحد كبار الدبلوماسيين عما ستفعله وزارة الخارجية الأمريكية إذا وضعتنى حكومة اليمن الجنوبى فى السجن أنا أيضاً ، فقال "سنحاول العثور على عضو آخر بالكونجرس يكون على إستعداد للسفر إلى هناك لمحاولة إطلاق سراحك . . !"

يضيف فيندلى : فى هذه البلاد النائية تلقيت أول معلومات صحيحة عن عقيدة يعتنقها أكثر من مليار مسلم فى العالم . . كانت المعلومات تتكشف لى الواحدة تلو الأخرى . . ومع كل اكتشاف كانت تستثيرنى رغبة جديدة فى حب الإستطلاع وتساؤلات جديدة . . !

لقد فوجئ فيندلى بوفد من حكومة اليمن الجنوبى يستقبله فى المطار مرحبا به ، ثم يرافقونه إلى بيت للضيافة ، ويضعون تحت تصرفه سيارة بسائقها ، وينظمون له برنامجا لزيارة الأماكن الأثرية فى اليمن . . ومرافقًا من إدارة المراسم يتحدث الإنجليزية بطلاقة ، اسمه صالح عبد الله . . يصفه فيندلى بأنه شاب أنيق وسيم مفعم بالنشاط والحيوية . . ويقول عنه : لقد عمل كمرافق لى لمدة ٥ أيام ، كما عمل أيضًا - دون أن يتعمد ذلك - مدرسًا لى فى علوم الإسلام . . كنا نتحدث عن الأوضاع السياسية فى الشرق الأوسط ، ثم يتجه بنا الحديث تلقائيا إلى الإسلام . . رأيت فى عدن مساجد وكنائس . . وذكرت له أننى أعتنق الديانة المسيحية ، وعرفت أن المسيحيين يقومون بممارسة طقوسهم الدينية بحرية كاملة . . وذات يوم سألت صالح عبد الله عما إذا كان السوفييت المشهورين بالإلحاد قد تدخلوا فى الشئون الدينية لليمن الجنوبى وقاموا بإغلاق المساجد (حيث

كانت جمهورية اليمن الجنوبية فى ذلك الوقت هى إحدى مناطق النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط) . . فنفى ذلك تماماً . . وقال : إنهم لوكانوا قد حاولوا ذلك ، لفشلوا . . لأن شعبنا يدين بالإسلام على نحو يتسم بالورع ، وشبابنا يتلقى تعليمًا دينيًا ، ويدرس القرآن الكريم الذى هو كتابنا المقدس . . وهناك الآلاف من اليمنيين الذين يستطيعون تسميع القرآن الكريم بأكمله من الذاكرة ، لأنهم يحفظون آياته عن ظهر قلب . .

يضيف فيندلى : لم أرد على ما قاله صالح عبد الله ، غير أننى أحسست أن العبارة الأخيرة التى ذكرها مؤثرة للغاية . . ذلك لأن بعض معارفى من المسيحيين بوسعهم تسميع أجزاء محدودة من الإنجيل ، لكن ليس بينهم على الإطلاق من يحفظ الإنجيل بأكمله . .

ثم عرفت من صالح أن تخصيص يوم الجمعة فى برنامج الزيارة لزيارة الأماكن الأثرية هو أمر مقصود ، ذلك لأننى لا أستطيع مقابلة المسئولين بالحكومة فى هذا اليوم . .لأنه يوم الأجازة الأسبوعية الذى يؤدى فيه جميع المسلمين صلاة الجمعة فى المساجد . . وحينما قلت له إن المسيحيين يجعلون من يوم الأحد اليوم المخصص للصلاة . . قال بشكل اعتراضى : "فيما يخص المسلمين ، فإن كل يوم هو يوم للصلاة ، ذلك لأن ديننا يدعونا إلى الصلاة ٥ مرات كل يوم" . .

يقول فيندلى : لم أستطع مقاومة ردى عليه بما يلى : " آمل ألا أجرح مشاعرك إذا سألتك سؤالاً شخصياً ، وهو أننا كنا نتواجد معا ساعات طويلة كل يوم ، لكننى لم أرك تؤدى الصلاة خلالها ، فهل أنت معفى من أداء الصلاة لوجودك معى ؟" . .

لم يبد على صالح عبد الله أى شعور بالإستياء ، ورد بقوله : "إن بنود البرنامج الخاص بمرافقتى لك تسمح لى بالصلاة فى أوقاتها عندما تكون أنت مشغولا بأمور أخرى ، لأن الصلاة لاتستغرق سوى دقائق قليلة" . . !!

* * *

يقول فيندلى : كانت المناقشات التى دارت بينى وبين صالح عبد الله عن الإسلام هى مجرد بداية لثقافتى الإسلامية . . وقد استمرت هذه العملية التثقيفية عن الإسلام مستمرة طوال السنوات التى أعقبت ذلك . . لقد تعلمت الإسلام من خلال المراسلات والمحادثات التى امتدت طوال ٢٥ عاما مع مسلمين يعيشون فى لوس أنجلوس وشيكاغو وناشفيل وواشنطن ونيويورك وهيوستون وسانت لويس ووست أونتاريو والقاهرة وجدة وعمان وبنانج فى ماليزيا . . كنت أحصل على المعلومات بنفسى شخصيا . . وحينما كنت فى مسجد بنيو جرسى ، تعرضت لتجربة لايمكن أن تنسى . . فقد رأيت لأول مرة فى حياتى المسلمين وهم يؤدون الصلاة . . كان المصلون من شتى الأعراق والأجناس يؤدون صلاتهم وأكتافهم متلاصقة . . وبعد قضاء الصلاة قال لى رجل بريطانى أشقر الشعر : "لقد دخلت الإسلام وأنا فى الأربعين من عمرى ووجدته مقنعا ومرضيا للغاية" . .

يضيف فيندلى : إن عديدًا من المسلمين الذين أدوا فريضة الحج إلى مكة ، يصفون هذه الرحلة بأنها من أعظم التجارب التى شهدوها فى حياتهم . . كما أنها من التجارب التى تتحقق فيها المساواة بين الناس . . حيث يرتدى الأمراء والفقراء زيًا واحدًا . . ويحكى أنه منذ عدة سنوات ، كان ذات صباح يجلس منتظرًا فى ردهة أحد الفنادق

فى مدينة جدة بالسعودية . . يقول : "فشاهدت بعض الناس وهم يستقلون سيارات متجهة إلى مكان بالقرب من مكة ، كان الجميع يرتدون ثيابا متشابهة هى مجرد عباءات بيضاء . . ولم يكن بوسعى أن أتبين من هو الثرى ومن هو الفقير . . من هو الذى ينتمى إلى الطبقات العليا ومن هو الذى ينتمى إلى عامة الشعب" . . !

* * *

ثم يحدثنا بول فيندلى عن علاقته بالدكتور شريف بسيونى أستاذ القانون الدولى بجامعة شيكاغو ، واللقاء الأول بينهما عام ١٩٧٤ فى أعقاب عودة فيندلى من اليمن . . يقول إن د .شريف أرسل إليه عام ١٩٨٩ نسخة من كتابه "مدخل إلى الإسلام" ، وكان هذا الكتاب من أكثر الكتب التى تأثر بها ، وساعده على أن يحرز تقدمًا سريعًا فى رحلته للتعرف على الإسلام . .


شريف بسيونى

من كتاب د . شريف بسيونى عرف فيندلى :

- أن القرآن الكريم هو : "ببساطة آخر الرسالات السماوية المبلغة إلى البشر عن طريق النبى محمد ، الذى اصطفاه الخالق كحامل لآخر ما أوحى به من رسالات وشاملا كل هذه الرسالات ، وهذا يفسر السبب فى وجود صلة قوية بين الإسلام والمسيحية واليهودية" . .
- وعرف فيندلى : "أن المسيحيين واليهود يشار اليهم فى القرآن بأنهم (أهل الكتاب) ، لأنهم هم الذين تلقوا رسالات الخالق عن طريق موسى وأنبياء العهد القديم وعن طريق المسيح" . .

- كما عرف : "أن القرآن نزل بعد قرون من العهدين القديم والحديث ، وأنه يحتوى على إشارات تكررت كثيرا إلى الأنبياء القدامى الذين ورد ذكرهم فى الكتاب المقدس ، من بينهم : ابراهيم ، ونوح ، وداود ، وإسحق ، ويعقوب ، وموسى ، وعيسى" . .

- ولفت نظر فيندلى الآية ٨٤ من سورة آل عمران فى الجزء الثالث من القرآن الكريم التى تقول :

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ . .

- وعرف فيندلى : "أن القرآن يولى السيد المسيح تقديرًا خاصًا ، حيث تم ذكره بالأسم ثلاثا وثلاثين مرة فى القرآن ، كما يولى القرآن أيضًا تقديرًا خاصًا للسيدة مريم العذراء ، حيث تم ذكر اسمها أربعا وثلاثين مرة ، وكانت هى المرأة الوحيدة التى يذكر اسمها فى القرآن" . .

- ويشير فيندلى إلى أن الآية ٤٥ من سورة آل عمران فى القرآن ، تحتوى على عبارات الثناء والتقدير لوالدة السيد المسيح . . تقول الآية :

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ . .

* * *

يقول فيندلى : لقد اكتشفت أن الإسلام واليهودية والمسيحية لهم جذور مشتركة تمتد إلى نبى الله ابراهيم ، وأنهم يتشاركون إلى حد كبير فى المعتقدات والتقاليد ومعايير السلوك ، وخلال رحلتى علمت أن الإسلام شأنه شأن دينى المسيحى ، وشأن الديانة اليهودية تتأصل فيه مبادئ السلام والوئام والمسئولية الأسرية والإحترام المتبادل للديانات الأخرى ، والتواضع ، وتحقيق العدل بين كافة الناس بغض النظر عن أعراقهم أو جنسياتهم أو عقائدهم . . إن الإسلام دين عالمى متعدد الثقافات ومتعدد الأجناس . .

لكن على الرغم من ذلك ، فإن المسلمين يواجهون صعوبات يومية فى المجتمع الأمريكى الذى تسوده أكثرية مسيحية . . إن معظم الأمريكيين لايعرفون شيئًا عن الإسلام ، ولم يناقشوا الإسلام أبدًا مع أى شخص مطلع على هذا الدين ، ولم يقرأوا أبدًا آية واحدة من القرآن . . إن مفاهيمهم عن الإسلام تنبثق أساسًا من الصور السلبية الزائفة التى تظهر من خلال الأفلام السينمائية ومسلسلات التليفزيون والأخبار التى تنشرها وسائل الإعلام . .

إن معظم الأمريكيين لا يتجاهلون المسلمين عن عمد ، أو يكنون آراء معادية لأعرافهم الدينية ، لكن التحديات التى يواجهها المسلمون فى الولايات المتحدة خطيرة ، وبنفس القدر من التمييز الذى كان يواجهه اليهود فى الولايات المتحدة من قبل . . إننى أهدف من هذا الكتاب إلى تحقيق الفهم المتبادل بين الأديان ونشر قيم التسامح والتعاون . . إننى لست مبشرًا يحاول تحويل غير

المؤمنين إلى اعتناق الإسلام . . كما أننى لست حجة ومرجعا فى شئون الإسلام . .

يقول فيندلى : إننى أسعى فقط إلى تقديم الفهم السليم لهذا الدين ، وهو الهدف الذى يستلزم وجود قيادة قوية من المسلمين . . تعمل على كافة مستويات المجتمع . . فى الأسرة والمدارس والجيران ووسائل الإعلام . . والأهم من ذلك فى مجال العمل السياسى ، فمع تزايد أعداد المسلمين فى الولايات المتحدة ، ينبغى أن يصبحوا مشاركين فاعلين فى الساحة السياسية الأمريكية . .

نشر المؤلف أجزاء من هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ١٩/ ٩/ ٢٠١٢

(٢)

■ فى كتاب "كفى صمتاً – مواجهة تصورات أمريكا الخاطئة عن الإسلام" ، للنائب الأمريكى السابق بول فيندلى ، الذى صدر فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠١ . . يعرض فيندلى بعض المفاهيم الخاطئة عن الإسلام ، التى ترسخت لدى كثير من الأمريكيين على مر السنين . .

فيشير إلى الترنيمة التى كانت تحظى بإعجاب الأطفال عندما كان تلميذا بالمدرسة وكانوا ينشدونها بحيوية بالغة . . يقول : كان عنوان الترنيمة : "إلى فرسان العصور القديمة" . . وكانت تقول : "إن فرسان العصور القديمة ، الساهرين على حراسة قمم الجبال ، لاحت لهم رؤيا بدت فيها الكأس المقدسة التى شرب منها المسيح ، وتردد صوت فى الهزيع الأخير من الليل ، يدعوهم قائلاً : اتبعوا الوميض ، اتبعوا الوميض ، والرايات المشرعة فى كافة أنحاء العالم . . اتبعوا وميض كأس القربان ، التى هى الكأس التى شرب منها المسيح فى العشاء المقدس ، والتى راح المسيحيون يجتهدون فى البحث عنها بعد ذلك فى كل مكان" . .

يقول فيندلى : كانت هذه الترنيمة تنقل صورة مشوهة للإسلام ، لا يزال كثير من المسيحيين وربما معظمهم ، يعتقدون على نطاق واسع أنها الصورة الصحيحة . . بينما لم تتضمن الترنيمة أية إشارة إلى أن الفرسان الذين تم تصويرهم على أنهم أبطال ، قد ذبحوا بالفعل

آلافا من المسلمين الأبرياء ، وكانوا يهللون ويعبرون عن مشاعر الابتهاج خلال هذه المجزرة . . إن الصليبيين الذين يسمون أنفسهم مسيحيين ، تجاهلوا ما تقضى به ديانتهم من إلتزام بالتسامح والرحمة والعدل ، وقد تصرفوا بدلا من ذلك على نحو أشبه بالمتوحشين المتعطشين إلى الدماء والانتقام . . !

يضيف : لقد فقدت تلك الترنيمة كل ما كانت تحظى به من إفتتان من جانبى ، حينما علمت ما كتبه أحد الصليبيين فى ١٥ يوليو عام ١٠٩٩ ميلادية عن مشهد دموى حدث فى مدينة القدس فى ذلك اليوم . . حيث قال : "اجتاح رجالنا المدينة بأسرها وأخذوا فى طعن الناس بسيوفهم المسلولة ، ولم يستثنوا أحدا على الإطلاق ، ولا حتى أولئك الذين كانوا يتوسلون طلبا للرحمة ، وقد خاضت الخيل فى الدماء حتى ركبها ، لا بل حتى ألجمتها . لقد كان ذلك حكما إلهيا عادلا ورائعا . ولم تقتصر المجزرة على القدس ، وذلك لأن الصليبيين الذين كانوا يتعقبون (الوثنيين والكفرة) قتلوا مسلمين ويهودًا ، بل وحتى المسيحيين الآخرين فى سائر أنحاء الشرق الأوسط ، خاصة فى أنطاكيا والقسطنطينية" . .

يقول فيندلى : وعلى النقيض من ذلك ، فإنه فى المرات الثلاث التى استولى فيها المسلمون على القدس لم ترق أية قطرة دماء . . ! !

* * *

من المفاهيم الخاطئة عن الإسلام التى ترسخت لدى الأمريكيين أيضًا ، تسميتهم للمسلمين بـ "المحمديين" . . يقول فيندلى إنه ظل حتى بلغ السابعة والسبعين من عمره فى عام ١٩٩٨ ، لا يعرف سبب اعتراض المسلمين بشدة على تسميتهم بالمحمديين . . حتى أوضح

ذلك أندرو باتيرسون ، وهو كاتب تحول عن دينه واعتنق الإسلام ، قال باتيرسون : "إن هذه التسمية الخاطئة تعبر عن سوء فهم عميق للإسلام ، وتوحى بأن المسلمين يعبدون النبى محمد كإله . . إن المسلمين يوقرون ويجلون محمدا بوصفه خاتم رسل الله ، لكنهم لايعبدونه . . فى الواقع فإن الإيمان بإله واحد يأتى على قمة أركان الإسلام الخمسة . . وبقية الأركان هى : أداء الصلاة خمس مرات فى اليوم ، وأداء الزكاة بسخاء للمحتاجين ، وصوم شهر رمضان ، وأداء فريضة الحج إذا توفرت الصحة البدنية والأموال اللازمة لذلك مرة واحدة على الأقل طول العمر . . إن المسلمين الذين يؤدون هذه الإلتزامات الخمس يعتبرون مسلمين مراعين لأحكام دينهم" . .

يقول فيندلى : إن الصور الزائفة عن الإسلام ظلت باقية معى أمدًا طويلاً منذ مرحلة الطفولة فيما يتعلق بتجربتى الخاصة . . لدرجة أنه لم يعد يدهشنى أن أجد أمريكيين آخرين يعتنقون أفكارًا مضللة مماثلة عن الإسلام . . وإنه من قبيل الرصانة أن نفكر مليا فى مدى شناعة الصور النمطية المضللة عن الإسلام ، التى أخذت تتدفق دون أن يعترض سبيلها أحد عاما بعد عام من فصول مدارس الأحد فى سائر أنحاء أمريكا . . وربما كان الملايين من الشباب الذين يسهل التأثير فيهم قد تقبلوا المعلومات الخاطئة عن الإسلام على أنها تمثل الحقيقة ، وقاموا على مر السنين بنقلها دون تصحيح إلى ملايين آخرين من الناس . . ! !

يؤكد فيندلى على أن صلة القرابة بين الديانتين الإسلام والمسيحية تضرب بجذوها فى عمق التاريخ . . مشيرًا إلى أن كلاً من المسلمين والمسيحيين يمجدون كتبا مقدسة باعتبار أنها كلام الله . .

* * *

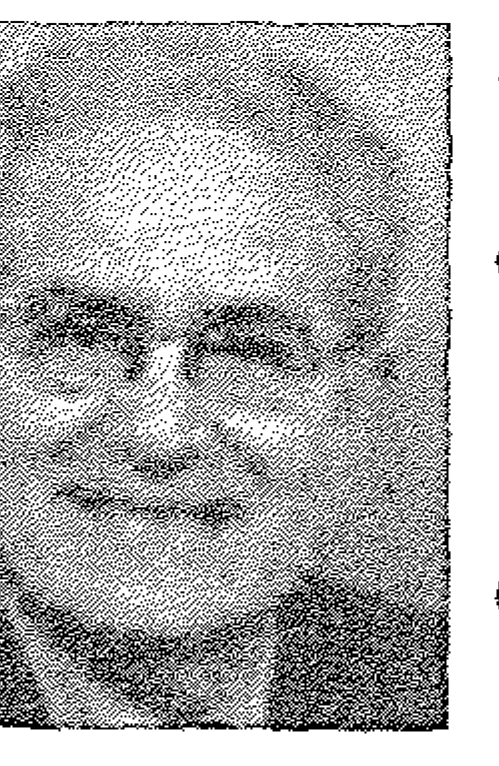
وبينما يروى لنا تجربة شخصية يبرهن بها على أن "المسلمين متفوقون على المسيحيين إلى مدى بعيد فى دراستهم لشئون دينهم" . . حيث وقف ذات مرة عندما كان شابا أمام حشد هائل من الناس ، وأخذ يتلو من الذاكرة أسماء بعض أسفار الكتاب المقدس ، فكان يتلوها بسرعة فائقة إلى درجة أن الوقت الذى استغرقه تسميع هذه الأسماء لم يتجاوز دقيقة واحدة ، شعر بعدها وكأنه كان يتسلق جبلا . . فإنه يقارن ذلك بحفظ كثير من المسلمين آيات وأجزاء كاملة من القرآن الكريم ، حتى أن بعضهم يحفظون القرآن الكريم بأكمله عن ظهر قلب . . !

بل يذهب فيندلى إلى القول بأن المسلمين متفوقون أيضا على بعض المسيحيين فى تقبلهم لما جاء فى الكتاب المقدس حرفيا . . يدلل على ذلك بما حدث فى أحد المؤتمرات الخاصة بالتقريب بين الأديان ، الذى عقد منذ سنوات فى مدينة "كالكوتا" بالهند ، وكان يشارك فيه لفيف من زعماء الطوائف الدينية المختلفة . . حيث سُئل مونكيور كونواى - وهو مسيحى ينتمى إلى طائفة مسيحية اسمها "اليونيتاريان" ترفض التثليث وتنادى بالتوحيد - عن معجزة مولد المسيح التى وردت فى الإنجيل . . فرد بقوله : "إنها قصة ذات تأثير أسطورى وشاعرى ، غير أنه ينبغى عدم اعتبارها قصة تاريخية" ! . . وعندما طرح السؤال نفسه على رجال الدين الإسلامى الحاضرين فى المؤتمر ، تشاوروا معا ، ثم قال أحدهم : إنهم "جميعًا يشعرون بأنه ينبغى عليهم أن يتقبلوا القصة كما وردت فى الإنجيل" . . فعلق كونواى على ذلك مازحا بأن "المسلمين هم وحدهم المسيحيون الراشدون حقا المشاركون فى هذا المؤتمر" ! . . وبعد ذلك كتب كونواى : "إن المسلمين ليسوا مسيحيين ، لكنهم هم الوحيدون فى الشرق الذين

يتمسكون حرفيا بكافة المعجزات التى نسبت إلى المسيح فى الأناجيل، وبالعبارات المتعلقة بمولد المسيح التى وردت فى الكتاب المقدس . ومن النادر للغاية أن تجد بين المسلمين من يشك فى ذلك" . . !

يشير فيندلى إلى تفوق العالم العربى - الإسلامى إلى مدى بعيد على العالم المسيحى خلال الفترة ما بين القرنين الثامن والخامس عشر، بينما بدأ العالم المسيحى فى النهوض فى القرن الثالث عشر، قبيل بدء العالم الإسلامى فى الإرتداد إلى الخلف . .

ثم ينقل عن دكتور رالف بريبانتى - وهو عالم ومؤلف شهير- قوله : "إن الإسلام يمر الآن بمرحلة نهوض وارتقاء فيما يتعلق بتقبله والتصديق به على نطاق عالمى، بينما المسيحية أخذت فى التراجع" . . ويفسر ذلك بقوله : "إن نظام القيم الإسلامية أكثر احتفاظا بنقائه الأصلى وأكثر استمرارا فى البقاء كما هو دون أن يمسه سوء، على العكس من مبادئ المسيحية التى أخذت تتدنى بشكل متزايد نحو عالم الأساطير والخرافات والتعصب . . بينما يمر الإسلام الآن بمرحلة من التطور تتسم بالديناميكية والفوران" . .


رالف بريبانتى

ويحذر بريبانتى - وهو من أتباع الكنيسة الأسقفية البروتستانتية - من أن الإسلام سيعلو شأنه إلى أقصى درجة، وذلك إذا ما أولى المسلمون الصورة العامة للإسلام وسلوك الأفراد المسلمين عناية دقيقة . .

يقول بريبانتى : "وفى تلك اللحظة من التاريخ، فإن ديناميكيات الإسلام وقيمه المحددة بوضوح، تتوفر لديها قدرة كامنة لبث القوة من جديد فى العالم الغربى الذى آلت به بعض الأمور إلى وضع مرضى ومتدهور . . ومن الممكن إنجاز ذلك فقط إذا كانت الصورة المعروضة عن

الإسلام على شاشات السينما العالمية ، والتصرفات والأفعال التى يمارسها المسلمون على مسرح الأحداث العالمية منسجمة مع المبادئ الإسلامية المتمثلة فى السلام والعدل واحترام حياة الإنسان" . .

* * *

يشير فيندلى إلى المرونة فى النصوص القرآنية ، مستشهداً بما كتبه طبيب يعيش فى ولاية تكساس الأمريكية اسمه "عنايت لالانى" . . كتب يقول : "إذا قارنا بين النصوص الدينية اليهودية - المسيحية التى تتسم بالتقيد بالقوانين الكنسية ، وبين القرآن ، نجد أن القرآن وثيقة غير متزمتة بشكل ملحوظ . . فقد يورد القرآن فى مطلع إحدى آياته ما يبدو وكأنه أمر جازم لامرونة فيه . . ثم إذا به يتوقف فى منتصف الآية على نحو مفاجئ بشكل مذهل ، لكى يذكر المرء برحمة الله وبعلمه الكلى الذى لاحدود له ، وبقدرة الله على كل شئ ، وذلك للتخفيف من قسوة الحكم الذى سبق ذكره" . .

غير أن لالانى يعرب عن قلقه لأن بعض رجال الدين الإسلامى يعجزون عن إدراك الطابع المرن البعيد عن التزمت الذى يتسم به القرآن . . يقول : "لقد بات واضحا الآن أن العالم العربى - الإسلامى يتعرض لخطر عدم إدراك الهدف الحقيقى الذى يرمى اليه القرآن . . وفى هذا الصدد فإننى أشير إلى الإتجاه المتنامى الذى يرفع من شأن الكتابات الإسلامية الثانوية إلى درجة تجعلها مساوية تقريبا لمستوى القرآن . . إن هذا الإتجاه يؤسف له ، لأن عديدا من النصوص الثانوية هى محاولات لإفساد ما صنعه النبى محمد ، وإعادة بعث الظلمة التى كانت سائدة فى عصور الجاهلية" . . !

يعلق فيندلى على ذلك بالقول : "إن المرونة التى اكتشفها لالانى فى القرآن لابد وأن تشجع غير المسلمين على رفض الصور النمطية الشائعة على نطاق واسع التى تظهر الإسلام على أنه دين متزمت ، متصلب ، حقود ، قاس . . إن التسامح يعد من بين المبادئ الرئيسية لكل من المسيحية والإسلام ، غير أن هناك عصورا وأمكنة يفتقد فيها ذلك ولا يتم إدراك علاقة القرابة التى تربط بين الديانتين ، إننى أعتقد أن صلة القرابة بين الأديان أمر يدركه المسلمون على نطاق أوسع من المسيحيين ، يتضح ذلك فى حقيقة أن الإسلام يتقبل المسيحية واليهودية باعتبار أنهما ديانتان تقومان على أساس وحى إلهى . . وحينما يصبح المسيحيون أكثر وعيا وإدراكا لهذه الصلة ، سيبدأون فى التحدث عن التراث اليهودى - المسيحى - الإسلامى ، وهو تعبير أكثر دقة من التعبير الذى طالما استخدم كثيرا ، والمتمثل فى عبارة : "التراث اليهودى - المسيحى" . . !

* * *

يضيف فيندلى : "إن أكثر الحقائق المذهلة والمُرضية التى اكتشفتها خلال رحلتى الإسلامية القصيرة ، هى وجود دليل قاطع على صلة القرابة بين الإسلام والمسيحية . . أقول مذهلة لأنها أثبتت عكس ما كان يعتقده المسيحيون الأمريكيون تمامًا . . ومُرضية لأنها تؤكد على ضرورة تحقيق قدر كبير من التعاون بين الأديان . . كما أن رحلتى القصيرة مع الإسلام أسفرت عن عدم صحة المقولة المكررة التى طالما ذكرتها لى مدرستى حينما كنت تلميذا بمدرسة الأحد ، وهى أن المسلمين الذين أطلقت عليهم بالخطأ اسم "المحمديين" : "ليسوا مثلنا" . . ! !

يعرض فيندلى تجربة "أبريل شوشيت" التى تحولت من المسيحية إلى الإسلام وعمرها واحد وثلاثين عامًا ، باعتبارها تجربة تقليدية مماثلة لتجارب الآخرين الذين تحولوا عن دينهم واعتنقوا الإسلام ، وكيف تغلبوا على التوترات التى اعترت علاقاتهم بأسرهم فى اعقاب اتخاذهم هذه الخطوة . .

تقول أبريل : "بعد شهور من النقاش والقراءة ، بدأت وجهة نظرى فى التغير ، وقررت التحول عن دينى واعتناق الدين الإسلامى . . كان الشئ الوحيد الذى يجذبنى إلى الوراء هو الخوف من أن يلقى بى فى جهنم لإنكارى أن يسوع المسيح هو ابن الله . غير أننى كنت على يقين بصحة معتقداتى الجديدة ، لكن ماذا عساه أن يكون الأمر لو إننى كنت مخطئة ؟ . . أرجوك أن تصدقنى إن قلت لك إننى قضيت ساعات طويلة من التفكير ومراقبة الذات بمفردى فيما يتعلق بهذا الموضوع . . أما ما جعل الأمر أكثر سهولة بالنسبة لى ، فهو أننى لم أتخل عن إيمانى بالمسيح كنبى ، فالإسلام يضعه فى هذه المكانة السامية" . .

تضيف أبريل : "لم أبدأ ارتداء الحجاب إلا منذ عامين . . لقد جعل ذلك أسرتى تشعر بأكبر قدر من القلق تجاه تغيير ديانتى ، واعتناق الإسلام الذى تعتقد أسرتى أنه دين معاد للولايات المتحدة . . لقد كانت أسرتى لديها فى السابق مفاهيم خاطئة عن الإسلام والمسلمين . . وتسبب ذلك فى نشوب نزاع بيننا . . أما الآن فإن أسرتى أصبحت تؤيدنى إلى حد كبير" . . !

* * *


الأمير تشارلز

يشير فيندلى أيضًا إلى أن الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا ، الذى يعد بحكم منصبه الرئيس الأسمى للكنيسة البريطانية . . يعتقد أنه بوسع المسيحيين أن يتعلموا من المسلمين الكثير . . وفى خطاب ألقاه بجامعة أكسفورد عام ١٩٩٣ وتم بثه على شاشات التليفزيون ، تحدث عن إسهامات الإسلام فى الحضارة الغربية . . قال الأمير تشارلز : "إنه بإمكان الإسلام أن يعلمنا فى هذا العصر أسلوبا للفهم والحياة فى عالم أصبحت فيه المسيحية فى وضع يدعو إلى الإشفاق نظرا لفقدانها مثل هذا الأسلوب . ويوجد فى صميم الإسلام ما يحافظ على نظرته المتكاملة تجاه الكون ، ذلك أن الإسلام يرفض عزل الإنسان عن الطبيعة ، والدين عن العلم ، والعقل عن المادة ، كما أنه يحتفظ بوجهة نظر ميتافيزيقية وموحدة فيما يتعلق بذواتنا وبالعالم المحيط بنا" . . !

(٣)

■ فى كتابه "كفى صمتا - مواجهة تصورات أمريكا الخاطئة عن الإسلام" . . يتحدث النائب الأمريكى بول فيندلى فى الفصل الثالث من الكتاب عن تشويه الإسلام وسمعة المسلمين داخل الولايات المتحدة ، إلى الدرجة التى أحدثت قلقا كبيرا فى المجتمع الأمريكى . . ويسوق لنا عدة وقائع موثقة تبرهن على ذلك ، منها على سبيل المثال :

١ - فى يوليو عام ١٩٩٩ .. بمدينة نيويورك . . كان مواطن أمريكى اسمه "ريجينالد كورى" فى حاجة شديدة إلى المال لشراء هيروين ، فدخل أحد البنوك وتظاهر أمام الصراف بأنه مسلم ، وسلمه ورقة صغيرة مكتوب فيها : "بسم الله . . إن بحوزتى قنبلة . . وإننى على إستعداد للتضحية بحياتى من أجل قضية الإسلام . . ضع كافة الأموال التى لديك فى هذه الحقيبة ، ولا تحاول أن تصبح بطلا" . . فأصيب الصراف بالرعب وأذعن لطلب ريجينالد . . ثم اكتشفت الشرطة بعد ذلك عند إلقاء القبض على الرجل أنه ليس مسلماً . . ! !

٢ - فى أوائل عام ٢٠٠٠ .. حققت شركة "بارامونت" للإنتاج السينمائى أرباحا طائلة بلغت ٤٣ مليون دولار ، من إنتاجها لفيلم "قواعد الإشتباك" . . وهو فيلم سينمائى يصم المسلمين

بالشر ، خاصة الأصوليين منهم ، ويضفى على الإسلام صورة مزعجة وزائفة . .

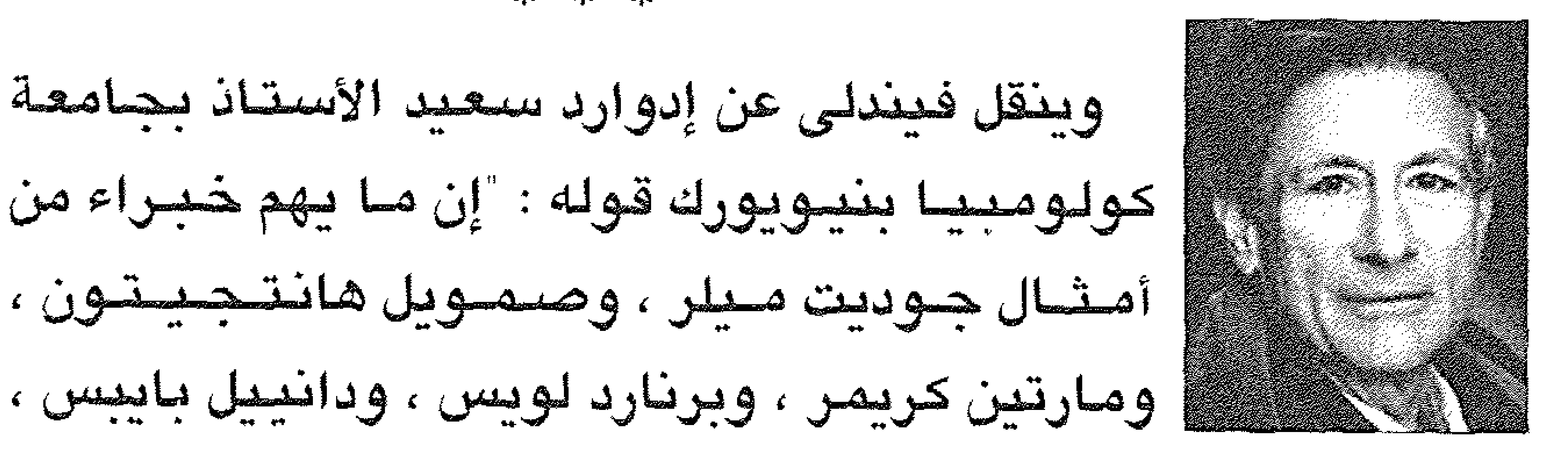
يقول فيندلى : من المؤكد أن دعاية تتسم بهذا الطابع ، من شأنها أن تجعل بعض الأمريكيين يعتقدون أن ثمة خطرًا إسلاميًا أخذ يتبلور بالفعل على أرض الولايات المتحدة ، خاصة فى ظل إنزعاجهم من جراء التزايد المطرد فى عدد السكان المسلمين الأمريكيين . . مشيرا إلى أن قطاعًا كبيرًا من المواطنين الأمريكيين واقع تحت تأثير المبشر البروتستانتى بات روبرتسون الذى يذيع برامجه على شاشات التليفزيون ، ورغم أن الدستور الأمريكى يفصل بين الدولة والكنيسة ، إلا أن روبرتسون يرى أن الولايات المتحدة دولة مسيحية وأن المسلمين يشكلون تهديدًا خطيرًا لهذا المفهوم . . !

ويلفت فيندلى النظر إلى التحذير الذى أطلقه آموس برلمتر الأستاذ بالجامعة الأمريكية عام ١٩٨٤ من "حرب إسلامية شاملة يتم شنها فى آن واحد ضد الغرب ، والمسيحية ، والرأسمالية الحديثة ، والصهيونية ، والشيوعية" . . يقول : إن هذه المخاوف أكدها أكاديميون آخرون يجهلون الصلات الجوهرية التى تربط بين الإسلام وكل من المسيحية واليهودية ، ويعتبرون أن الإسلام يشكل تهديدا خطيرا للغرب . . وفى هذا الإطار أطلقوا العنان لتصوراتهم الجغرافية بشكل كبير ، وآثروا وصف إسرائيل بأنها دولة ذات ثقافة غربية . .

يضيف : إن التحذير من أشرار أجانب من نسج الخيال ليس أمرًا جديدًا على أمريكا ، فمنذ سنوات حذر رجال السياسة المتعطشون إلى الدعاية مما أطلقوا عليه "الخطر الأصفر" ، وذلك من أجل التحريض على الهجرة الوافدة إلى الولايات المتحدة من الصين . .

وقبل ذلك كان هناك "الخطر الأحمر" الذى يرمز إلى الاتحاد السوفييتى . . أما فى عصرنا هذا ، فكثيرا ما يوصف الإسلام بأنه الخطر الجديد القادم من وراء الأفق . . !

* * *



إدوارد سعيد



صمويل هانتجيتون

وينقل فيندلى عن إدوارد سعيد الأستاذ بجامعة كولومبيا بنيويورك قوله : "إن ما يهم خبراء من أمثال جوديت ميلر ، وصمويل هانتجيتون ، ومارتين كريمر ، وبرنارد لويس ، ودانييل بايبس ، وستيفن إمرسون ، وبارى روبين ، إضافة إلى كتيبة بأسرها من الأكاديميين الإسرائيليين ، أنه من أجل إثبات أن خطر الإسلام بات خطرا ماثلا أمام أعيننا ، فإنه من الأفضل وصم الإسلام بالإرهاب والطغيان والعنف ، بذلك يضمنون لأنفسهم القيام بخدمات إستشارية تدر عليهم أرباحًا ، وفرصًا لتقديم العديد من البرامج التليفزيونية ، والحصول على عقود خاصة بتأليف كتب ، يتم فيها تصوير الخطر الإسلامى بصورة مخيفة مبالغ فيها ، تؤدى إلى الاعتقاد بأن وراء أى عملية تفجير مؤامرة عالمية . . ويعد ذلك إحدى الدعائم الهامة التى يقوم عليها جنون معاداة السامية" . . !

وينقل فيندلى عن سلام المراياتى مدير مجلس الشئون الإسلامية العامة فى لوس أنجلوس قوله : "إن الإسلام بخلاف سائر الأديان الأخرى ، يتم ربطه بشكل روتينى بالعنف فى الأنباء والمقالات الصحفية . . بينما نادرا ما يشار إلى الانتماء الدينى حينما يرتكب أشخاص ينتمون إلى ديانات أخرى أفعالاً شنيعة . . إن التقارير الإخبارية عن المذابح التى تعرض لها

ألبان كوسفو ، لم تشر أبدا إلى هذه المذابح بوصفها عمليات قتل ارتكبها صربيون يعتنقون المسيحية الأرثوذوكسية الشرقية . . كذلك التقارير التى تتحدث عن جرائم القتل التى يرتكبها البورميون ، لاتشير أبدا إلى أنها جرائم يرتكبها بوذيون . . كما لاتشير التقارير عن عمليات القتل التى يتعرض لها الفلسطينيون على أيدى الإسرائيليين إلى أنها جرائم قتل يرتكبها اليهود . . إن مرتكبى هذه الجرائم يتم تعريفهم بجنسياتهم وليس بدياناتهم . . إلا فى حالة ما إذا كانوا مسلمين ! . . إن المسيحيين الذين يرتكبون أعمال العنف لايتم إظهارهم على أنهم يسيئون إلى سمعة المسيحية . . أما إذا ارتكب أى مسلم خطأ ، فيتم وصفه بشكل ثابت فى التقارير الإخبارية بأنه "أحد عناصر الخطر الإسلامى فى أمريكا" . . ! !

يقول فيندلى : إن هذا المعيار المزدوج فى التعامل مع الأحداث ، يعزز أكثر الصور النمطية المشوهة للإسلام وأشدها حقدا عليه ، وهى تلك الصورة التى تربط الإسلام بالإرهاب . . إن تلك الصورة كانت مغروسة فى وعى معظم من كانوا يحضرون المحاضرات التى كنت أقوم بإلقائها : فحينما كنت أسأل عن الكلمة التى ترد إلى الأذهان حينما أذكر الإسلام أو المسلمين . . كان العديد منهم يقول : إنها كلمة "الإرهاب" . . !

* * *

يعرب فيندلى عن اعتقاده بأن الصورة النمطية التى تصم المسلمين بالإرهاب ليست نتاجاً لمؤامرة دولية كبرى معادية للإسلام . . لكن إبراز هذه الصورة فى وسائل الإعلام يخدم المصالح الذاتية لفئات تتسم بضيق الأفق والتعصب الأعمى . . !

من هؤلاء على سبيل المثال ستيفن إمرسون ، وهو معلق تليفزيونى دفعته الرغبة فى تحقيق دعاية شخصية إلى تشويه سمعة المسلمين الأمريكيين

والإفتراء عليهم . . ففى عام ١٩٩٤ ، وهو العام الذى أعقب عملية قيام متطرفين بقصف مركز التجارة العالمى بنيويورك ، قدم إمرسون برنامجًا تليفزيونيًا بثته جميع المحطات التليفزيونية فى أنحاء الولايات المتحدة . . هذا البرنامج كان عبارة عن فيلم وثائقى بعنوان : "الجهاد فى أمريكا : تحقيق خاص بأنشطة المتطرفين الإسلاميين فى الولايات المتحدة" . . قدم فيه مزيجا من التنبؤات القاتمة والإساءات المبطنة والتلميحات المزعجة إلى أناس أغراب مسعورين يتغنون بأصوات مزعجة للغاية بلغة أجنبية ، وقد أدى عرض هذا الفيلم إلى انتشار سحابة من الخوف فى المجتمع الأمريكى بأسره ، كما أسهم فى خلق قدر من عدم الثقة فى المسلمين الأمريكيين ، وأعطى انطباعا عاما بأن "الأصوليين" المسلمين أناس خطيرون لا يتسمون بالتعقل والتفكير السليم ، وأنهم تمكنوا من التسلل إلى الريف الأمريكى وأقاموا شبكة شريرة تستهدف تدمير الولايات المتحدة . . !

يضيف فيندلى : بسبب الأفكار بالغة الإثارة التى طرحت فى هذا الفيلم الوثائقى ، فقد حقق إمرسون شهرة كبيرة فى أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية بأسرها لمدة شهور عديدة . . لكن السمعة التى حظى بها تذكر بالسمعة السيئة التى اكتسبها السيناتور جوزيف مكارثى فى الخمسينيات من القرن الماضى ، عندما استخدم تلميحات غير صريحة ، ووجه إتهامات بعدم الولاء لاتستند إلى أى أساس ، إلى موظفين بوزارة الخارجية الأمريكية ، وكبار المسئولين بالتعليم العالى ، وشخصيات شهيرة فى مجال صناعة الترفيه . . وقد تسببت هذه الإتهامات فى إنتشار الشعور بالرعب فى نفوس آلاف الأمريكيين . . وفى نهاية المطاف دخلت القاموس كلمة جديدة هى كلمة "المكارثية" بوصفها مرادفا لعبارة "اغتيال السمعة الشخصية" . .

يؤكد فيندلى على أن إمرسون ألحق بالمجتمع الأمريكى ضررا من خلال فيلمه "الجهاد فى أمريكا" ، أكثر من الضرر الذى ألحقه جوزيف مكارثى . . ذلك لأن ضحايا مكارثى قد استعادوا سمعتهم الطيبة ، عندما قرر مجلس الشيوخ الأمريكى توجيه اللوم إلى مكارثى وتعنيفه بشدة على سلوكه السيئ ، بينما ضحايا إمرسون لم يحظوا بذلك . . ! يقول فيندلى : "مازال السم الزعاف الذى بثه إمرسون فى فيلمه يسمم الأمة الأمريكية . . ولعل كتاب (العميل : الحقيقة الكامنة وراء الحملة المعادية للمسلمين فى أمريكا) الذى ألفه أحمد يوسف بالإشتراك مع كارولين .ف .كيبل ، يقدم تأريخا لسوء سلوك إمرسون ، غير أنه لم يتم تقديم أى إقتراح فى الكونجرس الأمريكى لتوبيخه على ما فعله" . . !

يقول فيندلى أيضا : "لم يكن هناك أى شئ يتسم بالنبل والدماثة فى الإتهامات التى وجهها إمرسون إلى الإسلام فى فيلمه (الجهاد فى أمريكا) ، أو فى أى من برامجه التى أعقبت هذا الفيلم ، أو المقالات الصحفية التى تم نشرها فى صحف شهيرة قبل وبعد عرض الفيلم . . !

* * *

يقول فيندلى : "إن عملية التفجير الرهيبة التى حدثت فى مدينة أوكلاهوما فى ٢٠ أبريل عام ١٩٩٥ قد منحت إمرسون فرصًا جديدة للقيام بعمليات دعائية شخصية . . فلم يكد الحطام يستقر على الأرض بعد المشهد المروع الذى تعرضت له تلك المنشأة الفيدرالية ، حتى ظهر إمرسون على شاشات التليفزيون فى سائر أنحاء البلاد معلنا أنه من المرجح أن عملية التفجير قام بها (إرهابيون إسلاميون) . . كما أعلن على شاشة قناة سى .إن .إن . أن القنبلة المستخدمة فى عملية التفجير من نفس النوع الذى استخدمته من قبل منظمات إسلامية متشددة

داخل الولايات المتحدة ! . . وقال إمرسون على شاشة قناة أخرى هى قناة سى .بى .إس : "أستطيع أن أقول لكم إن مدينة أوكلاهوما ، من المرجح اعتبارها أحد المراكز الكبرى للأنشطة الإسلامية المتطرفة خارج الشرق الأوسط" . . !

يضيف فيندلى : "وقد أثبتت الأحداث فيما بعد أنه ليس هناك أحد من المسلمين ، أو ممن ينحدرون من أصل عربى له أى ضلع فى عملية التفجير التى حدثت فى أوكلاهوما على الإطلاق - حيث تم إلقاء القبض بعد ذلك على الأمريكى تيموثى ماكفاى ، واعترف بارتكابه الجريمة وتم إعدامه فى أحد السجون الأمريكية - لكن الهجوم الذى شنه إمرسون ضد المسلمين فى وسائل الإعلام ، خلق جوا من الخوف العام من المسلمين . . فكان شعور الأمريكيين بالقلق أكبر من أى وقت مضى منذ الفترة التى أعقبت الهجوم اليابانى على ميناء بيرل هاربور فى ديسمبر عام ١٩٤١ ، حينما ترددت شائعات عن غزو يابانى وشيك للساحل الغربى من الولايات المتحدة ، وانتشرت هذه الشائعات بين الأمريكيين إنتشار النار فى الهشيم" . . !

يؤكد فيندلى أنه قبل إلقاء القبض على ماكفاى . . تعرض العديد من الأشخاص ذوى الملامح الشرق أوسطية فى الولايات المتحدة لمضايقات ، وتحرش ، وحرج ، وإهانة على أيدى الضباط المنوط بهم تنفيذ القانون . . ووقعت مواجهات عدائية . . وصلت إلى درجة إطلاق النار على أحد المساجد بمدينة أوكلاهوما . . وفى إحدى الحوادث تسبب أحد الغوغاء المسعورين فى وفاة أحد الأشخاص . . وبعد ساعات قليلة من حديث إمرسون فى برنامج على قناة سى .بى .إس التليفزيونية الذى أشار فيه إلى أن المسلمين متورطون فى

تفجير أوكلاهوما ، قام أحد الغوغاء الغاضبين بمضايقة أسرة مسلمة من اللاجئين العراقيين ، حيث أخذ يصيح مرددا عبارات معادية للمسلمين ، كما قام بتحطيم نوافذ منازلهم . .

يضيف فيندلى : على الرغم من إلقاء القبض سريعًا على ماكفاى . . لم يتناقص الشعور العام بالذعر لدى الأمريكيين ، فخلال العام الذى أعقب عملية التفجير ، تم تسجيل ما يزيد على مائتى حادث تحرش بالمسلمين فى أنحاء الولايات المتحدة ، شملت تهديدات بالقتل ! . . فما بالك لو لم يتم القبض على ماكفاى الذى تم بالصدفة البحتة . . وذلك عندما كان ضابط المرور تشارلز هانجر يقوم بدورية لمراقبة حركة المرور على الطريق العام على بعد ٨٠ ميلا شمال مدينة أوكلاهوما ، فأوقف سيارة ماكفاى لأنها لم تكن تحمل لوحات معدنية ، ثم قام بتفتيشها فعثر على سلاح مخبأ بها ، فألقى القبض على ماكفاى . . وكانت تلك هى الخطوة الأولى التى قادت ماكفاى بعد ذلك إلى الإعدام فى أحد السجون الأمريكية . . لقد كان بإمكان ماكفاى أن يهرب بسهولة من تشارلز وزملائه . . وكان من الممكن أيضًا ألا يوقفوا سيارته وهم منشغلين برصد المخالفات المرورية الأخرى . . !

لذلك فإن المسلمين فى الولايات المتحدة يجب أن يدينوا بالشكر للضابط اليقظ تشارلز هانجر . . !

* * *

تشويه صورة الإسلام داخل الولايات المتحدة . . سواء عبر المقالات فى الصحف أو برامج التليفزيون أو أفلام السينما . . كان لابد أن ينعكس سلبًا على وضع المسلمين داخل المجتمع الأمريكى . .

يقول فيندلي في الفصل الثالث من كتابه : "لقد أدت تلك الصورة الزائفة للإسلام إلى إنتشار واسع النطاق لنزعة التعصب الأعمى ضد المسلمين ، كما أدت إلى عدم التسامح الديني ، والى أعمال عنف مدمرة . . حيث تعرضت بعض المساجد إلى حرائق متعمدة في مدينة يوبا بولاية كاليفورنيا ، ومدينة سبرنجفيلد بولاية لينويز ، ومدينة جرنفيل بولاية كارولينا الجنوبية ، ومدينة أنابوليس بولاية ماريلاند . . كما حدثت أعمال تخريب متعمدة في مساجد بولايات ميتشجان ، وأنديانا ، وماساسوشيتس ، ونيوجرسي ، وجورجيا" . . !

يسرد فيندلي بعض المواقف . . فيقول : في الصباح الباكر من أحد الأيام في شهر مايو عام ١٩٩٩ ، ألقت الشرطة القبض على "جاك ميرلين موديج" داخل سيارته بالقرب من مركز كلورادو الإسلامي في مدينة دنفر ، وعندما كان يحاول مقاومة إلقاء القبض عليه صاح قائلا : "إنني عدو للأمة الإسلامية . . وكنت معنيا بالقيام بمهمة ، ألا وهي إنني كنت سأحرق هذا المكان بأكمله" ! . . وقد عثر داخل سيارته على بندقيتين وعدة مسدسات وذخائر ومكونات صناعة قنابل . .

وفي يونيو عام ٢٠٠٠ أطلق رجل مسلح النار على أحد المساجد في مدينة ممفيس بولاية تينيسي ، فأصاب أحد المصلين بجروح كما أحدث ثقوبا في أبواب المسجد ، وقد اعتاد مرتادو المساجد في هذه الولاية على التعرض للأعمال التخريبية المتعمدة والتعدي عليهم بالألفاظ السيئة . . يقول "دانش صديقي" رئيس رابطة الطلاب المسلمين بجامعة ممفيس : "لقد كانت القانورات تلقى علينا ، وكانوا يفعلون أمامنا كل شئ بدءًا من تدخين الماريجوانا وشرب الخمر حتى إطلاق كلابهم علينا لمطاردتنا" . . !

ويقول عبد الله ميتشيل رئيس منظمة مسلمى شيكاغو الأمريكية الخاصة بالدفاع عن الحقوق المدنية : "إن المشكلة الجوهرية تتمثل فى افتقار الأمريكيين إلى المعلومات اللازمة عن المسلمين ، لذلك يتم وصف المسلمين بأنهم إرهابيون أو أغراب دخلاء ، يخشى من أنهم سيفسدون نمط الحياة الأمريكية" . . !

يؤكد فيندلى على أنه ليس هناك ما يشير إلى أن تلك الصورة الزائفة عن الإسلام ، التى لا تزال حية تحت قبة الكونجرس ، وأصبحت موضوعًا تعرضه أفلام هوليود مرارا وتكرارا ، سوف تتلاشى . . يقول : "إن التحيز المعادى للإسلام فى الولايات المتحدة يتدفق مثل طوفان مدمر ، إنطلاقا من بعض المكاتب على الأرض ، حتى المحادثات التى تجرى على متن الطائرات فى السماء . . لقد أصبح هذا التحيز ظاهرة ، لا يمكن إلقاء تبعتها على مجرد جهل الصحفيين الأمريكيين بالإسلام . . ذلك لأن الصحفيين لديهم معلومات خاطئة عن الديانات والشعوب والثقافات ، لكن ذلك لايؤدى إلى إثارة مفاهيم خاطئة وكراهية على نطاق يمكن مقارنته بالصور النمطية المشوهة المعادية للمسلمين التى اجتاحت أمريكا . . إن تأثير تلك الصور على حياة الجالية الإسلامية واسع النطاق وعميق . . ذلك لأنها تعم ببلائها الشباب والمسنين ، الأغنياء والفقراء ، الرجال والنساء ، الناس على كافة المستويات من حيث المهنة ومستوى التعليم والدخل" . . !

* * *

يقول فيندلى : ثمة عنصر آخر يبقى على وجود الصور الزائفة عن الإسلام . . هو محاولات التأثير على المسئولين فى واشنطن ، التى يقوم بها ناشطو جماعات الضغط الموالية لإسرائيل ، من أجل

الحصول على منح بالغة الضخامة فى صورة مساعدات أمريكية لإسرائيل . . هؤلاء يصورون اسرائيل على أنها تواجه على الدوام تهديدات خطيرة لأمنها من جانب "المنظمات الإسلامية الإرهابية" . . !

وينقل فيندلى عن جين بيرد المسئول السابق بالخارجية الأمريكية وصفه للصورة التى يتم بها تقديم الإسلام على أنه إرهاب ، بأنها بمثابة "زر لخط ساخن" ! . . وأن هذه الصورة يتم استخدامها كثيرا ، لأنها تلعب على وتر المخاوف ، فتحفز على التحرك وإتخاذ إجراءات . . وقد قام بالترويج لها ناشطو جماعات الضغط ، لأنهم يعرفون أنها تجعلهم يكسبون تأييدا لمنح اسرائيل هبات تقدر بمليارات الدولارات كل عام . . كما يتم استغلالها لتبرير الممارسات القمعية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين ومعظمهم من المسلمين ، وكذلك الهجمات العسكرية الإسرائيلية على لبنان حيث غالبية السكان من المسلمين أيضًا . . إن الصورة الإرهابية للإسلام هى الأساس الذى تستند إليه إسرائيل فى مطالبتها الولايات المتحدة بمنح منتظمة من الأسلحة المتطورة تكنولوجيا . . فخلال السنوات العشر الماضية ، أدى الإنحياز الأمريكى لإسرائيل إلى منحها هبات سنوية يبلغ متوسط قيمتها ٤,٧ مليار دولار سنويًا ، وعلاوة على هذا العبء الثقيل الذى يتحمله دافعو الضرائب ، فإن المعونة الأمريكية السياسية والعسكرية غير المشروطة لإسرائيل تلحق الضرر بالمصالح القومية الأمريكية الأخرى . . !

نشر المؤلف أجزاء من هذا المقال بجريدة «الجمهورية» فى ٢٦/ ٩/ ٢٠١٢

(٤)

■ شكرًا للنائب الأمريكي "الأسبق" بول فيندلى ، المسيحى البروتستانتى ، الذى أنصف الإسلام والمسلمين فى كتابه الرائع "كفى صمتًا – مواجهة تصورات أمريكا الخاطئة عن الإسلام" . .

فى مقدمة الفصل الثالث عشر من هذا الكتاب ، يقول فيندلى : "حينما نتصدى للصور النمطية الزائفة التى تسئ للإسلام فى أمريكا . . ينبغى على الجميع أن يقر بأن المسلمين – شأنهم شأن المسيحيين واليهود – لهم تاريخ تعيبه بعض الشوائب فيما يتعلق بالتسامح الدينى ، وليس هناك أى من الأديان يخلو تاريخه من العيوب والشوائب ، غير أن المؤرخين توصلوا إلى أن تاريخ الإسلام كان هو الأقل من حيث الشوائب والعيوب" . .

يقول أيضًا : "إن المؤرخين قد لاحظوا أن الحكام المسلمين ، بما يحسب لهم وما يحسب عليهم ، كانوا أكثر استنارة ، كما أنهم منحوا رعاياهم من غير المسلمين قدرا من الحماية ضد سياسات التمييز والقمع أكبر من ذلك القدر الذى كان يمنحه الفاتحون المسيحيون لرعاياهم من غير المسيحيين ، وذلك حتى بداية حركة التنوير فى أوروبا فى القرن الثامن عشر . . لم يحدث فى أى وقت من الأوقات ، أن مارس قادة مسلمون قمعًا دينيًا ، بل إنهم لم يفعلوا أبدًا شيئًا يضاهى ذلك الكرب

الفظيع الذى تمثل فى قيام محاكم التفتيش المسيحية بقتل غير المسيحيين عن طريق حرقهم فوق خوازيق ملتهبة ، أوغمر أجسادهم فى الزيت المغلى ، والمذابح الجماعية التى تعرض لها المسلمون فى الشرق الأوسط بسيوف الصليبيين المسيحيين . . ولم يحدث أبدا شئ من قبيل قيام المراجع الدينية الإسلامية باختبار عقائد الآخرين الدينية بشكل مفصل ينطوى على سخرية واستهزاء بهذه العقائد كما كانت تفعل محاكم التفتيش المسيحية . . إن قادة المسلمين لم يأمروا أبدا بالنفى أو العزل أو الحرق على الخوازيق كعقاب لمن يضل عن العقيدة المعترف بأنها عقيدة رسمية للدولة . . ولابد أن السبب فى هذا الوازع يكمن فى النزعة التحررية النسبية التى يتسم بها فقهاء الإسلام تجاه الخلاف فى الرأى . . إن القرآن لا يدين الإسترقاق بشكل صريح ، لكن شروطه فى ظل الإسلام كانت أقل قسوة إلى حد كبير من الشروط التى كانت مفروضه على الرقيق العاملين فى المزارع الشاسعة فى فترة ما قبل الحرب فى الولايات المتحدة الأمريكية . . إن عتق العبيد أمر حظى بموافقة صريحة واضحة فى القرآن ،كما تكرر ذكره كثيرا" .

* * *

يضيف فيندلى : "إن بداية الألفية الثالثة ربما تؤذن بعهد جديد مبشر بالخير فى مجال علاقات التفاهم المتبادل بين الأديان فى الولايات المتحدة . . وفيما عدا الصور النمطية المعادية للإسلام التى لاتزال قائمة بإصرار فى الولايات المتحدة ، وعدم التسامح الذى يبديه أحيانًا أصوليون مسيحيون ، فإننى أرى أن الشعب الأمريكى يحتفى بالتنوع الدينى بقدر أكبر مما كان فى أى وقت مضى" . . "إن الأمل الذى أتمنى تحقيقه هو أن يعكس فكر الحكومة الأمريكية تصميما من جانب

الشعب الأمريكى على إضفاء معنى حقيقى جوهرى ملموس على المثل الأعلى للتسامح الدينى الذى تم التعبير عنه بوضوح فى الوثائق التى قامت على أساسها دولتنا" . . "إن المسلمين يعانون فى أيامنا هذه من كونهم أصبحوا المستهدفين الرئيسيين لعدم التسامح ، وإنه من المؤسف لدرجة محرجة أن عملية إظهار المسلمين فى صور نمطية تسئ إليهم ، هى عملية يتم صنعها فى الولايات المتحدة الأمريكية" . .!!

يقول فيندلى أيضًا : "فى الولايات المتحدة وحدها أصبح الإسلام مرتبطا بشكل وثيق فى أذهان الجماهير بالإرهاب ، وإذا كانت هذه الصورة النمطية توجد أيضًا فى دول أخرى . . فإنها لم تزدهر فى أى مكان آخر بالعالم غير الولايات المتحدة بهذه الحدة ، وبهذا التمادى والإصرار خلال السنوات الأخيرة" . .

ويرى فيندلى "أن الصور الخاطئة الزائفة التى تسئ إلى الإسلام فى أمريكا ، هى إلى حد ما نتيجة ثانوية للصراع العربى - الإسرائيلى" . .

يدلل على ذلك بما قاله له ذات مرة الكاتب اليهودى المعروف إف .إزى .ستون : إن اليهود الأمريكيين يشعرون - بسبب خوفهم من المستقبل - أنه يتعين عليهم أن يقاتلوا ، ويستمروا فى قتالهم ضد أعداء إسرائيل ، طالما ظلت إسرائيل نفسها فى حالة حرب . . كما أن كثيرًا من الأصوليين المسيحيين فى أمريكا ، البالغ عددهم ٥٠ مليونًا يحسون بمشاعر مماثلة حيث يعتقدون أن بقاء اسرائيل قوية ، إنما هو جزء ضرورى من الخطة التى أبدعها الله ، وهم يعتبرون أن المسلمين بمثابة الخطر الذى يهدد هذه الخطة . .!!

لكن فيندلى يؤكد فى الوقت نفسه على أنه ليس كل اليهود معادين للمسلمين . . يسوق مثالاً على ذلك بما حدث عندما تعرض المركز الإسلامى فى مدينة كولينز بولاية كلورادو لعمليات نهب وسلب

وإتلاف ، حيث كان أول من سارع إلى المركز حاملا مطرقته للمساعدة فى إصلاح ما لحق بالمركز من أضرار ، هو الحاخام اليهودى جاك جبرييل . . كذلك عندما اشتعلت النيران فى مسجد بمدينة سبرنجفيلد بولاية اللينويز ، توجه إلى المسجد فى صبيحة اليوم التالى الحاخام اليهودى بارى . أ . ماركس لتقديم العون . . !

* * *

ثم يشير فيندلى إلى سبب رئيسى لبقاء الصور النمطية المسيئة للإسلام فى أمريكا ، وهو أن المسلمين - على الرغم من وجودهم الآخذ فى التزايد منذ فترة طويلة بالولايات المتحدة - إلا أنهم لا يزالون غير منظمين ، ولم يبدأ ظهور قيادة لهم على الصعيد القومى فى التبلور إلا فى الآونة الأخيرة . . !

يضيف : إن مدى الحاجة إلى وجود نفوذ إسلامى بناء وقادر على البقاء والإستمرار ، يتضح بصورة خاصة فى أسلوب آداء عمل وسائل الإعلام الأمريكية . . إن مواقف الأمريكيين من الإرهاب وغيره من الصور الزائفة عن الإسلام ، تتأثر بشدة بالدقائق القليلة التى تستغرقها نشرات الأخبار التى تبثها الشبكات التليفزيونية ، وقد تخصصت هذه الشبكات فى تقديم التغطية الإخبارية للأحداث المروعة وأحداث العنف من مواقع الأحداث ، بطريقة تحبس الأنفاس بسبب ما تنطوى عليه من إثارة ، وعادة مايتم ذكر كلمتى "مسلم" و"إسلام" أمام مشاهدى التليفزيون الأمريكيين بصورة تربط بين هاتين الكلمتين وأحداث العنف ، وغير ذلك من الأحداث الكريهة والأليمة . .!

يشير فيندلى إلى أن إسهام المسلمين فى التغطية الإخبارية التى تقدمها وسائل الإعلام الأمريكية مازال ضئيلا ، لأن قليلاً فقط من المسلمين فى أمريكا هم الذين غامروا بالإشتغال بالصحافة . .

والنتيجة أن معظم الأخبار التى يتم بثها عبر الإذاعة والتليفزيون ، يقوم بتحريرها صحفيون ليست لديهم أية معلومات عن الإسلام أو أن معلوماتهم عن الإسلام خاطئة! . . ونظرا لعدم وجود اعتراضات أو احتجاجات على ذلك ، فإن محررى الأخبار لا يلتزمون الحذر والدقة إزاء التقارير الإخبارية الخاطئة حول الإسلام والمسلمين . . !

يدعو فيندلى إلى ضرورة تفرغ مجموعة من المفكرين والمثقفين المحترمين من أعضاء الجالية الإسلامية لتزويد وسائل الإعلام الأمريكية بالحقائق والمبادئ القيمة فى الإسلام . . خاصة فى كبريات المدن الأمريكية مثل واشنطن ونيويورك اللتين تعتبران أكبر مركزين لبث الأخبار . . وفى حال عدم توظيف هؤلاء المثقفين ضمن طاقم العمل فى وسائل الإعلام ، ينبغى عليهم إقامة علاقات ودية مع العناصر البارزة فى مجال التغطية الإخبارية للأحداث ، لكى تستشيرهم هذه العناصر عند وقوع أية أحداث . . كما ينبغى أن يكونوا قادرين على التحدث بطلاقة وعرض وجهات نظرهم بطريقة مقنعة فى البرامج الإذاعية والتليفزيونية . . صحيح أن الجالية الإسلامية فى الولايات المتحدة لديها مجموعة من أصحاب المواهب الصحفية المتنوعة ، غير أن هذا المستودع الزاخر بالمواهب ينبغى تغذيته وتوسيع نطاقه . .

يشير فيندلى إلى أن نُدرة المتحدثين باسم الإسلام فى الولايات المتحدة ، ليس هو وجه النقص الوحيد فى دور الجالية الإسلامية . . ذلك لأنه من النادر جدا أيضا وجود مسلمين يشغلون مناصب رفيعة فى الحكومة الفيدرالية ، سواء كان شغل هذه المناصب يتم بالانتخاب أو بالتعيين . . معتبرا أن ذلك يشكل عقبة تعوق انطلاق كافة المواطنين الأمريكيين وليس المسلمين منهم فقط ، ذلك لأن المسلمين يشكلون جزءًا هامًا من المجتمع الأمريكى ، فضلاً عن أن أعدادهم آخذة فى التزايد . . وبالتالى لابد أن تتاح لهم فرصة المشاركة فى صنع السياسة العامة . .

ويرى أن علاج ذلك يكمن فى إقبال المسلمين على ممارسة النشاط السياسى بشتى المستويات وبمختلف الأشكال . . فليس هذا هو وقت إتباع سياسة الإرجاء والانتظار وترقب ما ستسفر عنه الأمور . .

وبينما يطالب فيندلى المواطنين الأمريكيين بالقبول بممارسة المسلمين للنشاط السياسى ، فإنه فى الوقت نفسه يطالب المسلمين بتحمل مسئوليتهم فى هذا الصدد ، وألا يتخلوا عن هذا التحدى لكى يواجهه غير المسلمين وحدهم . . يقول : إن التراخى وعدم إقدام المسلمين فى الولايات المتحدة على المشاركة فى العمل السياسى ، لن يجدى شيئا فى إزالة العبء المرهق الذى تشكله الصور النمطية المشينة للإسلام والمسلمين . .

* * *

وفى النهاية يوصى بول فيندلى المسلمين بإتخاذ خطوتين هامتين :

- الخطوة الأولى : أن يسلك المسلمون فى العلن مسلكا مطابقا لتعاليم الإسلام ، لكى يبرزوا مزايا دينهم . . ومن ثم سيتم الربط بين حسن سلوكهم وبين الإسلام . . ويشعر الأمريكيون بأن السلوك النموذجى الذى يجب الإقتداء به هو السلوك الإسلامى . .
- الخطوة الثانية : أن يبادر المسلمون بتعريف غيرهم بالإسلام . . وهناك عدة طرق لذلك ، مثل توزيع نشرات إعلامية صغيرة الحجم تتضمن معلومات عن الإسلام على جيرانهم ومعارفهم ، وإبداء رغبتهم فى التحدث عن دينهم فى الأندية والتجمعات التى تتواجد فيها الكنائس والمعابد اليهودية ، وعمل حملات إعلانية عن الإسلام فى وسائل الإعلام المحلية . .

يضيف : إن التوصيات التى نصحت باتباعها ، ربما تبدو غريبة أو غير مناسبة أو زائدة عن الحدود فى نظر أولئك الذين اعتادوا على

التـزام الصـمت وفـتـور الهـمـة . . إننـى أدرك أننـى بمطالبـتى المسلمـين الأمـريكيـين القيـام باتخـاذ تلك المبادرات ، كـأنما أصـدرت إليـهم أمـرًا عسـيـر التنفيـذ . . ذلك لأن معظم المسلمـين لم يعـتـادوا على ممارسـة النشاط العـام . . حـتى وإن كان ذلك من أجل تصـحيح الأفكار الخـاطئة عن الإسلام . . لأن الإفصاح عن الرأى يعد عملاً سياسيًا . . لكن كسر حاجز الصمت فيما يتعلق بالإسلام أصبح ضرورة ملحة . . !

يقول فـيندلى : إننـى أتفـهم مشاعر الغـضب والألم التى يشـعـر بـهـا المسلمون عندما يتعرضون لمعاملة منحازة متبلدة من وسائل الإعلام . . غير أن المسلمين الأمـريكيين يلحقون الضرر بقضيتـهم الخـاصة إذا تقاعسوا عن اقتناص كل فرصة تتـاح لهم للتحدث عن الإسلام علنا . . إن عدم اقتناص هذه الفرص من شأنه أن يطلق العنان لتشويه صورة الإسلام أمام الصحفيين الذين لايعرفون عن الإسلام سوى معلومات خاطئة . . فإذا كان تقديم صورة سيئة للإسلام فى وسائل الإعلام يعود إلى جهل الصحفيين بالإسلام الصحيح . . فإن إلتزام المسلمين الصمت إزاء ذلك يعد أسوأ رد فعل محتمل . .!!

يضيف فيندلى : ينبغى على كل مسلم أن يشعر بأن عليه التزامًا يحتم عليه الدفاع عن ديانته عندما يتم تقديم هذه الديانة بصورة مسيئة . .

فى نهاية الكتـاب يؤكد فـيندلى على أن الصـورة المسيئة للإسلام ، دفـعت القـادة الأمـريكيـين إلى إرتكاب أخطاء خطيـرة فى السـيـاسـة الخارجية للولايات المتحدة أضرت بمصالحها القومية الحيوية . .

* * *

السـيد هانى

تم الكتاب بحمد الله تعالى فى الساعة السابعة من مساء الأحد ٢٠١٣/٣/٣١

طبع بمطابع دار « الجمهورية » للصحافة

